

أشغال الندوة العلمية بمناسبة
اليوم العالمي للغة العربية
حول
تأثير الإنترنت في ليبيا

أشغال الندوة العلمية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية حول
تاريخ اللغة في ليبيا

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية - بنغازي
(700 / 2023)

ردمك: 978-9959-9-0417-1

مجمع اللغة العربية - شارع البلدية
ص. ب: 551 بريد ميدان الجزائر - طرابلس
هاتف 00218 -21-4440728 / 00218 -21-4445704
ناسوخ (فاكس): 00218-21-4440126
البريد الإلكتروني: Lugharabiyayahoo.com



مجمع اللغة العربية - ليبيا

أنشطة الندوة العلمية بمناسبة
اليوم العالمي للغة العربية
حول

تأثير اللغة في ليبيا

إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور

محمود فتح اسد الصغير

24 جمادى الأولى 1444 هـ

18 ديسمبر (2022 م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ اللَّسَانِ ﴾
وَالْوَيْلُ لَكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [سورة الروم: الآية ٢٢]

مهأد:

الإنسان مخلوقٌ اجتماعيٌّ؛ خُلِقَ ليعيشَ مع غيره، وقد أحسَّ الإنسانُ منذُ نشأته الأولى بذلك، وأدركَ حاجتهُ للعيشِ مع جماعةٍ من بني جنسه؛ يتعاونُ معهم في الحصولِ على الغذاءِ، ويتآزرُ بهم في مواجهةِ المخاطرِ ومقارعةِ الأعداءِ، ويتبادلُ معهم الأحاسيسَ والمشاعرَ والخبراتِ؛ فرأينا البشرَ على وجهِ الأرضِ يعيشون في جماعاتٍ، ولم نَرِ إنسانًا عاش بمفرده، إلا أن يكونَ تائهًا، أو فاقداً عقله، أو مسجونًا لمخالفةِ ارتكبتها، أو ما أشبه ذلك.

ولا يكفي أن يكونَ الإنسانُ داخلَ جماعةٍ بشريةٍ، بل لا بدَّ له أن يتواصلَ معهم، ويتفاعلَ عن طريق تبادل الأفكارِ والأحاسيسِ والمشاعرِ والخبراتِ، التي هي في حقيقتها مجرداتٌ لا يمكنُ إدراكُها إلا بإحالتها إلى محسوساتٍ.

وقد استطاعَ الإنسانُ بما أودعه الله فيه من عقلٍ، أن يُوجدَ لنفسه طرائقَ يستطيع بها تحويلَ تلكَ المجرداتِ إلى محسوساتٍ، والتعبيرَ عن تلكَ الأفكارِ والأحاسيسِ والمشاعرِ والخبراتِ، ومن أشهرِ الطرائقِ والوسائطِ التعبيرِ بالكلامِ، والتعبيرِ بالكتابةِ، والتعبيرِ بالإشارةِ، وغيرها من الوسائطِ الأخرى.

ولم ينفكَّ المهتمون باللغة يبحثون عن أصلها وتنوعها؛ فذهبوا في أصلها مذاهبَ شتى، ورأوا في ذلك آراءَ متباينة، ومن أشهرِ هذه المذاهبِ القولُ بأنها توقيفية، والقولُ بأنها تواضعٌ واصطلاحٌ، أمّا في تنوعها وتعددتها فلهم فيه - أيضًا - آراءٌ ومذاهبٌ.

ولغات البشرِ تُعدُّ بالآلاف، منها الحيّة والميتّة، ومنها المتداول على مستوى النطق والكتابة، ومنها المتداول على مستوى النطق فقط، ومنها المتداول على مستوى رقعة معينة، ومنها المنتشر انتشارًا واسعًا.

ومعرفة تاريخ اللغة من شأنه أن يصنع حاضرًا لغويًا متوازنًا، واستشرافًا لواقع لغوي يؤكد الهوية ويعزز الانتماء، وقد تحسس مجمع اللغة العربية الليبي هذه الحقيقة، فعمل على مدارستها مع الخبراء وأصحاب المعرفة ورأى ضرورة عقد ندوة علمية بهذا

الخصوص؛ فأنت هذه الندوة لتحقيق هذه الغاية السامية والمطلب النبيل، فتبحث في تلك اللغات التي كان لها وجود في الماضي أو الحاضر الليبي، وأطرت أعمالها تحت مظلة: تاريخ اللغة في ليبيا.

نختم بأن ما ورد في هذه الأبحاث من آراء ووجهات نظر لا يعبر بالضرورة عن رأي المجمع، وقد أتاحها المجمع للقارئ الكريم بغية مناقشتها ومحاورة أصحابها وصولاً إلى الحقيقة العلمية.

أتقدم بالشكر الوفير لرئيس وأعضاء المكتب التنفيذي بالمجمع لتبنيهم فكرة الندوة وتنفيذها، وبالامتنان العظيم للباحثين المشاركين في الندوة، والتقدير الفائق للأستاذة: ريم أبو بكر الكبتي، والأستاذة: إيمان الحمروني الوئيس للإسهام الكبير الذي قدمته لإخراج هذه الأعمال على هذه الصورة.

د/ محمود فتح الله الصغير

17 أبريل 2020م

طرابلس

فهرس المحتويات

مكانة اللغة العربية لدى الناطقين بالأمازيغية في بلاد المغرب العربي (أمازيغ الجزائر أنموذجًا) أ.د/ النذير بولمعالى - ط.د/ أيمن بولمعالى.....	9
الحرف الأمازيغي بين الأصالة والتأثر (دراسة في العلاقة بين اللغتين الأمازيغية والفنيقية) أ.د/ عبد الوهاب محمد عبد العالى - أ. ابتسام عبدالله جداوي صبيخة.....	38
اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) ومدى قرابتها من اللغة العربية الفصحى ومن عامة اللغات السامية أ.د. محمد علي عيسى.....	67
اللغات في جنوب غرب ليبيا - غات نموذجًا- الدكتور. الطاهر محمد المدني... 97	97
اللغة التباوية في ليبيا - أ. حسن بدي محمد كدينو.....	118
اللغة في ليبيا من خلال كتب التاريخ والرحلات- د. رضوان عبد الكريم الطاهر عمران.....	147
الواقع اللغوي للجنوب الأدنى من ليبيا قبل الفتح الإسلامي تأصيل لبعض الألفاظ المتداولة في المنطقة لغويًا - د. رجب علي رجب دومة.....	175
مدونة اللهجة الليبية، أو مقارنة حول مصادرها أ.د عبد الله الزيات	223
أبو سيف مقرب حدث البرعصي: الشاعر واللغوي - د. أحمد محمد جاد الله.....	246
المؤلفات اللغوية الليبية، وإغفالها من المؤرخين إلهام نصر الدين الطاهر البكوش. 275	275
دور الكتابات القرآنية في تعليم مبادئ اللغة العربية أ. عبدالسلام الأمين محمد الماعزي.....	295
قراءة في دراسة (اللغة والكتابة في ليبيا القديمة) أ.إيمان الحمروني الوئيس.....	314
الملاحق.....	327

مكانة اللغة العربية

لدى الناطقين بالأمازيغية في بلاد المغرب العربي

(أمازيغ الجزائر أنموذجاً)

أ.د. النذير بولمعلي (*)

ط.د/ أيمن بولمعلي (**)

تمهيد

عندما نتحدث عن اللغة العربية؛ نتحدث عن رقيها في مرحلة هامة من حياة الأمة العربية خاصة والإسلامية عامة؛ ولأن رقيها وتطورها ارتبط بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم)؛ فهو الذي أتم لها سؤدها ورقيا وكان ولا يزال صاحب الفضل الكبير عليها خاصة وعلى سائر العلوم الأخرى عامة؛ بل وعلى لهجات ولغات البلاد المفتوحة منذ أربعة عشر قرناً خلت؛ فقد وحد القرآن الكريم اللغة العربية وقرب لهجاتها وأصبح المثل الأعلى لها وأول مصدر لجمعها وهذب بعض مفرداتها وجملها؛ والكثير من علماء اللغة العربية وفحوها هم من أهل القرآن وخاصته، وقد وصل تأثيره حتى الشعوب غير العربية اللسان والتي آمنت برسالة الإسلام وبكتابه؛ ومنها شعوب المغرب الإسلامي والذي أصل سكانه أمازيغ؛ لهم لغتهم وثقافتهم الخاصة؛ وبالرغم من ذلك فإن الكثير من العلماء المدافعين عن اللغة العربية ومكانتها والتمكين لها في تلك الديار ضد المد الاستعماري والمسخ الثقافي خاصة هم من الأمازيغ الأقحاح؛ إن مكانة اللغة العربية لدى الناطقين بالأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي عامة وعند أمازيغ الجزائر خاصة محفوظة ويتباهى بأدوار هؤلاء الرجال الذين وقفوا سدا منيعا في وجه الاستلاب الحضاري والمسخ الاستعماري الثقافي.

(*) أستاذ التعليم العالي بجامعة المدية - كلية الآداب، الجزائر.

(**) طالب دكتوراه بكلية العلوم الإسلامية بالخروبة - جامعة الجزائر.

أصل الأمازيغ وتسمياتهم:

إن كلمة "أمازيغ" هي مفرد وجمعها "إمازيغن"، ومؤنثه: "تمازغيت" وجمعها "تمازغين". ويحمل هذا اللفظ في اللغة الأمازيغية معنى الإنسان الحر النبيل أو ابن البلد وصاحب الأرض. والأمازيغ هم مجموعة من الشعوب الأهلية، كما عبر عنها عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله بقوله: "هم مجموع سكان الشمال الأفريقي من حدود واحة سيوة المتاخمة للبلاد المصرية شرقا إلى ساحل البحر المحيط الأطلسي غربا بما فيه جزر الكناري وإلى ضفة وادي النيجر جنوبا"⁽¹⁾. وهي المنطقة التي كان يطلق عليها الإغريق قديما اسم (البربر) وهم قبائل كثيرة وشعوب جمّة وطوائف متفرقة.

اختلف المؤرخون في أصل تسمية البربر، إلا أنه من الثابت اليوم أنها كلمة إغريقية أطلقها اليونانيون على من لا ينتمي لحضارتهم المميزة باللغة الإغريقية والديانة اليونانية. لذلك نجد المؤرخ اليوناني هيرودوت Hérodote يطلق وصف البربر أو البرابرة على الفرس والمصريين القدامى على الرغم من أنهم أعظم شعوب زمانه. وكذلك أطلق الرومان لفظ البربر على الذين لا ينتمون لمنظومتهم الثقافية والحضارية (الإغريقية/ الرومانية). ولعل بقاء الشمال الإفريقي خاضعا للنفوذ الروماني إلى غاية الفتح الإسلامي قد يفسر بقاء اسم البربر لصيقا بشعوب المنطقة.

شجرة الأمازيغ ومواطنهم بالمغرب الإسلامي:

تشبه شجرة النسب البربري إلى حد بعيد شجرة النسب العربي فهم شعوب وقبائل كثيرة تنتهي في رأي الكثير من النسابة إلى جذمين عظيمين: برنس بن بر بن مازيغ؛ وماذغيس بن بر بن مازيغ ويلقب ماذغيس بالأبتر لذلك يقال شعوب (البتري) ويقال لشعوب برنس (البرانس) وكلاهما ينتهي إلى مازيغ بن كنعان من نسل حام بن نوح عليه السلام؛ وعليه فالبربر كلهم حاميون ويذهب بعضهم ومنهم ابن خلدون إلى أنهم ساميون؛ فهم من العرب ينتسبون لقبيلة مضرية⁽²⁾.

(1) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزء الأول، الجزائر، 2009، ص 65.

(2) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص 17؛ وأيضا: عبد الرحمن الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. (الجزائر: دار الأمة؛ 2009م)؛ ج 1؛ ص: 60 وما بعدها. وأيضا: بوزيانى الدراجي. القبائل الامازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج 1؛ مرجع سابق؛ ص: 89.

يمكن تتبع أصل الأمازيغ من خلال منهجين: الأول وهو تتبع المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني وهو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية والأعمال المخبرية.

أما الأول: فهو الذي يمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن سكان المنطقة؛ وذلك لأن المصادر الرومانية واليونانية القديمة شححتان من مثل هذه المادة التاريخية التي تطرقت لأصل سكان المنطقة على عكس المصادر العربية القديمة كما سبق وأن ذكرنا فهي أكثر اتساما بالموضوعية رغم ما فيها من الأساطير والخرافات⁽¹⁾.

وقد أطلق على سكان المنطقة أسماء كثيرة منها لوبي؛ إفري؛ بربر؛ فالأولى شاعت عند اليونان والثانية عند الفينيقيين⁽²⁾؛ والثالثة للرومان؛ وهي كلها لا تعبر عن الحقيقة لأنها صدرت عن أطراف خارجية؛ فالبربر عند الرومان مصطلح ورثوه عن اليونانيين وهي مأخوذة من كلمة فارفاروس varvaros وهي تعني اللغظ وتداخل الأصوات في الكلام فهي نعت من قبلهم لكل من لا يتكلم لغتهم.

والرومان سموهم بالبربر تحقيرا واستخفا في أوصاف للقبائل الخارجة عن نفوذهم وسيطرتهم ولهم تسميات لأماكن عدة بهذا الاسم كالخليج البربري وهو خليج عدن والمحيط الهندي بالبحر البربري؛ وهي الكلمات المقصود بها الهمجية والقسوة والجهل؛ إذا فهي وصف أكثر منها تسمية وهي وصف من طرف معادي⁽³⁾، ولكن الحقيقة أن شعوب المنطقة كانت تعيش في قبائل مختلفة تسمى كل قبيلة باسم مختلف وهو شبيه بما كانت عليه العرب أيضا من قبائل وأحلاف.

وعند تتبعنا لمسألة المجتمعات المغاربية تاريخياً لدينا خبر مفاده أن جماعة من قبيلة لواتة أرسلهم عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة فسأهم بما

(1) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. (الجزائر: دار الكتاب العربي؛ 2007م)؛ ج1؛ ص: 13.

(2) Les barber. jean servier. 2eme Editions(alger: Editions dahlab).p: 41.

(3) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها؛ ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 14.

جرت عادة العرب عن نسبهم فأجابوا: إن جدهم هو مازيغ؛ وإن صحت هذه الرواية ستكون هي المرة الأولى في العهد الإسلامي التي وردت كلمة مازيغ كاسم لجد فئة منهم كما يعتقد بعض الباحثين وثمة من يرى أن كلمة مازيغ قديمة جدًا وربما عادت إلى العصور الفرعونية أو الإغريقية؛ وقد استعمل المؤرخ اليوناني هيكتايوس hektaousse (ق 6 ق م) مصطلح مازييس mazyes وهي كلمة قريبة جدا من مازيغ كما نقل في (ق 5 ق. م) هرودوتس herodotos كلمة قريبة أيضا منها وهي ماكيس maxyes وعليه فإن كلمة مازيغ قريبة جدا من هاتين الكلمتين اللتين تداولتا في القرنين 6 و5 قبل ميلاد المسيح عليه السلام⁽¹⁾.

ويبدو أن كلمة مازيغ لم تنتشر وتستعمل في أيام الفتح الأول كما استعملت كلمة بربر ولذلك شاعت الثانية دون الأولى والتي وجدها المسلمون عند فتحهم لهذه البلاد متداولة؛ ولذلك قام المسلمون بمحاولة إعطاء تغيير للكلمة بربر مبتعدين عن التنابز بالألقاب والأوصاف القبيحة تماشيا مع روح الإسلام فقال بعضهم إن البربر نسبة إلى جدهم بربر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار؛ زاعمين أن بربر بن قيس قدم بلاد الشمال الإفريقي هربا من أخيه عمرو بن قيس ولما طال غيابه بكتته شقيقته تماضر بقولها:

لتبكي كل باكية أخاه — كما أبكي على بر بن قيس

تحمل عن عشيرته فأضحى دون لقائه أنضاء عيس

ومما نسب إلى تماضر أيضًا في الموضوع ذاته قولها:

وشطت ببر داره عن بلاد هوطوح — بر نفسه حيث يما

وأزرت ببر لكنة أعجمية وما كان بر في الحجاز بأعجا

كأنا وبر — لم نغر بجيادنا بنجد ولم نقسم نهابا ومغنا

والسؤال كيف علمت تماضر بحال أخيها وحال لسانه وكيف أصابته لكنة أعجمية؟

(2) المرجع السابق نفسه؛ ص: 15 وما بعدها.

وفي رواية أخرى أن الملك النعمان بن حمير بن سبأ فاجأ أبناءه في أحد الأيام وقال لهم: إني عزمت على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها فلبوا أمره على الفور وتوجهوا حيث أمرهم وكانوا تسعة إخوة نزلوا بلاد المغرب عموما متفرقين.

وهناك رواية أخرى تقول إنَّ أحد ملوك التبابعة واسمه إفريقش بن قيس بن صيفي غزا بلاد المغرب وشيد المدن وسميت باسمه أفريقيا قبل أن يعود إلى المشرق⁽¹⁾، ومما قاله لما رأى اختلاط الأصوات في لهجاتهم: ما أكثر بربرتكم فسموهم منذ ذلك الوقت البربر؛ والحكايات كثيرة في مسألة نسبهم ولم تنته عند هذا الحد ومنها أنهم من أبناء اليمن مثلما ذهب إليه الشيخ أبو يعلى الزواوي بأن نسبهم يمني عندما تحدث عن الزاوة تحديدا وهم فرع كبير جدا من الأمازيغ أو ما يمكن تسميتهم بأشراف الأمازيغ⁽²⁾؛ حضرمي أو أنهم من نسب إبراهيم لأحد أبنائه واسمه يقشان⁽³⁾؛ وأنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا مع الغساسنة بعد نكبة سيل العرم وأشهر هذه الروايات هي التي تقول بأنهم من أصحاب جالوت وهم أخلاط من الكنعانيين والعمالقة نزحوا جميعا إلى المغرب بعد مقتل جالوت حيث تم ذلك بواسطة إفريقش المذكور آنفا؛ ولكن ابن خلدون تولى الرد على هذه الأقوال والمزاعم إلى أن وصل إلى القول: "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليفة وأن اسم أبيهم مازيغ"⁽⁴⁾؛ وابن خلدون لم يكن شاذا في رأيه كما يبدو لبعضهم فسنده في ذلك أيضا قول للقديس المشهور في الجزائر واسمه أوغسطين *augustin* الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا حيث كتب في إحدى رسائله: "إذا سألتهم فلاحينا عن أصلهم سيجيبون نحن كنعانيون".

(1) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. (القاهرة: دار الشروق)؛ ص: 18.

(2) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي؛ ط1؛ (الجزائر: منشورات وزارة الثقافة؛ 2005م)؛ ص: 91.

(3) بوزيانى الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها؛ ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 75.

(4) ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. (بيروت: دار الكتب العلمية)؛ ص: 191.

Si vous demandez nos paysans ce qu'ils sont, ils répondent nous sommes Cananéens⁽¹⁾

وهذا النص لهذا الفيلسوف من ذات الديار قبل الفتح الإسلامي بقرون ويتفق فيه مع ابن خلدون وهو الذي نرتاح له كثيرًا.

وأما الثاني: وهو حديث الحفريات فقد وجدت آثار للرجل الأول والذي يعود وجوده إلى (400000 سنة ق م) وهو شبيه بالذي وجد في الصين وتانزانيا كما تم العثور على بعض الأواني الحجرية البسيطة والأسلحة المستعملة من قبل هذا المخلوق⁽²⁾؛ وقد وجدت آثار له في كل من المغرب والجزائر وتونس وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان نياندرتال homme de néanderthal نسبة لمنطقة في ألمانيا اكتشفت فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق واختلف العلماء في كيفية وصوله إلى تلك الديار، واستقروا في الأخير إلى أنه وصل عن طريق جنوب تونس من الشرق⁽³⁾؛ والسؤال الذي يبقى يبحث عن إجابة مقنعة هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب العربي الحاليين عمومًا ومنهم سكان الجزائر باعتبارهم من جنس واحد؛ والذي تميل إليه النفس أن البلاد كانت عامرة منذ القدم بالعنصر البشري وامتزجوا بأجناس عدة أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة ومنذ حقب موعلة في القدم وبهذا لا يمكن تكذيب القول بقدمهم من اليمن أو الشام؛ فهم على هذا الرأي جزء من سكان المنطقة بعد اختلاطهم بالسكان الأصليين وعليه فهم مزيج بشري تكون عبر قرون من سلالات مختلفة وأجناس متباينة⁽⁴⁾.

لغة الأمازيغ وأصول لهجاتهم:

للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية تيفناغ أو تيفنغ وهي منحدر من أبجدية قديمة التي ما زالت مستعملة إلى الآن؛ خاصة في الأوساط التارقية الساكنة في الصحراء؛

(1) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها؛ ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 24.

(2) Massinissa et yughurtha et leur influence sur l'histoire . ahmed slimani. (alger: Editions dahlab, 1994).p: 40.

(3) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها؛ ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 31 وما بعدها.

(4) المرجع السابق نفسه؛ ص: 34.

والتي تكتب من اليمين إلى اليسار والعكس ومن الأعلى إلى الأسفل والعكس؛ وهي مصنفة ضمن أقدم لغات العالم واختلفوا في نسبتها فمنهم من قال بنسبتها إلى السامية ومنهم من نسبها إلى الحامية؛ وقال آخرون بأنها يافثية الأصل والذي يرجحه العلماء أنها حامية الأصول ومتأثرة إلى درجة كبيرة بالسامية.

الأمازيغية هي لغة شمال أفريقيا حسب معظم الباحثين، أي أنها إحدى اللغات (الأفرو- أسيوية) القديمة الخمس، وهي: "اللغة المصرية القديمة واللغة الكوشية واللغة السامية واللغة الأمازيغية واللغة التشادية. وهي عائلات لغوية تفرعت عنها كل اللغات واللهجات، كما عبّر عنها الباحث سالم شاكراً⁽¹⁾.

تتسم هذه اللغة "بالوحدة في بنائها النحوية والتركيبية والصرفية، مع وجود اختلافات دلالية ومعجمية وفونولوجية. وتمتاز كذلك بمرونة الاشتقاق، والنحت، واستيعابها لقانوني التركيب المزجي والتمزيغ، وقدرتها على التواصل والنمو والتطور، وتأرجحها بين الشفوية والكتابة⁽²⁾.

وقد اهتم بها بعض أبنائها وهذا ما يؤكد وجودها إلى الآن بين أفراد من قبائل الطوارق، ومما وجد مكتوبا على بعض شواهد القبور⁽³⁾؛ مع عدم وجود مؤلفات فيها أو بها والذين ألفوا فباللغة اللاتينية لأنهم كانوا مغلوبين من طرفهم⁽⁴⁾.

أصول اللهجات الأمازيغية:

تنقسم اللغة الأمازيغية على العموم إلى لهجات رئيسة ذكرها عبد الرحمن الجيلالي مفصلة في كتابه: تاريخ الجزائر العام، وقد حددها فيما يفوق الثلاثمائة لهجة، تندرج تحت جذعين عظيمين هما مادغيس⁽⁵⁾ وبرنس⁽⁶⁾، إلا أننا نحتاج منها

(1) Salem chaker, Manuel de linguistique berbère, tome 2, syntaxe et diachronie. ENAG-Editions, (4 Alger, 1996, pp: 07-09.

(2) جميل حمداوي، الأمازيغية باعتبارها لغة الأم، مقال بجريدة المنعطف، الملحق الأمازيغي، المغرب، العدد 3243، ص: 6.

(3) Les barber. jean servier. 2eme Editions (alger: Editions dahlab). p 32.

(4) بوزيانى الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. مرجع سابق؛ ج 1؛ ص: 38 وما بعدها.

(5) مادغيس وبرنس هما من أبناء مازيغ بن حام بن نوح عليه السلام.

(6) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص: 74.

ما كان مختصرا وهذا الذي أحصاه الدكتور جميل حمداوي وأيضا الباحث محمد آكلي حدادو، فيما يلي:

اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية، ويمكن اختزالها في حوالي عشر لهجات كلها تنحدر من اللغة الأم وتختلف فقط في الجانب الصوتي وبعض الجوانب المعجمية، وأهم هذه اللهجات حسب تقسيم جميل حمداوي تتمثل في الآتي⁽¹⁾:

• **اللهجة التارقية:** وهي اللغة الزناتية ويتحدث بها أمازيغ الصحراء الكبرى وتنتشر هذه اللهجة في شمال كل من مالي والنيجر وجنوب الجزائر وليبيا ومناطق من تشاد وبوركينا فاسو.

• **اللهجة الشلحية:** وهي لغة مصمودة ولمطة وجزولة وتنتشر في الغرب الجزائري والمغرب.

• **اللهجة القبائلية:** وهي لغة كتامة المنتشرة في مناطق القبائل بالأطلس الساحلي الجزائري.

• **اللهجة البربرية:** ويسمونها بعض السوسيين بـ: “تابرابرييت”، وهي لغة صنهاجة وتنتشر في تونس وفي بعض مناطق شرق الجزائر وبعض المناطق بالمغرب.

• **اللهجة الريفية:** وهي لغة كتامة المنتشرة في جبال الريف والهضاب التي تليها جنوبا وفي شرق المغرب.

• **اللهجة النفوسية:** وهي لغة نفوسة وتنتشر في جبال نفوسة بليبيا وشرق جنوب تونس.

• **اللهجة الغدامسية:** وهي لغة منطقة غدامس الموجودة بالجنوب الغربي بليبيا مع اللهجة الزواوية وهي لغة واحة زواوة بالقرب من جبال نفوسة بليبيا.

• **اللهجة السوسية:** وتنتشر في صحراء جنوب غرب مصر.

(1) جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص 107-113.

- اللهجة الشاوية: وتنتشر في جبال الأوراس بشمال شرق الجزائر.
 - اللهجة المزابية: وهي اللهجة المنتشرة في وادي مزاب بالجبال الصحراوية الجزائرية.
- تنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في الجزائر وتونس وليبيا كاللهجة القبائلية، واللهجة الشاوية، ولهجة بني مزاب، والشلحية بالجزائر، واللهجة النفوسية، واللهجة الغدامسية، ولهجة أوجلة، ولهجة سكنة بليبيا، أما في تونس فيمكن الحديث عن مجموعات ساقية ومحجرة وسند وتامزرات وشنين ودويرات وجربة، وتوجد بشكل قليل في المغرب⁽¹⁾.

أما اللهجات المصمودية فتوجد في الغرب الجزائري، لكنها بشكل كبير في المغرب الأقصى، كالأمازيغية، والريفية، والشلحية بغرب الجزائر والمغرب.

أما اللهجات الصنهاجية فتنتشر هنا وهناك في مناطق محددة في المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية المحاذية للصحراء كاللهجة التارقية ببلاد الطوارق المحاذية للجزائر وليبيا ومالي والنيجر، واللهجة السيوية في مصر، وتوجد مجموعة زناتة في الغرب الجزائري والحدود الموريتانية؛ السينيغالية. كما توجد الأمازيغية خارج رقعتها الأصلية، فنجدها بكثرة في "هولندا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وإسبانيا وجزر الكناري الإسبانية التي يقطنها الغوانش Gouanches الذين كانوا يتحدثون بالأمازيغية الكنارية قبل أن يقضي الاستعمار الإسباني على اللغة الأمازيغية فيها. وما زال الغوانش Gouanches يدافعون عن اللغة الأمازيغية ويسعون جادين لإحيائها وبعثها مرة أخرى"⁽²⁾.

الجزائر وموقعها الجغرافي:

تقع الجزائر في شمال القارة الإفريقية وأرضها تمتد إلى مسافة قد تزيد عن 2400 كلم من الشمال إلى الجنوب وأكثر من 1200 كلم من الشرق إلى الغرب، فهي

(1) جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص: 107- 113 بتصرف.

(2) المرجع نفسه، ص: 112 بتصرف.

أكبر دولة إفريقية الآن بعد انقسام السودان إلى دولتين؛ يفصلها عن فرنسا من جهة الشمال 700 كلم؛ وتبعد عن أمريكا 5500 كلم من جهة الغرب وعن قارة آسيا 2500 كلم شرقًا.

حدودها مع النيجر ومالي جنوبا وموريتانيا والمغرب الأقصى غربًا وتونس وليبيا شرقًا والبحر الأبيض المتوسط شمالًا.

ومنذ القدم كانت للجزائر علاقات مع دول المشرق العربي برًا وبحرًا ومنذ العصر الفرعوني، حتى إنّ الأمير عبد القادر لما خير إلى أي البلاد ينفي فقد اختار بلاد المشرق العربي والشام بالتحديد وكان بإمكانه الاختيار بين الكثير من البلدان الأوربية؛ فنفي لدمشق هو ومن كان معه من القادة والعلماء خوفًا من إبادتهم على يد الاستعمار الفرنسي⁽¹⁾؛ وتحمل مسؤولياته القومية فيها ودوره الريادي الذي قام به هناك لا ينسأه إلى جاحد أو حاقد⁽²⁾؛ ولا قومية هناك حينئذ إلا القومية العربية فلا يتصور وجود قومية أمازيغية هناك⁽³⁾؛ يقارب سكانها الآن 46 مليون نسمة 75 ٪ منهم شباب، عاصمتها الجزائر، عملتها الدينار الجزائري، لغتها الرسمية العربية؛ ودين الدولة الإسلام 99 ٪ من سكانها مسلمين و1 ٪ من ديانات مختلفة بفعل الهجرة والعمل لهؤلاء⁽⁴⁾.

دخول واستقرار القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي بالجزائر:

بدأت محاولات الفتح الإسلامي منذ سنة 23هـ؛ ولم تنته إلا سنة 76هـ بهزيمة الكاهنة على يد الصحابي الجليل حسان بن النعمان ولم تستقم الأمور إلا حوالي سنة

(1) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 21 وما بعدها.

(2) حتى أنه عرض عليه أن يكون ملكا على رأس الدولة العربية وهو أمازيغي قح؛ وقد تصدر للخطابة فور وصوله دمشق بالجامع الأموي؛ أنظر مزيدا: أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 23.

(3) بوزيانى الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 73. وأنظر أيضًا: سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). مرجع سابق؛ ص: 88 وما بعدها.

(4) المعهد الوطني للكتاب. جغرافية الجزائر والمغرب العربي. (الجزائر: المعهد التربوي الوطني)؛ ص: 4 وما بعدها.

85هـ وهي مدة طويلة استغرقها الفتح الإسلامي لبسط النفوذ في المنطقة أكثر من 3/5 من القرن فقد كان فتح المغرب العربي من أكثر الفتوحات مشتقة ومن أطولها زمنا لشجاعة البربر الفائقة ولوجود محرضين مندسين في صفوف الفاتحين من الخوارج على نظام الخلافة فكانوا يثثون السموم ويشعلون روح المقاومة في بعض سكان الجزائر خاصة وسكان المنطقة عامة لمقاومة الفاتحين⁽¹⁾؛ وقد وصل الإسلام إلى عمالة قسنطينة بالجزائر (400 كلم شرق العاصمة) سنة 59هـ على يد أبو المهاجر دينار وجعل مركز قيادته مدينة ميله فبنى بها دار الإمارة لأفريقيا الإسلامية في تلك الفترة وكانت الجزائر تسمى آنذاك (بالمغرب الأوسط) وقد استطاع أبو المهاجر دينار الوصول حتى ولاية تلمسان آخر حدود الجزائر الحديثة مع المغرب الأقصى⁽²⁾.

لقد كان دخول الهلاليين وإخوانهم إلى هذه المنطقة حدثا ضخما ترك آثاره على تكوينها الحضاري كله وكان هذا حوالي 440هـ؛ وكان عددهم يزيد عن المليون كما يذكر بعضهم رغم اختلافهم في عددهم الحقيقي وربما هو عدد مبالغ فيه؛ ولكن عددهم قد يتراوح بين 200 ألف إلى 500 ألف نسمة وهو الأقرب للتصديق⁽³⁾.

وقد كانت دولة بني حماد أول دولة بربرية مستقلة ناشئة في الجزائر بمكوناتها البربرية الصنهاجية⁽⁴⁾ الثقافية وغيرها، ولكن مع ذلك لم يكن ممكنا إهمال الخلفيات العربية الثقافية التي استقرت في كل المنطقة وليس الجزائر فقط منذ الفتح

(1) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة: أمين فارس؛ (الجزائر: دار الأنيس للنشر والطباعة؛ 2011م/1433هـ)؛ ص: 144 وما بعدها.

(2) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص: 25 وما بعدها.

(3) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص: 177 وما بعدها.

(4) هي القبيلة التي ينحدر منها زعيم الإصلاح في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس الذي قال في قصيدة مشهورة ويحفظها كل جزائري قال في مطلعها: شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب *** من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب.. إلخ ويطون القبائل الأمازيغية الكبيرة هي صنهاجة وزناتة وكناتمة. أنظر مزيدا: عبد الرحمن الجيلالي. تاريخ الجزائر العام؛ ج 1؛ مرجع سابق؛ ص: 74 وما بعدها. وأيضا: بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج 1؛ مرجع سابق؛ ص: 157 وما بعدها.

الإسلامي؛ بالإضافة إلى الجهد المبذول من قبل البربر في تعلم وتعليم الثقافة العربية وعلوم الدين المرتبطة بها.

التعليم العربي والديني في الجزائر المستعمرة:

إنّ الهجوم على الثقافة العربية في الجزائر وفي الكثير من بلدان العالم التي شهدت في إحدى الفترات المد العربي والإسلامي يخفي وراءه محاولة لطمس الدور الحضاري للعرب؛ وهنا أبين أن تاريخ العرب في الإسلام يتخلله تياران أساسيان يتلازمان حيناً ويسير كل في طريقه حيناً آخر؛ فهناك انتشار العربية وحركة التعريب الاجتماعي والثقافي التي وسعت آفاق العربية وجعلت منها لغة الثقافة والحضارة الجديدة؛ كما ضمرت الثقافات الأخرى أمام الثقافة العربية تلقائياً وبصورة سلمية⁽¹⁾. يذكر الرحالة شيمبر⁽²⁾ حينما يتطرق إلى الحديث عن التربية والتعليم في الجزائر فيذكر أن الأطفال يذهبون إلى المدارس وهي موجودة بكثرة؛ في السادسة من العمر يتعلمون فيها القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن؛ ثم يواصلون تعليمهم عند العلماء والفقهاء ويسافر الكثير منهم إلى تونس والإسكندرية والقاهرة إما لإتمام دراستهم أو لتعلم الحرف وفنون التجارة... وينوه المؤلف بشاب جزائري عرفه عن قرب ويقول عنه دون أن يذكر اسمه: "إنّه طاف بأوربا كلها تقريباً وعرف أهواها وتقاليدها معرفة جيدة وشاهد مسارحها وآثارها في كل مكان تمت له رؤيته؛ كما زار عدداً من البلدان الإفريقية وأنهى رحلاته بالحج إلى مكة وكان يتكلم إلى جانب العربية الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية واليونانية...

وبعد ذلك يقرر شيمبر ما يلي: "لقد بحثت قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهد القراءة والكتابة؛ غير أنني لم أعثر عليه في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا"⁽³⁾.

(1) عبد العزيز الدوري. الجذور التاريخية للشعبوية. ط3؛ (بيروت: دار الطليعة؛ 1981م)؛ ص 74 وما بعدها.

(2) رحلة ألماني زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831م له كتاب صغير الحجم اسمه رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر تم طبعه في سنة 1834 بمدينة شتوتغارت.

(3) أبو العبد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 — 1855م. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب؛ 1989م)؛ ص: 13 وما بعدها.

سياسة التعريب واللغة الرسمية للجزائر:

إنّ الجزائر، أرض الإسلام، وجزء لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير، وأرض عربيّة، وبلاد متوسطيّة وإفريقيّة تعترّ بإشعاع ثورتها، ثورة أوّل نوفمبر، ويشرفها الاحترام الذي أحرزته، وعرفت كيف تحافظ عليه بالتزامها إزاء كلّ القضايا العادلة في العالم؛ إنها فقرة من ديباجة الدستور الجزائري الأخير؛ كما نذكر بالمادة الثالثة منه والتي نصّها بالحرف: اللغة العربية هي اللغة الوطنيّة والرّسميّة؛ وهي من الثوابت التي لا تقبل أي تعديل فقد جاء في نص المادة 178 (25): في فقرتها الرابعة: لا يمكن أيّ تعديل دستوري أن يمسّ العربية باعتبارها اللغة الوطنيّة والرّسميّة؛ والدستور هو أعلى نص قانوني عند الحقوقيين وهو يعبر عن الشخصية الوطنيّة الجزائرية⁽¹⁾.

إنه ودفعاً لكل التباس وكل غموض وتوضيحاً للمسألة، فإنه من الضروري التمييز بين ما يسمى باللغة وهي أداة القراءة والثقافة وأداة التعامل بين أفراد المجتمع على نطاق واسع وبين اللهجة التي هي عبارة عن أداة التخاطب لا تستعمل إلا محلياً، فلا تقرأ ولا تكتب وألفاظها وتعابيرها مشتقة في معظمها من اللغة المشتركة؛ لغة الثقافة والتعليم فهي لذلك تسمى لهجة محلية ولا يمكن أن تحل محل اللغة ولا أن تحتل مكانتها... وقد أجمع جمهور علماء السياسة على اعتبار اللغة من المقومات الأساسية للأمة؛ وبها ومن خلالها تنمو هذه الأمة وتتأكد شخصيتها فتبرز وتفرض وجودها⁽²⁾.

إنّ الجهود التي تبذل من أجل تعريب التكوين في بلادنا والأهمية التي تكتسيها هذه الجهود والأبعاد التي تتضمنها لا يمكن الإحاطة بها، ما لم توضع في سياقها التاريخي الصحيح ضمن مسيرة هذا الشعب في الصمود للتحدي الذي فرضه عليه الاستعمار بغزو أراضيه ومحاولة تجريده من شخصيته ثم بتصفية هذا الاستعمار

(1) مولود ديدان. نصوص القانون الدستوري الجزائري. (الجزائر: دار بلقيس؛ 2008م)؛ ص: 5 / 6 / 38.

(2) جمال قنان. قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. (الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد؛ 1994م)؛ ص: 294 وما بعدها.

سياسيًا ومتابعة الجهود لتصفية تركته السلبية التي خلفها وراءه والتي من أبرز مظاهرها التغريب اللغوي والاستلاب الثقافي... وقد كان الهدف الأساسي للاستعمار واضحًا منذ دخوله الأول واستلام العاصمة الجزائر يوم 05 جويلية 1830م؛ والذي يتمثل في هدم البلاد هدمًا كاملاً بالقضاء على جميع مقومات الشخصية الجزائرية والتي منها المقوم الثقافي⁽¹⁾، وسيبقى التاريخ يذكر أنّ أول من قاوم المحتل والغزو الثقافي قبل الغزو العسكري في بداية القرن التاسع عشر الميلادي في البلاد العربية كلها هو الشعب الجزائري ذي الأصول الأمازيغية، والحقيقة أن النضال لم يكن لأجل الجزائر فقط ، ولم يكن منفصلاً عن النضال من أجل بلاد الشام أيضاً والمشرق العربي فهذا هو ذا الشيخ طاهر الجزائري (1852/1920) وجمال الدين القاسمي يجمعان الناس والمريدين حولهما لأجل تكوين بذرة وفكرة القومية والإصلاح والتعريب وقد استطاع الشيخ طاهر الجزائري تأسيس المكتبة الظاهرية في دمشق؛ وهو الذي استطاع جعل اللغة العربية — على عهد حكم الأتراك لبعض بلاد المشرق العربي — لغة التعلم لكن الدولة كفت يده فيما بعد وعادت التركية هي لغة التعلم؛ بالإضافة إلى ما قام به الأمير خالد الجزائري حين أسس جمعية سماها آنذاك بجمعية الإخاء العربي العثماني وكان هذا في سنة 1326هـ/1908م⁽²⁾؛ كما قام الشيخ طاهر الجزائري ذي الأصول الأمازيغية فهو من مدينة أقبو من ولاية بجاية الحالية في سنة 1904م بتأسيس جمعية النهضة العربية⁽³⁾.

المقاومة الجزائرية لفرنسا ثقافيًا:

إنّ إعانة فرنسا لمستعمراتها من منظار ديغول نابعة من رغبة جامحة ونظرة

(1) المرجع السابق نفسه؛ ص: 301.

(2) سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). ط1؛ (الجزائر: دار الأمة؛ 1417هـ/1997م)؛ ص: 117 وما بعدها.

(3) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 23.

مستقبلية مدروسة لتمكين اللغة الفرنسية كأداة والثقافة الغربية كمحتوى حضاري تحملها هذه اللغة⁽¹⁾. وقد كانت مقاومة فرنسا من قبل الجزائريين لفرنسا لتسميتها بفرنسا وهو الاسم ذاته الذي تحملها لغتها؛ ولأن فرنسا تختلف عن الجزائر وأهلها من حيث مركبين أساسيين؛ ألا وهما الدين واللغة سواء كانت اللغة العربية واجهة الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم أو من حيث اللهجات المحلية.

وقد كتب ديغول فقال: "حتى تتكلم بلدان ما وراء البحر لغتنا وتقاسمنا ثقافتنا فلا بد من إعانتها"؛ وعن إعانة الجزائر في إطار مشروع قسنطينة كتب الجنرال موجهاً: "إننا مستعدون لإعانة تنمية الجزائر بإمدادها كل عام بدعم مالي هام وبمواصلة تنفيذ مشروع قسنطينة وبإعانة مختلف النشاطات بتقنيينا وباستقبال العمال والطلبة الجزائريين في أوسع مجال؛ وبإمداد الجزائر بالمعلمين في كل أطوار التعليم الوطني حتى تتكون النخبة الجزائرية في الثقافة الفرنسية وحتى يتعلم الشعب باللغة الفرنسية"⁽²⁾.

ومما يثير الانتباه هو مكانة الصدارة التي كان يحتلها مطلب تدريس اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الجزائرية في قائمة المطالب التي كان يقدمها الشعب للإدارة الاستعمارية وهذا منذ السنوات الأولى للاستعمار إلى قيام ثورة غرة نوفمبر 1954م، ففي كل مناسبة وفي كل طرح يسمح له بالتعبير عن رغبته أو إسماع شكواه إلا ونجد مطلب تدريس اللغة العربية والعناية بها من بين المطالب الرئيسية التي كانت تصدر هذه العرائض، مما دفع بالمستعمر الفرنسي الغاشم للاعتراف باللغة العربية رسمياً كلغة رسمية ثانية في البلاد عام 1947م؛ من خلال ما سمي آنذاك بالقانون الأساسي للجزائر باعتبارها مستعمرة فرنسية؛ وبعد الاستقلال كان التعريب مطلباً حيوياً لاستكمال الاستقلال الوطني، فالبناء الوطني لا يكتمل صرحه وثبتت

(1) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 576 وما بعدها.

(2) شاوش حباسي. من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830 — 1962م. (الجزائر: دار هومة؛ 1998م)؛ ص: 49.

دعائه إلا بالقضاء على التغريب اللغوي والتبعية الثقافية والاستلابية الذهنية ولن يتسنى ذلك إلا بتعميم استعمال اللغة الوطنية (اللغة العربية) في جميع القطاعات واعتمادها كلغة تكوين في جميع المستويات ولم يعد هذا المطلب قابلاً للنقاش ولكنها أخذت وقتاً للتطبيق وهذا للقضاء على مخلفات الاستعمار الفرنسي كما وقد وضعت الأسس لتعريب المدرسة الجزائرية في مستوياتها المختلفة؛ الابتدائي المتوسط والثانوي فكل المواد تدرس باللغة العربية وحتى التعليم العالي وكانت المواثيق والقوانين مواكبة دوماً لهذا التطبيق الميداني للتعريب⁽¹⁾.

وكانت حقيقة التعليم العربي في الجزائر التي يتجاهلها الكثير أحياناً وهي تغطي كل التعليم المدرسي العربي هي العلاقة المطلقة بين الدين والتعليم الإسلامي من حيث الوسائل والأهداف وصدق عبد الرحمن بن خلدون حين أدرك حقيقة ارتباط العربية بالقرآن الكريم والدين الإسلامي عموماً حين ذهب إلى أنه لا تمكين للعرب إلا بالدين وخاصة في هذه الديار وب عقلية الأمازيغ الذين لا يمكن إخضاعهم بسلطان القوة في حين تسهل قيادتهم بسلطان الدين والقرآن الكريم دون جور؛ ولذلك لم يحض وأي جنس من الذين سبقوا العرب إلى هذه البلاد بالاستقرار لما كانوا يقومون به من أعمال فيها ظلم لأهالي البلد ولذلك لم تكتمل في رأي ابن خلدون أية حضارة فيها⁽²⁾؛ وقد جعل هذا التداخل والإلزامية الحتمية بين العربية والإسلام المستعمر الفرنسي في غاية الحرج عند وضعه لأية خطة تعليمية يقضي بها اللغة العربية⁽³⁾.

لم يكن يرد أطفال المسلمين في الجزائر المستعمرة إلى غاية سنة 1867م سوى رفع الأيدي عنهم وتركهم في حرية اختيار تعليمهم وبالتالي باءت محاولات الاستعمار كلها بالفشل في محاولة جمع أبناء المسلمين مع أبناء المسيحيين وأبناء اليهود تحت

(1) جمال قنان. قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. مرجع سابق؛ ص: 303.

(2) ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. مرجع سابق؛ ص: 281 وما بعدها.

(3) ايفون توران. المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة: المدارس والممارسات الطبية والدين من 1830م إلى 1880م.

ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة؛ (الجزائر: دار القصة؛ 2005م)، ص: 126.

سقف مدرسة واحدة⁽¹⁾، مما دفع المستعمر باتجاه إنشاء مدارس التعليم العربي الابتدائي الحر بهذه التسمية والتي كانت مناهجه مختصرة في علوم العربية وعلوم الدين بالأساس بالإضافة إلى بعض علوم الحياة الأخرى وعلوم الآلة محاولة منه لاختراق التعليم العربي الحقيقي الذي استعصى عليه اختراقه من قبل⁽²⁾. ولكنه لم يفلح إلى الحد الذي كان يريده وهذا لطبيعة البرامج الدراسية التي كانت الزوايا مسرحًا لها فقد كان يدرس بها الصرف من خلال لامية الأفعال مثلاً؛ والنحو من خلال تدريس مصنف الأجرومية لمحمد بن داود الصنهاجي والذي كما قيل أنه لم يؤلف مثله في النحو على صغر حجمه؛ بالإضافة إلى تدريس الأزهرية والشذور والألفية وشروحها الوافية وكان هذا كله حفظاً وكتابة؛ وكان في الفقه المالكي موطأ الإمام مالك وبداية المجتهد ونهاية المقتصد؛ وتحفيظ القرآن برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق...⁽³⁾؛ وهكذا؛ وبهذه الوحدة في المنهج الدراسي تحقق شيء عظيم في اعتقادي وهو الوحدة الفكرية لهذا الشعب فكانت بذلك كلمته الوحيدة في وجه الاستعمار الفرنسي هي: إما الخروج من الوطن أو فوهة البندقية وقد تحققت هذه الأخيرة في الفاتح من نوفمبر 1954م،

الأمازيغ ونشر اللغة والثقافة العربية في أفريقيا:

لقد كان من نتائج انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا ووسطها قيام مدن وعواصم وممالك إسلامية هامة ازدهرت فيها الثقافة والتجارة والحضارة الإسلامية بكل مكوناتها والتي منها اللغة العربية بفضل قوافل التجارة الصحراوية التي كانت تعبر المنطقة شرقاً وغرباً؛ شمالاً وجنوباً ومن بين المدن والعواصم الإسلامية الهامة: أوداغوش؛ وجني؛ تمبوكتو؛ تيغرة؛ تاوديني؛ أزواد؛ ولاته (ايولاتن)؛ تونديني؛ تاد مكة (مكة الجديدة)؛ قاو؛ ماسينا؛ غانة أوكور؛ تيكدة؛ وزاريا؛

(1) المرجع السابق نفسه، ص: 203.

(2) المرجع السابق نفسه، ص: 219.

(3) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 153 وما بعدها.

كانوا؛ كاتسنة؛ ودان؛ سوكوطو..⁽¹⁾.

واتفق معظم المؤرخين والكتاب بأن سكان مالي من أكثر زنوج أفريقيا رقيا
وذكاء وأمهرهم في الصناعات التقليدية وأشدهم تمسكا بالإسلام وبالأمانة والعدل
والعفة والأمن ونظافة القرى يحرصون على أداء صلاة الجمعة ويلبسون الثياب
البيضاء ويعتنون بحفظ القرآن الكريم كثيرا كبارا وصغارا وبلغت مدينتا (جني
وتمبوكتو) شأوا عظيما في التطور الفكري والثقافي والعمراني على عهد دولة مالي؛
وكلاهما تم إنشاؤهما في القرن الحادي عشر للميلاد؛ الأولى على أيدي برابرة صنهاجة
الجزائرية⁽²⁾؛ والتي تشتهر بكثرة الزوايا المنتسبة إليها⁽³⁾؛ والثانية على أيدي برابرة
الطوارق الجزائريين أيضا؛ وقد بلغ عدد سكان الأولى 10 آلاف نسمة والثانية 35
ألف نسمة في مطلع القرن 15م؛ والكثير منهم يتقنون اللغة العربية ويعلمونها⁽⁴⁾.

غير أن الاستعمار الفرنسي النصراني الذي بدأت طلائعه تزحف على القارة
الإفريقية منذ أواخر القرن 18م ومطلع القرن 19م سهر وعمل من أجل إيقاف هذه
النهضة والتطور وقطع الصلة بين السودان العربي المسلم وبعض بلاد أفريقيا الغربية
من جهة وباقي أجزاء العالم الإسلامي من جهة ثانية بمختلف الوسائل⁽⁵⁾؛ ونشر
المسيحية واللغة الأوروبية اللاتينية خوفا من انتشار العربية فيها ومزاحمتها للمد
الفرنسي في المنطقة؛ والذي يلتقي بسكان مالي والنيجر وتشاد يقف على هذه الحقيقة
بنفسه وهذا بفضل جهود بعض أبناء الأمازيغ في نشرهم للغة العربية لغة القرآن
الكريم⁽⁶⁾.

ولقد دافع الجزائريون المبعدون إلى سوريا من طرف الاستعمار الفرنسي عن

(1) يحي بوعزيز. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية. (الجزائر: دار هومة؛ 1421هـ / 2001م)؛ ص 15.

(2) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 297. وأيضا: بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية
أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج 1؛ مرجع سابق؛ ص: 73.

(3) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 16.

(4) يحي بوعزيز. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 32.

(5) سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). مرجع سابق؛ ص ن. من المقدمة

(6) يحي بوعزيز. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 5.

عروبة الجزائر خاصة وبلاد المغرب العربي عامة؛ فقد أفسد هؤلاء الجزائريون على المستعمر الفرنسي كل مخططاته الاستعمارية في بلاد المشرق والمغرب معا⁽¹⁾؛ فقد قام الشيخ مفتي المذهب المالكي في دمشق محمد مكي الكتاني وهو أحد علماء المغرب الأقصى المهجرين إلى سوريا قام بتأسيس جمعية الدفاع عن أفريقيا العربية وكان من بين المؤسسين أيضا شخصيات جزائرية كثيرة أمثال أحمد جودت الهاشمي⁽²⁾؛ وكامل عياد؛ وعبد الغني الباجقني؛ وهادي الرئيس؛ وعلى الجزائري؛ وعمر فرحات؛... كما قام الشيخ محمد مكي الكتاني في بداية الخمسينات بإنشاء جمعية تحرير المغرب العربي بفرعين في دمشق وفي بيروت فترأس هو فرع دمشق وترأس فرع بيروت عبد السلام بوعزة الجزائري وهو تاجر كبير ورغم هذا لم يمنعه العمل التجاري والنشاط الاقتصادي من أخذ مواقف مشرفة للدفاع عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم⁽³⁾.

أهداف الاستعمار الفرنسي ومحو الهوية الجزائرية (الإسلام والعروبة والأمازيغية):

لقد كان من بين أهداف الاستعمار الفرنسي والتعليم التبشيري المصاحب له القضاء على الدين الإسلامي وعلى اللغة العربية معا فهما متلازمان في الخصومة مع المستعمر.

إن الذي كان يظن أن فرنسا تشجع اللهجات المحلية لأجل عيونها فهو مخطئ وإنما الهدف هو سلبهم عن اللغة العربية وعدم تمكينهم من لهجتهم فيلجؤونه إلى الفرنسية في آخر المطاف، وعليه فقد كان هدفهم غير المعلن هو تكوين النخبة الجزائرية الموالية لفرنسا⁽⁴⁾؛ وقد أشار الشيخ أبو يعلى الزواوي إلى أن الاستعمار الفرنسي وأكاديميه ومثقفيه عملوا منذ وقت طويل على إشاعة الفتنة والحرب الأهلية

(1) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 17.

(2) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 16.

(3) سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). مرجع سابق؛ ص: 169 وما بعدها.

(4) محمد الطاهر وعلي. التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م؛ دراسة تاريخية تحليلية. (الجزائر: منشورات دحلب؛ 1997م)؛ ص: 67 وما بعدها.

في أي قطر عربي يبتلى بهم ويريدون من الزواوة (القبائل أو الأمازيغ أو البربر) أن يكونوا وقودًا لهذه الفتنة وأداة من أدوات الانفصال والتقسيم (في الجزائر طبعًا) ولكنهم تفتنوا لأساليبه، فأفسدوا كل خططه في الجزائر وفي بلاد الشام وقادوا حركة النهضة العربية الإسلامية هنا وهناك⁽¹⁾.

ولاعتبار اللغة العربية هي واجهة الدين الإسلامي لأنها لغة القرآن فكان يجب القضاء عليها للقضاء على تعلم القرآن ومبادئ الدين الحنيف فاللغة العربية والدين الإسلامي معوقان في وجه المستعمر الفرنسي فوجب تدميرهما وهذا بنشر لغة وثقافة المستعمر الخادمة له في أوساط الشعب الجزائري مع تهئية الأرضية للتنصير ونشر الفرنسية على أوسع نطاق⁽²⁾.

لقد درس المبشرون المجتمع الجزائري جيدا ثم فصلوا المؤامرات لفصله عن المحيط الثقافي والديني الذي اعتاده (الإسلام والعروبة)؛ فمما قاموا به هو بعث النعرات من جديد وإحياء بعض اللهجات التي اندرست وبقيت تراثا في اعتقادي بعد تعلم الناس للعربية وأصبحت لغة التعامل والعلم معا فبعثوا في أجيال متعاقبة روح الانتقام من العرب الفاتحين لأنه في اعتقادهم أدخلوا أجدادهم في الإسلام بحد السيف، وإلى ما هناك من الدسائس والتحريضات التي لا سند لها غير الأكاذيب ومن هذه اللهجات الأمازيغية نجد: القبائلية؛ الشاوية؛ والتارقية؛ الميزابية؛ الشرشالية...؛ وربطوا الدين الإسلامي بلغته وهي العربية فكان المقصد واضحا وواحدا وهو ضرب الإسلام واللغة العربية واجهته التي نزل بها القرآن الكريم⁽³⁾، ولقد كان من أهل الجزائر من وعى هذا الخبث جميعا؛ ولعل رد الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله لما

(1) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 17.

(2) محمد الطاهر وعلي. التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م؛ دراسة تاريخية تحليلية. مرجع سابق؛ ص: 67 وما بعدها.

(3) محمد الطاهر وعلي. التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م؛ دراسة تاريخية تحليلية. مرجع سابق؛ ص: 63.

سئل عن أصله فقال: أنا أمازيغي عربي الإسلام فرحمة الله عليه وعلى أمثاله والذين كانوا كثراً وما هو إلا عينة منهم.

وقصد استمالة أهالي البلاد المتمسكين بالعربية أيضا اتجهوا إلى تعلم اللغة العربية لتبسيط وتسهيل المهمة فقد أولوا أهمية كبرى لتعلم العربية وكان هذا بداية من السنة الدراسية 1868م 1869م فقد خطب لافيجري (الأسقف المعروف بمخطط تنصير الجزائر) وقال لتلاميذه في هذه السنة الدراسية: "لاحظت بمزيد من الدهشة والحسرة باستثناء واحد أو اثنين بأن علم لغة الأهالي أجنبي عنكم تقريبا؛ إن في هذا وأخاف أن أقوله؛ لمصيبة وغلطة يجب حتما تصحيحها وهكذا لن أكون آمرا لأي راهب لا يفهم العربية جيدا؛ ولا يكون قادرا على التعبير بهذه اللغة ولتحقيق هذا الهدف أريد أن تقام دروس وبصفة جدية للغة العربية في كل يوم وبدون استثناء بما فيها يوم الأحد..." والغرض من تعلمها هو العيش في أوساط الأهالي الذين تعرب لسانهم لأجل إحداث التأثير فيهم وبشكل سلمي لغة ودينا⁽¹⁾.

أعلام اللغة والأدب العربي من الأمازيغ في الجزائر:

لم يكد يزرغ القرن الرابع الهجري حتى صار الكثير من الأمازيغ يزاحمون العرب في لغة الضاد وأصبحوا فقهاء العرب في قواعد وأصول وتفاريع الفقه ومبادئ علم الكلام⁽²⁾.

فكان الطابع العربي قد بدأ يغلب على الحياة الثقافية منذ مطلع القرن الرابع الهجري وقد ساعد على ذلك أن الثقافة واللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ فهي واجهة الدين وبها يبلغ. إن بلاد المغرب عموما محاطة ببلاد عربية إن من الشرق وإن من الشمال من بلاد الأندلس حاضرة الخلافة الأموية الثانية⁽³⁾.

(1) محمد الطاهر وعلي. التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م؛ دراسة تاريخية تحليلية. مرجع سابق؛ ص: 172 وما بعدها.

(2) بوزيانى الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 187 وما بعدها.

(3) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص: 247 وما بعدها.

انتشر تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في الجزائر في الكثير من الأماكن فكان المسجد وهو مكان للتعليم تابع للمسجد والذي استقل فيما بعد وأصبح نواة للتعليم الثانوي والجامعي المعروف اليوم وكذا المسجد الذي لا يخفى على أحد دوره في تعلم اللغة والحفاظ عليها وعلى علوم الدين الأخرى الكثيرة؛ بالإضافة إلى هذين (الصرحين تسمية) وجدت ما تسمى بالزاوية وهي موجودة إلى اليوم وبذات الاسم والدور وهي منشرة كثيرا في الجزائر قديما وحديثا وهي التي لعبت الدور الكبير في المحافظة على الهوية وعلى الدين واللغة العربية أيام الاستعمار الفرنسي وهي تختلف بين الكبيرة والصغيرة، كما كانت الكتاتيب أشهر أماكن التعليم أيضا وخاصة الابتدائي منه والتي ربما تختلف عن المسجد من حيث ملكيتها الخاصة، وكان عند البدو مكان يسمى الشريعة وهو يقوم مقام الكتاب في الحاضرة وهي خيمة كبيرة للتعليم إلى جانب كونه مصلى في أوقات الصلاة.

وقد برز علماء الجزائر المتخصصين في علوم شتى⁽¹⁾؛ فكان في علوم العربية كما في علوم الآلة وغيرها وكانت بجاية كعبة الشعراء ومقصد طلاب العلم فقد بلغ في مرات كثيرة عدد الطلبة بها زهاء 3000 طالب علم⁽²⁾؛ وقد كان الأدب العربي نثرا وشعرا مناط عناية واحترام كل الطبقات من ملوك ووزراء ورجال دولة وعامة؛ وكانت العربية الفصحى المصنفة بلسان العرب النازحين لغة الثقافة والفكر مع وجود اللهجات المحلية لأهل البلاد التي كانت تحمل الأدب العامي لآهالي المنطقة.

وبقيت اللغة العربية هي اللغة الحية القوية السهلة المطوعة للتعبير عن الفكر العلمي وفرضت نفسها فأصبحت لغة السياسة والتخاطب الأدبي؛ وبها قدمت الجزائر في عصر الحماديين كوكبة من الكتاب والشعراء وأهل اللغة وأسهمت في إبرازهم

(1) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 159. وأنظر أيضا: سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). مرجع سابق؛ ص: 230 وما بعدها.

(2) عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص: 252 وما بعدها.

ومنهم: أبو عبد الله الكاتب المعروف بابن دفرير؛ ومنهم: أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن القالمي.

ومن الشعراء المبرزين أبو حفص عمر بن فلفول؛ وكذلك علي بن الزيتوني الشاعر؛ وإبراهيم بن الهادي الشاعر؛ وعلي بن الطيب ويوسف بن المبارك وابن أبي المليلح الطيب ومحمد بن البين وعلي بن مكوك الطيبي وحامد بن علي وعلي بن أبي الرجال وابن الريبب أبو علي الحسين خبير اللغة والشاعر ويوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي؛ ويوسف الورجلاني الورقلي مولدا وكان ممن التقى بالجاحظ؛ له مؤلفات كثيرة منها تفسير القرآن الكريم، ومن اللغويين أيضًا أبو الطاهر عمارة بن يحيى وغيرهم كثير⁽¹⁾. كما نجد أيضا ثلة من الشعراء والأدباء وهم كثر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني البربري توفي سنة 274هـ كان شاعرا فحلا وعالما بعلوم شتى كالهندسة والكيمياء؛ وقد كان شعره في الكثير من الأغراض المعروفة في العربية.

قال بعد إتمام توسيع المسجد الجامع:

محمد خير مسترعي ومؤتمن للمسلمين جميعا حيث كانوا

بنى لهم مسجدا جلت عجائبه لولا السماء لما ضاهاه بنيان

ولما صنع المنقانة (الساعة) نقش فيها أبياتا من نظمه وهي:

ألا إنني للدين خير أداة إذا غاب فيكم وفي كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ولم ينر كواكب ليـل حالك الظلمات

وله شعر كثير وفي كل المناسبات لا يسعنا المقام لذكرها⁽²⁾.

ومنهم ملحان بن عبد الله بن ملحان بن سالم القرطبي البربري من أعلام

(1) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 117 وما بعدها. وأيضا: عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. مرجع سابق؛ ص: 262 وما بعدها.

(2) بوزيانى الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. (الجزائر: دار الكتاب العربي؛ 2007م)؛ ج2؛ ص: 231 وما بعدها.

النصف الأول من القرن الرابع الهجري؛ اشتغل مؤدبا ثم أصبح كاتباً لعيسى بن فطيس؛ كاتب عبد الرحمان الناصر وكان نحويًا وعروضيًا وراوية للأشعار؛ ومنهم أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خمار الأستجي البربري المعروف باسم العطار توفي بالبيرة سنة (387هـ) وهو من العلماء الحفاظ مستوعب لمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكان بصيرا بالمذهب المالكي ومتحكما في الإعراب والحساب وكان من أهل الفضل والزهد أيضا⁽¹⁾.

ومنهم الشيخ أبو يعلى الزواوي العالم الجليل والذي كان من أفكاره وفلسفته التي ينادي بها؛ وحدة الوطن؛ وحدة التاريخ؛ والانتماء للحضارة الشرقية؛ ووحدة اللغة ومدى تشابه اللهجات العربية باللهجات الأمازيغية؛ ووحدة المزاج؛ ووحدة العشيرة كأسماء العشائر والأماكن ما بين المشاركة والمغاربة؛ ووحدة العقل ووحدة التربية التي كان يحاول أن يستجمع فيها كل أفكاره التي تربطه بالشرق دون الغرب⁽²⁾؛ هذه الأفكار كلها لا يجب أن تقرأ خارج الانتماء للدين الإسلامي.

ومنهم أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد القرطبي البربري المعروف بابن القزاز توفي سنة (394هـ أو 395هـ) وهو من أعظم علماء اللغة؛ قال فيه ابن الفرضي: "وكان أبو عثمان هذا حافظا للغة العربية؛ حسن القيام بها ضابطا لكتبه متقنا في نقله وله كتاب في الرد على صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المسمى بالفصوص وهو كتاب في النوادر والغريب"، ومن النساء أيضا كانت أم العلاء بنت يوسف الجارية البربرية من أعلام القرن الخامس الهجري كانت شاعرة متميزة ومما قيل فيها إنها ممن تفخر بها بلدها وقبيلتها ومن شعرها:

كل ما يصدر عنكم حسن وبعليائكم يحلى الزمــــن
تعكف العين على منظركم وبذكراكم تلــــذ الأذن

(2) المرجع السابق نفسه؛ ص: 239.

(3) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 34/41/44/53/60/72.

سؤال قدمه له أمير إحدى البلاد وهي مدينة قاو سنة 1502م من جملة سبعة أسئلة طلب منه أن يجيب عليها بتوسع حتى يمكن للأمير تطبيقها.

فقال في أحد الأسئلة: "أصابتنا مصيبة في هذا البلد وهي أن من ينسبون إلى العلم من قراء بلدنا عجم لا يفقهون من كلام العربية إلا قليلا من كلام عرب بلادهم مع تصحيف وتحريف وعجمة عظيمة... أطلب منك أن تفتي لي بما علمك الله في هؤلاء القراء هل يعمل بأقوالهم أو نبحت عن نوليه الحكم والفتوى من المصلحين؟ وماهي صفاتهم؟" وهي كلمات تدل على غيرة عظيمة على لغة الضاد خوفا عليها من تفشي اللحن في أوساط المتكلمين بها ولعله يذكرنا بما أقدم عليه أبو الأسود الدؤلي عند نقطه للمصحف الشريف.

وكان ملخص جواب الشيخ المغيلي هو أولا: أن تحسن اختيار البطانة والوزارة وثانيا: سؤال أهل الذكر والعلم فيما لا يعلم الأمير ليتسنى لك الحكم بما أنزل الله⁽¹⁾. وقد كان منهم أيضا عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين وهو الأديب والشاعر والسياسي⁽²⁾.

هذه عينات فقط من بعض أبناء تلك الديار من غير العرب ولكن ممن تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية متيقنين بحقيقة وهي أن اللغة العربية هي واجهة الإسلام وبها نزل أصل الدين الأول وهو القرآن الكريم وبها تحدث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالأصل الثاني لديننا الحنيف، إذا فهذه رسالة صريحة للذين يشككون أو يتجاهلون الثروة العلمية والثقافية وخاصة المهتمة باللغة العربية؛ هذه الثروة التي انبثقت من بلاد الجزائر بالمغرب الإسلامي وسطع بعض نورها على البلاد الإسلامية في غرب أفريقيا كالسودان ومالي والنيجر⁽³⁾ وجنوب أوربا كالأندلس وغيرها⁽⁴⁾؛ حيث أضافت إلى سجلات التراث العربي خاصة والإسلامي عامة صفحات ذهبية أفادت

(1) يحي بوعزيز. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 99 وما بعدها.

(2) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج1؛ مرجع سابق؛ ص: 93.

(3) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 297.

(4) المرجع السابق نفسه؛ ص: 267 وما بعدها.

أجيالا وأجيالا؛ ولكنها تمت في صمت رهيب؛ وقد كان سببه في اعتقادي نكران الأمازيغ في مغربنا الإسلامي لذواتهم وهم يخدمون شيئا مقدسا وهو الدين الإسلامي واللغة العربية⁽¹⁾ وأيضا تواضعهم الشديد هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما لتجاهل غيرهم لهم فقد كانوا ربما ضحية سحابة صمت وتجاهل من جهات ثقافية إسلامية مشرقية أخرى⁽²⁾.

وأخيرا ونحن بصدد الحديث عن هؤلاء العباقرة وما خلفوه لنا من أنباء في هذه البلاد لا ننسى التذكير بالكم الهائل من المؤلفات والنصوص الأدبية والفلسفة الدينية التي تزخر بها مئات المجلدات والتي كتبت جميعها بلغة عربية جميلة وبأسلوب هو أقرب لأسلوب المحدثين منه إلى أسلوب القدامى⁽³⁾؛ ومن طرف أبناء الأمازيغ فقد حملوا على عاتقهم مهاماً جلية وثقيلة لرفع الثقافة العربية الإسلامية إلى مراتب سامية بين الثقافات الإنسانية الأخرى فكان لهم ما أرادوا وسعوا إليه⁽⁴⁾.

(4) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. مرجع سابق؛ ص: 295 وما بعدها.

(5) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج2؛ مرجع سابق؛ ص: 245.

(6) أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مرجع سابق؛ ص: 16.

(7) بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. ج2؛ مرجع سابق؛ ص: 246.

خاتمة

وخلاصة القول: لقد جاء هذا البحث لإزاحة بعض الغبار الذي وقع على الثقافة الأمازيغية وتمسك الأمازيغ وحبهم الشديد للغة القرآن الكريم (اللغة العربية)؛ أقول الذي وقع من طرف مثقفي الاستعمار الفرنسي الذي أراد سلخ هذه المنطقة جغرافيا وثقافيا فقد سعى إلى طمس تاريخهم وفصلهم عن بني أرومتهم العرب وزرع الفتن بينهم وبين أهلهم سواء في الجزائر أو في سائر الأقطار العربية الأخرى التي ابتليت بالاستعمار الاستيطاني الفرنسي خاصة.

إن الأمازيغ كما أثبت التاريخ هم شركاء أصليون ومؤسسون في الحضارة العربية الإسلامية وليس في أية حضارة أخرى وهم في اعتقادي مسؤولون بنفس الدرجة من المسؤولية على ازدهارها السابق وتحلفها الحالي وتجدها المأمول والمطلوب؛ وليس هذا موقعهم وموقفهم في ومن النهضة الأوربية الغربية قديما وحديثا ومستقبلا.

كما نسجل أخيرا التفريط الواضح من قبل أهل المشرق نحو أهل المغرب الإسلامي؛ ولعل هذا الذي كثرت بسببه أطماع الغرب نحوهم؛ فلو ملأ أهل الشرق الفراغات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خاصة بعد استقلالها لكان الأمر مختلفا في اعتقادي والله أعلم.

اللغة العربية في بلاد المغرب الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة بخير رغم ما أصاب أهلها من ضعف وخوار بسبب مزاحمة لغة المستدمر لها والتي طرحنا أسبابها في صلب هذا الموضوع؛ وأن الصراع الثقافي كان أثقل وقعا وفي المقابل أشد مقاومة من طرف الشعب الجزائري؛ وأن أهل اللغة العربية في الجزائر تفتنوا لكل حيل الاستدمار الفرنسي الدافعة إلى تهميش الشرق واللغة العربية والحد من نفوذها في بلاد المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة؛ ولكننا نعتبرها كبوة جواد سرعان ما ينهض منها ولعله يكون قريبا بإذن الله تعالى؛ ففي الجزائر أهل اللغة العربية وأشدّهم حرصا

وغيره عليها لارتباطها بأعظم كتاب أنزل ألا وهو القرآن الكريم وهم من الأمازيغ الأفحاح؛ والذي نعتقده هو أن اللغة العربية بهم ستقوى مثلما أنها بالعرب ستبقى.

الحرف الأمازيغي بين الأصالة والتأثر

(دراسة في العلاقة بين اللغتين الأمازيغية والفينيقية)

أ.د. عبد الوهاب محمد عبد العالي (*)

أ. إبتسام عبد الله جدادي صبخة (**)

مما لا شك فيه أن اللغة أهم عنصر لدراسة الشعوب، والبربر لهم لغة واحدة يسمونها أوال أمازيغ (Awal Amazig) أي اللغة النبيلة، والدليل على قدم اللغة الأمازيغية وتعايشها مع لغات أخرى احتواؤها اليوم على مفردات من عدد من اللغات اللاتينية والإغريقية والعربية، غير أن هذا لا يمكن أن يفهم منه فقر هذه اللغة في المفردات أو في التعبير الدقيق⁽¹⁾.

والسبب يعود إلى الطابع الشفوي الذي لازمها قرونًا طويلة، وكانت اللغة البربرية محل فرضيات عديدة من حيث أصلها، واشتقاقها، وانتماؤها، وقد أرجعها (برثولون) إلى أصول إغريقية، وأنها لهجة هليينية جاء بها الثراسيون⁽²⁾. ورأى آخرون أنها من أصل سومري، ولعل أقدم النصوص المكتوبة بالحرف الليبي - التيفيناغ - قد عثر عليها في مجموعة من النصب الجنائزية من خلال النقوش والرسومات الموضحة للمعنى اللغوي، وهي تعد الشكل البدائي للهجات الأمازيغية المتداولة حاليًا⁽³⁾.

وقد تم جمعها وتدوينها، وبعد مرور أكثر من قرن من الجهود المتواصلة فإنها في أغلبها غير مقروءة. رغم وجود وسائل هامة بين أيدي الباحثين مثل النصوص المزوجة (ليبية - بونية ليبية - لاتينية) وكذلك معرفة الشكل الحالي للغة؛ لأنه ينبغي

(*) أستاذ بكلية التربية، جامعة مصراتة.

(**) أستاذ بكلية التربية، جامعة مصراتة.

(1) ينظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي، محمد العربي عقون، ص 203.

(2) ينظر: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 243-244.

(3) ينظر: البربر الذاكرة والهوية، ج. كامب، ص 81.

التقدم في البحث لإثبات الصلة الموجودة بين اللغة الليبية - البونيقية - واللغة الأمازيغية⁽¹⁾.

كما أن كل المعطيات التاريخية تشير إلى وجود تلك الصلة: أسماء الأعلام، أسماء الأماكن والمخزون المعجمي، والمصادر الأدبية، وشهادات المؤلفين العرب، وإذا لم يكن الليبي هو الشكل القديم للأمازيغي فكيف تكونت اللغة الأمازيغية؟ وسبب التأخر في هذا المجال يعود إلى أن الباحثين في اللغة البربرية قليلون، والمهتمين المختصين بجمع وتدوين مفردات اللغة الأمازيغية الحالية قليلون أيضاً. خاصة وأن الأبجدية الليبية تتكون من الحروف المتحركة⁽²⁾.

ولم يكن التاريخ في صالح اللغة الأمازيغية، فقد فرض عليها الدخول في منافسة صعبة مع لغات قوية كاللغة الإغريقية التي تركزت في وقت مبكر في المنطقة الشرقية من الشمال الإفريقي القديم واللغة الفينيقية التي تركزت في قرطاج، والمستعمرات التابعة لها، وفي الفترة الرومانية زادت عزلة اللغة الليبية⁽³⁾.

وكذلك كونها معاصرتها للغات قوية مثل: الفرعونية واللاتينية اللتين كانتا تتمتعان بالحماية في كنف القوة السياسية، ومع ذلك اندثرتا منذ زمن بعيد، بينما نجت اللغة الأمازيغية التي فقدت السند السياسي منذ زوال المملكة النوميديّة واستخلص الدارسون أن لهجات اللغة الأمازيغية مستمرة إلى الآن، وأن استمرار الكتابة الأمازيغية بشكلها الصحراوي تعود جذورها إلى ما قبل الإسلام⁽⁴⁾.

وقد وجدت سندها في العائلة، والتضاريس الجغرافية، ولذلك استمرت على الخصوص في المناطق الجبلية، وتسببت الرقعة الجغرافية في ظهور لهجات لها

(1) ينظر: الأمازيغ عبر التاريخ، محمد العربي عقون، ص 33.

(2) ينظر: البربر الذاكرة والهوية، ج كامب، ص 82، وينظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي، عقون محمد العربي، ص 204.

(3) ينظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي، عقون محمد العربي، ص 207.

(4) ينظر: البربر الذاكرة والهوية، ج. كامب، ص 313.

خصوصياتها؛ ولكن تنحدر جميعها في اللغة الأمازيغية، ومن أهم هذه اللهجات المستمرة إلى الآن هي:

1. السيوية: وهي لهجة واحات سيوة المصرية.
2. النفوسية: وهي لهجة جبل نفوسة، ومدينة زوارة الأمازيغية، وجزيرة جربا بتونس.
3. رجمة: لهجة الظهرة في الجزائر، والشاوية في شرق الجزائر.
4. لهجة كتامة: لكنها استعربت.
5. الصنهاجية: ومنها لهجة زواوة، والتوارق في الجنوب.
6. المصمودية: في المغرب الأقصى⁽¹⁾.

ومن وجهة نظر البحث فإنّ أول اهتمام بالمسألة الأمازيغية كان مع طلائع الاحتلال الإيطالي، حيث أشرف المستشرقون على تأسيس معهد بمنطقة زوارة للمنصرين الكاثوليك. وصدر أول كتاب باللغة الإيطالية يجبّد افتعال المشكلات بين العرب والبربر من أجل الاستقرار في ليبيا، فيجب أن يفهم ذلك ونستيقظ لهؤلاء الغزاة.

وفي دراسة مقارنة لاحظ المتخصصون أن هيمنة اللغات القوية جعل اللغة الأمازيغية واللهجات المنحدرة منها تدمج مفردات هذه اللغات ضمن مفرداتها وتخضعها لقواعد النحو والصرف الأمازيغي لتكوين لغة عملية تسير الواقع، وأن بعض المفردات البونية التي هي فرع عن مجموع اللغات الفينيقية- فرع اللغة الكنعانية- التي تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية الشمالية الشرقية⁽²⁾.

ومع ذلك فإن المفردات الأمازيغية تسربت إلى اللغات القديمة ونقل الكتاب القدامى عددًا من المفردات التي أخذوها من الأمازيغ، وأخضعوها لقواعد إعراب

(1) ينظر: مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، بن عيسى قرمزي، ص 19.

(2) ينظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي، عقون محمد العرب، ص 408-409.

اللغات التي كتبوا بها إغريقية ولا تينية. ومن خلال تتبع حياة اللغة نلاحظ أن اللغة عبر العصور تظل قوية بقدر ما يتوفر لها من سند ثقافي وسياسي وديني، ولا يمكن لأية لغة أن تستمر دون هذا السند⁽¹⁾.

كما أن الاتجاه الأمازيغي الأصيل يرى في التاريخ الأمازيغي الذي يمتد إلى ما قبل الإسلام تاريخًا، هو إضافة معرفية وثقافية للحضارة الإسلامية، واللغة الأمازيغية هي التي ترجمت النشاط العقلي والوجداني للأمازيغ، وساهمت مع اللغة العربية في البناء الحضاري الإسلامي، كما أن الأمازيغ يمثلون مكونًا ثقافيًا أصليًا، وهم يعيشون مع إخوانهم العرب، وتجمعهم أواصر الأخوة الدينية والوطنية، ويتطلعون إلى العيش المشترك في إطار المساواة والتعاون والتضامن.

جغرافية الناطقين بها:

رغم اختلاف طرق العيش اختلافًا واضحًا في الحاضر والماضي، فإننا نجد عناصر طريفة لوحدة بشرية عظيمة من أوروبا إلى أفريقيا، وهذه الوحدة ظهرت قديمًا في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك باستعمال لغة واحدة في بلاد البربر كلها، بل باستعمال لهجات متقاربة تُكوّن مجموعتها المسماة اصطلاحًا الليبية فرعًا من فروع أسرة حام، وهي مصدر اللهجات البربرية الحالية، غير أن هذه المجموعة هددتها لغات مدنيت أخرى وتفرقت كتلاً مختلفة⁽²⁾.

ويذهب (وليام مارس) إلى أن نسبة الناطقين بالبربرية هي اليوم 23 بالمائة في ليبيا، وواحد بالمائة في تونس، و27 بالمائة في مقاطعة قسنطينة، و24 بالمائة في مقاطعة الجزائر، وفي وهران واحد بالمائة، فالأمر لا يدل على أن اللهجات البربرية استقرت في جهات جبلية⁽³⁾.

(1) ينظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي، عقون محمد العرب، ص 201-202.

(2) ينظر: تاريخ شمال أفريقيا، أحمد بن ميلاد، ص 54.

(3) ينظر:

كما أن مدلول المدنية البربرية هي مجموعة التقاليد والعادات والأخلاق والنظم التي وجدت خالصة أو مشوبة في كل العصور بقطع النظر عن صروف التاريخ، أو بعبارة أخرى محصول بحث سوسيولوجي، وهي الحدّ المرضي الذي يعبر عن الخصائص المشتركة للسكان الموجودين في شمال القارة الإفريقية من طرابلس إلى المحيط الأطلسي⁽¹⁾.

كذلك احتل الأمازيغ مساحة شاسعة، تمتد من المحيط الأطلسي - إلى مصر، ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى بعض بلدان أفريقيا، ومع مرور الزمن أخذت هذه المساحة تتقلص نظراً لانتشار اللغة العربية في بداية القرن السابع عشر؛ لكن رغم ذلك، بقيت اللهجة البربرية تستعمل في أماكن شتى، وهي الآن تتمركز في بعض بلدان المغرب العربي والصحراء الغربية كليبيا، وتونس والجزائر والمغرب⁽²⁾.

وعليه فإن من أكثر مناطق التواجد الأمازيغي كثافة في ليبيا هي "سلسلة أدرار نفوسة"، وقبائل نفوسة التي تسكن زوارة الساحلية، وهم متواجدون أيضاً في غدامس، ويسمونها أهلها "عديمس" وغات وأوباري، ووادي عتبة، وسوكنة وأوجلة، ونسبة صغيرة في الجغبوب، وفي مناطق متفرقة من كل الجنوب الليبي المتمثلة في قبائل "إيموهاغ" الرحل، وتعتبر هذه النسب نسباً صغيرة من التعداد السكاني العام في ليبيا⁽³⁾.

التعريف باللغة الأمازيغية:

اللغة الأمازيغية: هي لغة السكان الأصليين لشمال أفريقيا في ليبيا وتونس والجزائر ومراكش والصحراء والجزر القريبة لها، وتشمل اللغات القبلية، والشاوية التماشكية لقبائل التوارق بصحراء المغرب... ولا تزال إلى اليوم لغة حديث بين كثير

(1) ينظر: تاريخ شمال أفريقيا، أحمد بن ميلاد، ص 53.

(2) ينظر:

Voir: Mohand Akli Hadda dou, Guide de la culture. Berbère. p.15.

(3) ينظر: Berber Aujourd Hui، سالم شاكر، ص 7

من القبائل المغربية، وخاصة في مراكش، وبعض الواحات التابعة لطرابلس كواحة أوجلة، ويكثر التحدث بالأمازيغية في جادو ويفرن ونالوت وزوارة وغات وغيرها من مناطق الجبل الغربي⁽¹⁾.

واللغة الأمازيغية هي واحدة من أقدم اللغات البشرية، وهي لغة يمثلها عدد كبير من اللهجات، والعاميات الإقليمية، يتمثل في حوالي عشرة بلدان، وما يقرب من عشرين مليوناً يتحدثونها⁽²⁾.

كما أن لغة البربر لا صلة لها باللغات الأوروبية؛ ولكن لها علاقة باللغة الفينيقية خصوصاً والسامية عمومًا، أما الحفريات فقد نفت إدعاء صلة البربر بالغربيين، حيث اكتشفت أربع جماجم، الأولى في اليمن، والثانية في فلسطين، والثالثة في ليبيا، والرابعة في الجزائر، وقد وجد بين هذه الجماجم الأربعة تطابقاً كاملاً، وكان عمر الواحدة منها ما يقارب خمسين ألف عام⁽³⁾.

وقد عُثر على فك إنسان ينتمي إلى هذه المرحلة في كهف (هوا فتيج) غرب درنة، وقد استخدم الكربون المشع 14 في اختبار عمر الفحم الخشبي الذي وجد في هذا الموقع والمنتمة لهذه المرحلة فأعطى 43000 ق م كتاريخ له. كما ثبت من الدراسات المقارنة تشابه هذا الإنسان مع إنسان - فياندرتال - في فلسطين، ووجود نوع من الصلات الحضارية والبشرية بين جنوب غربي آسيا، وجنوب شرقي ليبيا، كما يتجه العلماء إلى اعتبار إنسان - مشته - العربي الذي اكتشفت جمجمته بالجزائر متشابهة مع إنسان فياندرتال⁽⁴⁾.

أيضاً علم الجماجم أثبت بالدليل العلمي تشابه أبناء فلسطين مع المغاربة القدماء، وأن علماء السلالات أكدوا على أن مصدر الهجرات إلى حوض البحر

(1) ينظر: نظرات في اللغة، محمد مصطفى رضوان، ص 43.

(2) ينظر: المشهد اللغوي، ميشيل قيطوط، ص 119.

(3) ينظر: أصول البربر العربية، الهادي الزربي، ص 53-54.

(4) ينظر: المغرب الكبير، رشيد الناظوري، ج1، ص 62.

المتوسط هو شبه الجزيرة العربية، والمؤكد أن البربر قبائل قَدِمَتْ من شبه الجزيرة العربية ومنطقة بلاد الشام؛ وذلك عبر صحراء سيناء ومصر⁽¹⁾.

كما أن بعض المختصين حَصَرَ اللهجات الأمازيغية الكبرى في ثلاث مجموعات لغوية حسب التقسيم التاريخي والقومي يتفرع عنها عدد من اللهجات المحرّفة والمعدّلة حسب المناطق الجغرافية⁽²⁾، وهذه اللهجات هي:

1. مجموعة أمازيغية زنانية، تنتشر اللهجات الزنانية بشكل واسع في المغرب الأوسط والأدنى، وهي تنتمي إليها اللهجات الأمازيغية المتواجدة بليبيا، والمغرب الأقصى، وبعض اللهجات الجزائرية كلهجة مزاب، ورقلة، وتوقرت، ولهجة الأوراس ولهجة بني سنوس⁽³⁾.

2. مجموعة أمازيغية صنهاجية، استقرت في بدايتها في شمال الصحراء الكبرى، وبعد أن وصل الإسلام أصبحوا منتشرين أيضًا في بلاد السودان (أي على ضفاف نهري السنغال والنيجر، وانتشرت في المغرب الأوسط والأقصى... يقول ابن خلدون: "وشعارهم بين البربر، اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر"⁽⁴⁾ وبدأت تستقر في الأطلس المتوسط منذ القرن التاسع عشر، كما في جبال الريف، وعلى الساحل الأطلسي للمغرب.

3. مجموعة أمازيغية مصمودية تتمركز تقريبًا في المغرب الأقصى، وهذه المجموعات تحتوي على عدة لهجات⁽⁵⁾.

انتماءها:

وفيما يتعلق بالانتساب إلى عائلة لغوية، فإن الباحثين يكادون يجمعون

(1) ينظر: أصول البربر العربية، الهادي الزريبي، ص 54-55.

(2) ينظر: les-Berberes, (que-sais-je)pp:19-21.

(3) ينظر: القبائل الأمازيغية، بوزياني الدراجي، ج 1، ص 8.

(4) ينظر: العبر، ابن خلدون، ج 7، ص 3.

(5) ينظر:

voir: le guide de la culture berbère, édition Paris méditerranée, mohand AKli Haddadou, 2000/édition Inas – yes, 2000.P.213 .

بفضل المعطيات التاريخية، وأسماء المواقع الجغرافية، والمعجم على تأكيد نسبة هذه اللغة ضمن العائلة الآفروآسيوية⁽¹⁾.

وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى، فمنهم من قال بأنها تنتمي إلى العائلة السامية، ومن قال بانتماؤها إلى العائلة اللغوية الحامية، ومنهم إلى كونها يافثية الأصل، وأجمع المحققون على أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيراً كبيراً⁽²⁾.

أضف إلى ذلك أن "كوهين M.Cohen" (1924م) حدد هذه العائلة بأربعة فروع السامية: (الفرع الآسيوي الوحيد)، والمصرية، والكوشيتية، والبربرية، ويضيف غرنبرغ Grenberg (1955م) إلى هذه الفروع الأربعة الكلاسيكية على نهج لوكاس Lucas (1935م)، فرعاً خامساً، التشادية. وأضاف دياكونوف Diaconoff (1988) فرعاً سادساً الأموتية (اللغة الكوشيتية الغربية)⁽³⁾.

كما أن اللغة المصرية القديمة قريبة من الأمازيغية، كما أن الأبجدية الأمازيغية تلتقي في الكثير مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند، بفروعها: الشمودية، والليحانية، والصفائية، وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية، وهذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى أنه يعد العمق التاريخي في المجال الآفرو آسيوي، على عكس الهندو - أوروبي، أكثر أهمية، إذ يبلغ حوالي عشرة آلاف عام قبل عصرنا الحاضر ما تؤكد معطيات أنثروبولوجية تاريخية⁽⁵⁾.

وأقوى النظريات وأقربها إلى العلمية وهو أن اللغة الأمازيغية تنتمي إلى مجموعة اللغات الحامية، وقد توصل إليها أصحابها بعد إجراء مقارنات متعددة بين اللغة

(1) ينظر: المشهد اللغوي، ميشيل قيطوط، ص 29.

(2) ينظر: عروبة البربر، محمد علي مادون، ص 158-160.

(3) ينظر: المشهد اللغوي، ميشيل قيطوط، ص 30.

(4) ينظر: القبائل الأمازيغية، بوزياني الدراجي، ج 1، ص 8.

(5) ينظر: المشهد اللغوي، ميشيل قيطوط، ص 30.

البربرية واللغات السامية من ناحية، وبينها وبين الحامية من ناحية أخرى، وقد كان البروفسر francisnewman عام (1836م) أول من أنكر الأصل السامي للغة البربرية⁽¹⁾.

كما أن عالم الساميات القدير Renan الذي يقول: إنه رغم وجود شبه بين البربرية وبعض الساميات فهي مختلفة عنها، ولا يوجد تشابه بين أي لهجة بربرية ولغة سامية مثل التشابه الموجود بين لغتين ساميتين⁽²⁾.

ويقول Sergi: في كتابه المشهور The Mediterranean Race: "اللغة البربرية حامية، وهي قريبة الصلة بالمصرية وغيرها من الحاميات الشرقية" ويذكر ما نصه:

"ولا يمكن أن نقول أن الأمازيغ لم يكونوا حاميين وأنهم اكتسبوا اللغة الحامية من الغزاة، لأننا نعلم أن المصريين لم يغزوا هذه البلاد، فاللسان البربري هو اللسان الأصلي لهذا الفرع الحامي"⁽³⁾.

ويقول الباحث الجزائري سالم شاكر: في كتابه (قضايا الأمازيغية) إن اللغة الأمازيغية أقدم من اللغة العربية بكثير، وأقدم من الفصيلة السامية نفسها وهي لغة مستقلة تنتمي إلى فصيلة اللغات الأفروآسيوية، وهي سابقة على السامية، كما أن اللغة الأمازيغية ظهرت ما بين 1000-9000 ق.م، وهذه العائلات الثلاث (المصرية والأمازيغية والسامية) تتداخل في تعبيراتها المعجمية، وهذا التداخل نتيجة الاحتكاكات، والارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية ثم اللغات السامية⁽⁴⁾.

(1) ينظر: Libyan Notes ص 10.

(2) ينظر: The Eastern Libyans ص 73، 81-83.

(3) ينظر: السلالات البشرية، يسري الجوهري، ص 56، وينظر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، أحمد مختار عمر، ص 217.

(4) ينظر: القبائل الأمازيغية، بوزياني الدراجي، ج 1، ص 8.

ويرى معظم الباحثين أنها جاءت من الصحراء الكبرى، وأن تزايد الجفاف في الصحراء فرض على الإنسان تركها، والسعي للاستقرار حيث موارد المياه من وادي النيل وحتى المحيط الأطلسي⁽¹⁾.

الحرف الأمازيغي والكتابة دراسة في حروف التيفيناغ

I- كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية التيفيناغ أو تفتاغ، التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة، وهي مازالت مستعملة - في هذه الأيام - ضمن الأوساط التارقية، تتميز بكونها لغة صامتة Consonnatique؛ وكانت تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل. ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن... وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالأمازيغية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم، وهي من أقدم الكتابات في لغات القارة الأفريقية⁽²⁾.

⊙	Λ	Ж	Ɔ	U	O
ياس	ياد	ياز	ياق	ياو	يار
⌌	⌘		I	+	⋈
ياف	ياك	ياه	ياج	يات	ياي
I	⌒	Ɔ	⌌	×	⌒
يان	يام	ياك	يال	ياخ	ياش
⋈	Ж	Ɔ	Q	⌌	⊙
ياح	ياژ	ياط	ياص	ياغ	ياب
الحرفان الأخيران العين والحاء.					⌌
					ياع

حرفان غير أصليين في الأبجدية الأمازيغية.

(1) ينظر الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 172.

(2) ينظر: عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص 28.

وقد استطاعت الأمازيغية أن تستمر في البقاء كلغة منطوقة ومكتوبة رغم كونها لم تدخل مرحلة (التدوين) خلال تاريخها المقدر بخمسة آلاف عام، وذلك لأسباب عديدة⁽¹⁾.

وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية، وهذا ما يمكن استشفاه من أبجدية تيفيناغ أو تفنغ، فاسمها يدل على هذا...

وكانت هذه الأبجدية تجد عناية من طرف أبنائها أو من قبل فئة منهم في العهد الفينيقي، ومع هذا لم يتم العثور على مؤلفات كتبت بهذه الأبجدية ما عدا بعض مشاهد القبور⁽²⁾.

وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة تفنغ تكتب من اليمين إلى الشمال مثلها مثل الخط الفينيقي، وبعضهم يعتقد أن هناك شيئاً من الشبه يجمع بين الأمازيغية وما اكتشف من كتابة في جنوب إسبانيا *Liberique*؛ وحدث ذلك نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة، والارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية ثم اللغات السامية⁽³⁾.

كما بدأ الأمازيغ - البربر - بوضع الكتابة، ثم عدّلوا فيها وزادوا عليها حروفاً استفادوها من كتابات شعوب أخرى مثل: المصرية القديمة والفينيقية وخط المسند القديم لأهل شمال الجزيرة العربية في فلسطين والشام والعراق⁽⁴⁾.

أيضاً يعتقد كثير من الدراسين من مستشرقين وأمازيغ بعدم وجود صلة بين اللغة الأمازيغية واللغات السامية بجميع فروعها محاولين فصل اللغة الأمازيغية عن العربية، التي هي إحدى فروع اللغة السامية، واللغة الأمازيغية بجميع فروعها محاولين من خلالها خلق هوة فكرية بين الناطقين لكليهما⁽⁵⁾ كما أنه كان للبربر خط خاص

(1) ينظر: تيفيناغ في أربع خطوات، Amarir : yurit. آميرير.

(2) ينظر: عروبة البربر، محمد علي مادون، ص 158-160.

(3) ينظر: القبائل الأمازيغية، بوزيان الدراجي، ج 1، ص 40.

(4) ينظر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب، أحمد مختار عمر، ص 232.

(5) ينظر: مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، محمد مختار العرابوي، ص 45.

بهم يكتبون به لغتهم، وكانت الحروف في أول الأمر أيام بداوتهم قليلة لا تتجاوز عشرة حروف، ثم زادوا فيها⁽¹⁾. وقد عرفت الكتابة ورسم الصوت في الأمازيغية بالتيفيناغ، والذي يعد المرحلة الأولى والأقدم في محاولة رسم وكتابة الأصوات الأمازيغية، وإيجاد رموز شكلية لها، يستطيع ابن اللغة تحويلها في قوالب شكلية نطقية تؤدي إلى التواصل البصري بين أصحاب اللغة.

ولعل أقدم نقش (رسم) وصل إلينا يعود تاريخه إلى أكثر من 3000 سنة ق.م كتب بخط التيفيناغ.

وجدير بالذكر أن كلمة (التيفيناغ) يرجع إلى كونه جمعاً لمؤنث (Tafing) وتعني على أرجح الأقوال: الخط أو العلامة، أي الأبجدية (أبجد)، وهو من أعظم الإنجازات التي توصلت إليها هذه اللغة في وقت لم تكن الكتابة قائمة؛ وهي الكتابة الأصلية للأمازيغية⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن الكتابة الأمازيغية متشابهة في معظم حروفها؛ لكنها تختلف نوعاً ما عن بعضها البعض، وهذه بعض النماذج لخط التيفيناغ⁽³⁾:

المسند	نموذج للتيفيناغ (3)	نموذج للتيفيناغ (2)	نموذج للتيفيناغ (1)	الحرف العربي	الكتابة الصوتية
ⵏ	•	•	•	أ	>
ⵓ	⊙	⊙	⊙	ب	b
x	+	+	+	ت	t
ⵓ				ث	ⵓ
ⵔ				ج	ⵔ
ⵖ	⊙	⊙	⊙	ض	d
ⵓ		⊙	⊙	ط	t
ⵓ	#	#	#	ظ	z
ⵓ				ع	<

(1) ينظر: تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، ج1، ص 65.

(2) ينظر: مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، محمد مختار العرباوي، ص 45.

(3) جدول مقتبس من.

المسند	نموذج للتيفيناغ (3)	نموذج للتيفيناغ (2)	نموذج للتيفيناغ (1)	الحرف العربي	الكتابة الصوتية
𐤁	z	z	≡	غ	q
𐤂	ll	ll	ll	ف	f
𐤃	×	×	×	ج	g
𐤄	^	^	≡	ح	h
𐤅	::	::	::	خ	ḥ
𐤆	^	^	^	د	d
𐤇				ذ	ḍ
𐤈	˙	˙	˙	ف	p
𐤉	...	...	...	ق	ḳ
𐤊	∴	∴	∴	ك	k
𐤋	ll	ll	ll	ل	l
𐤌	]]	]]	]]	م	m
𐤍				ن	n
𐤎	o	o	o	ر	r
𐤏	✱	✱	✱	ز	z
𐤐	o	o	o	س	s
𐤑	o	o	z	ش	ʃ
𐤒	o	o	l	ص	s
𐤓	∴	∴	∴	ه	h
∞	:	:	:	و	w
𐤔 ⁽¹⁾	z	z	z	ي	y

ويطلق على الخريشات والكتابات الصحراوية (التيفيناغ) وهي يمكن قراءتها كونها تعبر عن لغة الطوارق الحالية، وتضم ألفبائيات متنوعة تم اعتماد ستة منها⁽¹⁾ (2) وتُعتبر الرسوم الصخرية مقدمة لخط التيفيناغ في الصحراء إلى درجة أن "كامبس" ذهب إلى تسميتها "بالتيفيناغ القديم" على اعتبار أن التيفيناغ الحديث يعد

(1) نموذج رقم 1: هذا النموذج مقترح من قبل سالم شاكراً أستاذ اللغة الأمازيغية.

نموذج رقم 2: مقتبس من برنامج جمعية أفوس (roubaix)

نموذج رقم 3: مقترح من أعضاء الأكاديمية البربرية (Agraw Imazighen)

وينظر: الترجمة غير الواعية "دراسة صوتية في تمثيل الألفاظ الدخيلة في العربية"، عبد الوهاب عبد العالي، ص 165.

(2) Mansour GHAKI, op. Cit., P.15

تسلسلاً لها في المنطقة، والكتابة الصحراوية القديمة تختلف في رموزها عن الكتابتين الشرقية والغربية، وغالباً نجد هذه النقوش على الصخور المسطحة بالقرب من منابع المياه القديمة التي جفّت بفعل التصحر، وما نجده على جدران الكهوف والملاجئ التي شكلتها الصخور⁽¹⁾.

كما أن النقائش الصخرية للتيفيناغ القديم كثيرة العدد، وتضم رموزاً لم تعد تستعمل حالياً، كما أن اتجاه الحروف يحدد اتجاه القراءة التي قد تكون من اليمين إلى اليسار، أو من الأعلى إلى الأسفل، أو من الأسفل إلى الأعلى، كما ذكرت سابقاً خطية مستقيمة أو منحنية⁽²⁾، وفي بعض الأحيان توجد نصوص ذات اتجاهين مختلفين لكتابة مثل: النقيشة التي وجدت على ضفاف واد علون (منطقة إيزي الجزائر)⁽³⁾.

أضف إلى ذلك أن الفعل (افنع) في لغة الطوارق يعني "اكتب" حيث نلاحظ جذر (ف ن غ) أو (ف ن ق) (FNQ) مما يفتح مجال فرضية الأصل. فمدلول كلمة التيفيناغ يعني يحمل معنى الاكتشاف، ففي اللغة الأمازيغية (تيفي = اكتشاف نغ = نا أي اكتشافنا)⁽⁴⁾.

لقد حافظ الطوارق - سكان الصحراء - على الكتابة الأمازيغية حتى أيامنا هذه، والتي تُعرف عنهم بالتيفيناغ، وهذه الحروف مرّت بتغيرات عدّة، ومنذ حوالي ألفين وخمسمائة عام، بعد استعمال اللغة البونيقية، واللاتينية والعربية⁽⁵⁾.

وتتنوع الأبجديات الأمازيغية إلى عدّة مسميات منها:

- 1) الشرقية مقتصرة على تونس، وولاية عنابة في الجزائر.
- 2) الغربية تغطي مساحة شاسعة حتى المحيط الأطلسي.

(1) S.REINACH ETAUTRES:TIFINAGH, IMPRIMERIE HASNAOUI, ALGER, 2012, P33.

(2) ينظر: المملكة النوميديّة، محمد الهادي حيرش، ص 206.

(3) Camps G. Campser autres, op. Cit, p29.

(4) ينظر: المملكة النوميديّة، محمد الهادي حيرش، ص 219.

(5) ينظر: البربر الذاكرة والهوية، ج، كامت، ص 1، ص 312.

(3) أبجدية صحراوية قديمة تختلف عن الأبجدية الغربية.

(4) أبجديات التيفيناغ الحديثة.⁽¹⁾

كما لم تستخدم فقط هذه الكتابة البدائية ذات الحروف الصائتة لنقل أي آداب. عندما يعبر البربري على غير شواهد القبور أو على غير النقوش للحب؛ فإنه يأتي باليونانية في عهد الملوك النوميديين والموريين أو باللاتينية في زمن أبوليوس (Apulee) أو القديس أو غسطين⁽²⁾. وفي الشمال الإفريقي استعمل الإفريقيون منظومة كتابية هي الخط الأمازيغي الذي انبثق منه تيفيناغ التوارق، والدليل على ذلك هو أن النقوش والتيفيناغ القديم عثر عليهما في مناطق هي اليوم مستعربة - في تونس وفي شمال شرقي الجزائر وفي منطقة الغرب وطنجة وفي الصحراء الشمالية - وكانت هذه الكتابة في المناطق الشمالية من بلاد البربر، وقد واجهت منذ وصول الفينيقيين منافسة كبرى من طرق الكتابة البونيقية ثم اللاتينية⁽³⁾.

بالإضافة إلى أن التيفيناغ هي الحروف الطارقية التي يكتب بها الطوارق لهجتهم، وتحتوي هذه الأبجدية على اثنين وعشرين حرفاً وتلتقي حروفهم مع الخط المسند في كثير من الحروف مثل (ل) "ll" و(ش، ت) "t" حيث لا تزال مستعملة في الكتابة الإريتيرية حتى الآن، كما أن الدال (د) هو نفس الدال العربي⁽⁴⁾ تعد اللهجة التارقية من أوسع اللهجات البربرية انتشاراً، وترجع أهميتها إلى أن الطوارق مازالوا يحتفظون بمفرداتها في الكتابة المعروفة بالتيفيناغ، وتكتب من اليمين إلى اليسار في العادة، وإن اضطر إلى الكتابة في كل الاتجاهات (↓، ←، →، ↑)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 306.

(2) ينظر البربر الذاكرة والهوية، ج كامب، ص 1، ص 314.

(3) ينظر: الأمازيغ عبر التاريخ، محمد العربي عقون، ص 10، ومجلة الحوار الفكري الصادرة عن مختبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منشوري قسنطينة، العدد 8، 2006، من ص 168-178.

(4) ينظر: الطوارق عبر الصحراء الكبرى، محمد سعيد القشاط، ص 34.

(5) ينظر: اللغة والكتابة الليبية القديمة، جولات في التاريخ الليبي، ص 10-11.

كما أنّ الأبجدية الشرقية (الميسيلية) شكل متحور من الكتابة الأصلية نتيجة الاحتكاك بالكتابة البونيقية، بينما خارج البلاد الميسيلية استمر استعمال الأشكال القديمة⁽¹⁾.

أضف إلى ذلك أن هناك بعض الكتابات سابقة بأجيال عديدة من حوالي سنة 138 ق.م، وفي (تيديس) توجد آنية تحتوى على عظام حدد تاريخها بواسطة الكربون 250 ق.م، وتحمل على جوانبها كتابة أمازيغية مرسومة، ويمكن تمييز علامة في الكتابة الأمازيغية على آنية أخرى من مقبرة رشقون يعود تاريخها إلى القرن السادس ق.م. وبفضل أعمال التنقيب في (بونجيم) في طرابلس الغرب عرف أن للجرمنت أبجدية خاصة في القرن الثاني من زماننا وربما قبله. وفي مقبرة جرمة (فزان) تحمل - فخاريات تعود إلى القرن الأول ق.م - حروفاً أمازيغية محفورة بمنقاش⁽²⁾.

وأثبتت بعض الدراسات الأثرية أن أبجدية الكتابة الأمازيغية القديمة قد أُخِذَتْ من لغات شبه الجزيرة العربية التي يطلق عليها الكتابة السامية، والدليل على ذلك، الاكتشافات المؤكدة للنقوش الأمازيغية القديمة في منطقتي شبه جزيرة سيناء ودلتا النيل، وهما المنطقتان اللتان استعملتا كطريق هجرة للأقوام التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية نحو منطقة المغرب القديم⁽³⁾.

كما يعتبر تاريخ أفريقيا الشمالية الصحراء تاريخ فتوحات واحتلالات أجنبية تحملها الأمازيغ بصبر كبير؛ ولذلك انحصر دورهم في التاريخ في المقاومة، وكان الإبقاء على استمرار اللغة والعرف والأشكال القديمة للتنظيم الاجتماعي أهم نجاح لتلك المقاومة⁽⁴⁾.

أضف إلى ذلك أن لغة الطوارق تنقسم إلى لغتين: إحداهما: أقدم عهداً،

(1) ينظر: البربر الناذرة والهوية، ج كامب، ج 1، ص 314.

(2) ينظر: نفس المصدر، ج 1، ص 315.

(3) ينظر: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 306.

(4) ينظر: الأمازيغ عبر التاريخ، محمد العربي عقون، ص 18.

وثانيتها: أحدث عهداً مثل لغات كثيرة كال يونانية واللاتينية وغيرهما، وتمتاز لغة الطوارق أنها لم ترتحل عن الوطن الروحي بعيداً⁽¹⁾.

وقد ذكر أحد الباحثين وجود شبه بين حروف (التيفيناغ) وحروف في الخط المسند الحميري فيقول: "والرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية التي يسميها الطوارق (التيفيناغ) استعاروها من الأبجدية الفينيقية، ثم طرأ عليها مع الزمن الكثير من التبدل". وحروف (التيفيناغ) التي تشبه حروف المسند الحميري هي: الألف، الزاي، اللام، الميم، الشين، التاء...⁽²⁾.

وأن التشابه بين اللغات الحامية والسامية في بعض الخصائص الصوتية فقط⁽³⁾، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تكون الاستعارة والأمازيغ هم السكان الأصليون؟ وأقدم سكان الشمال الإفريقي، وأن الكتابة الأمازيغية كانت قبل الكتابة الفينيقية، إلا أن هناك شبه بين الكتابتين، والسبب هو نتيجة الاحتكاك الذي حدث عبر فترات تاريخية.⁽⁴⁾

كما أن الحروف الأمازيغية أو الأبجدية القديمة عبارة عن كتابات قديمة تركها الأجداد القدماء على سفوح ومنحدرات ظفار، وهي تعود إلى فترات تاريخية قديمة، وهو ما يدل على أصالة هذه الحروف، وقد عمل أحد الباحثين على إجراء مقارنة بين حروف ظفار مع الحروف التي يستعملها اليوم بعض سكان المغرب في تعليم اللغة الأمازيغية في الوقت الحاضر. وتؤكد أنها هي نفسها، والتي اكتشف منها حتى الآن أكثر (1300) نقش في مناطق متفرقة من مناطق تونس والجزائر والمغرب⁽⁵⁾.

لقد حام العلماء طويلاً حول لغة الطوارق، واستعان بها كثر في فك طلاسم

(1) ينظر: بيان في لغة اللاهوت لغز الطوارق... إبراهيم الكوني، ج4، ص 11-12.

(2) ينظر: البربر عرب قدامى، محمد مختار العرابوي، ص 213.

(3) ينظر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، أحمد مختار عمر، ص 219-220.

(4) ينظر: البربر عرب قدامى، محمد مختار العرابوي، ص 214.

(5) ينظر: الجذور التاريخية، لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 214.

اللغة النوميديّة والأمازيغيّة القديمة - كما فعل مارسي مع ما عُرف بحجر ماسينيّا - وأخضعها آخرون لتحليلات وتأويلات - كما فعل روسلر، وفوكو وغيرهم - لكن العلة هي طبيعة هذه السواكن التي حملت سرّ الألسن على مرّ ألاف الأعوام⁽¹⁾. لأن من خصائص اللغة الأمازيغيّة الابتداء بالسكان وتتابع السواكن⁽²⁾. علّل بساطة اللغة البدئية التوارق هي سرّ تفوّقها في لغات العالم الكبرى هذه البساطة تتجلى في استخدام الحرف الساكن ككلمة تحمل مدلولاً محدداً بإضافة الحروف المتحركة معتبرة السواكن أجساداً، أو أجراماً مرئية لمبادئ خفية تلعب فيها حروف العلة دور الروح للجسد المتمثل في الحرف الساكن⁽³⁾.

ولقد انقسم العلماء إلى قسمين: البعض يرى أن الخط الأمازيغي القديم مأخوذ من اللغة البونيقية - القرطاجية - ويرى البعض الآخر أنه مأخوذ من اليونانية⁽⁴⁾ ويؤكد آخرون أنه كتابة سامية قديمة، ولكن منذ النصف الثاني من القرن العشرين استطاع علماء اللسانيات إدراج اللغة الأمازيغيّة القديمة ضمن أسرة ما يسمى - بالألسن الحامية - السامية، ومنهم من يربطها مباشرة باللغة الحميرية القديمة⁽⁵⁾. عُرف الكنعانيون الذين سكنوا ساحل سوريا الشمالي باسم الفينيقيين، أطلقه عليهم الإغريق، وعرفوا بعد 1200 ق.م⁽⁶⁾.

إن مواطن الكنعانيين الأصلي هو جزيرة العرب، ونزوحهم من هذه الجزيرة حدث قبل 2500 ق.م، حين جرت سيول القبائل الكنعانية إلى بلاد سوريا وفلسطين⁽⁷⁾.

(1) ينظر: بيان في لغة اللاهوت لغز الطوارق...، إبراهيم الكوني، ج 4، ص 7.

(2) ينظر: تاريخ اللغة العربية مصر والمغرب الأدنى، أحمد مختار عمر، ص 222.

(3) ينظر: بيان في لغة اللاهوت لغز الطوارق...، إبراهيم الكوني، ج 4، ص 8.

(4) ينظر: مجمل تاريخ المغرب، عبد الله العروي، ج 1، ص 44.

(5) ينظر: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، محمد علي عيسى، ص 241.

(6) ينظر: مصر والشرق الأدنى القديم (سوريا)، محمد بيومي مهران، ص 26.

(7) ينظر: تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ص 55.

يعتقد بعض المؤرخين أنهم جاءوا من موطنهم في شبه الجزيرة العربية ومن بلاد اليمن⁽¹⁾ ويذكر "هيرودوتس" أنهم هاجروا من موطنهم في الخليج الفارسي حوالي 2300 ق.م (أي قبل القرن الخامس ق.م) ويذهب هيرودوت إلى الفينيقيين ليسوا من أهل البلاد الأصليين وإنما وصلوا إليها من البحر الأحمر⁽²⁾.

أما يوستن يذكر أن الفينيقيين خرجوا من بلادهم بسبب زلزال، وأقاموا في البداية على بحيرة سوريا ثم استقروا بعد ذلك على ساحل البحر المتوسط⁽³⁾.

أما وثائق أوغاريت، فتذهب إلى أن الفينيقيين وصلوا من شبه جزيرة سيناء⁽⁴⁾ واستوطن الفينيقيون بعد هجرتهم من الجنوب - الخليج العربي والبحرين، ثم اتجهوا إلى شواطئ سوريا ولبنان، أما تسميتهم بالفينيقيين تعود إلى ما أطلقه عليهم اليونان حين أسموهم "فينيقي" أي "الأرجوان الأحمر" واستقروا في بلاد كنعان حوالي القرن الثامن والعشرين ق.م، وأهم موانئهم: جبيل وصيدا وصور⁽⁵⁾.

وجاء ذكر هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي "هوميروس" عندما وصف الفينيقيين بالمهارة في التجارة، وركوب البحر والصناعات اليدوية، ويسمى الفينيقيون بالصيدونيين نسبة إلى مدنهم الرئيسية، كما أن تسمية الفينيقيين أنفسهم مرة بالصيدونيين نسبة إلى مدينة صيدا، وأخرى بالصوريين نسبة إلى مدينة صور⁽⁶⁾. والكنعانيون الذين بنو مدن صور وصيدا وجبيل أطلق عليهم الإغريق اسم "الفينيقيون" نسبة إلى ألوان الأقمشة التي كانوا يصنعونها، وعندما حلوا بشمال أفريقيا أطلق عليهم المؤرخون اسم (قرطاجيون) نسبة إلى مدينتهم الجديدة قرطاج، وعندما اتحدوا مع الليبيين ضد الرومان أسموهم (بونيقيون)، وهو مزج (ليبيون وفينيقيون)،

(1) ينظر: الحضارة الفينيقية، عبد الحفيظ فضيل، ص 100.

(2) Herodotus, I, I; vii, 89

(3) ينظر: الحضارة الفينيقية، عبد الحفيظ فضيل، ص 99.

(4) ينظر: الفينيقيون في ليبيا، فيصل الجري، ص 24.

(5) ينظر: الحضارة الفينيقية في ليبيا، عبد الحفيظ فضيل، ص 54.

(6) moscati, s. the world of the Phoenicians, op.cit, 1968. P.3

والليبيون في القطر الجزائري أسماهم الإغريق والرومان (نوميديون)⁽¹⁾.
كما أن الفرع الكنعاني يضم عدة لغات كانت في منطقة الشام، وتقسم من
الناحية الجغرافية إلى :

1. الكنعانية الشمالية وتتمثل في الأجرينية.
 2. والكنعانية المتوسطة تتمثل في الفينيقية.
 3. والكنعانية الجنوبية تتمثل في العبرية والمؤابية⁽²⁾.
- واللغة التي تكلم بها السكان الفينيقيون هي الفينيقية، وتطلق على اللغة
الفينيقية اسم اللغة البونية، وتقع على الساحل التونسي، ولغة قرطاجة فينيقية متأثرة
بلهجة مدينة صور، أهم المدن التي أسسها الفينيقيون مدينة (قرت حذش) أي القرية
الحديثة، ويقسم تاريخ اللغة الفينيقية إلى مرحلتين: البونية والبونوية الحديثة⁽³⁾.
في شمال أفريقيا حدث صراع بين الرومان والفينيقيين على مدينة قرطاجنة، في
القرنين الرابع والثالث ق.م ولكن روما قضت عليها، وبعد سقوط قرطاجنة خضع
البونيون للرومان، فتأثرت اللغة البونية الجديدة باللغة اللاتينية⁽⁴⁾.
إنّ اللغة الفينيقية مع مرور الزمن أخذت في التغيير، وأصابها شيء من
التحريف وهذا التغيير يرجع إلى اختلاط القادمين الجدد بالسكان الأصليين، واتجهت
إلى تكوين لهجات مختلفة عن اللغة الأصلية، حتى أصبحت تعرف باللغة البونية⁽⁵⁾.
وبما أن مدينة قرطاجة كانت من المدن القديمة والمعاصرة استطاعت أن تفرض
سيطرتها السياسية والاقتصادية عليها فأدى إلى قيام تفوق ثقافي تأثرت به لهجة
طرابلس، وأدى كذلك إلى قيام علاقات اجتماعية أخرى بين هذه المدن وبين

(1) ينظر: تاريخ اللغات السامية. أ. ولفنسون، ص 57.

(2) ينظر: علم اللغة، محمود حجازي، ص 161.

(3) ينظر علم اللغة، محمود حجازي، ص 162.

(4) ينظر: تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ص 59.

(5) ينظر: تاريخ شمال أفريقيا، شارل أندري، ص 98.

قرطاجة مثل: المصاهرة بين سكان المدن وقرطاجة⁽¹⁾.

وبعد سقوط قرطاجة ظلت اللغة البونية مستعملة في طرابلس، وتركت تراثاً كبيراً كانت اللغة أحد عناصرها، ودخلت ألفاظ لاتينية كثيرة إلى اللغة البونية أدى إلى ضعف النطق بأصوات الحلق في اللغة البونية الجديدة، فكتابتها يخلطون بين الكلمات التي تكتب بحرف العين والحاء والهاء. ولم يكونوا يميزون بين العين والهمزة وبين الحاء والهاء⁽²⁾.

احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي، إلا أنهم عدّلوا أشكال الحروف لتصبح سهلة الكتابة، واحتفظوا بترتيب الحروف كما رتبها الأبريتيون⁽³⁾. ولعل ماسنيسا هو من وجه العمل لاختراع ألفباء أمازيغية، وهو عمل ظل خالداً عبر القرون؛ لأن الألفباء ظلت حيّة في تيفيناغ الطوارق، وقوة هؤلاء النوميدي مكنتهم بسرعة من فتح كل البلاد إلى حدود قرطاج⁽⁴⁾.

أقدم آثار اللغة الكنعانية وردت في رسائل مسمارية إلى الملك "أمون" في القرن الرابع عشر ق.م، وإلى الملك "كلمو" في القرن التاسع ق.م⁽⁵⁾.

وأقدم النقوش الفينيقية التي وصلت إلينا وجدت في رسائل تل العمارنة بصعيد مصر، وهذه النقوش ترجع إلى الفترة بين 1000 ق.م، وهناك نقوش وجدت في المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى، وعلى الساحل الأوروبي في جنوب إسبانيا وكذلك في قبرص⁽⁶⁾.

كما ظهر أيضاً في الكتابات التي وجدت على بعض الأنية الفخارية التي تجمع

(1) ينظر: الفينيقيون في ليبيا، فيصل جري، ص 89.

(2) ينظر: علم اللغة، محمود حجازي، ص 163.

(3) ينظر: علم اللغة، محمود حجازي، ص 164.

(4) ينظر: كتاب ماسينيسا، غابريال كومبس، ص 15-24.

(5) ينظر: تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ص 59.

(6) ينظر: علم اللغة، محمود حجازي، ص 162.

فيها بقايا الإنسان المحروق بعد وفاته، والتي عثر عليها في مدينة لبة، وتركت اللغة الفينيقية في شمال أفريقيا بعض الكلمات في إقليم طرابلس وتونس، وفي مدينة لبة وجد تمثال من الرخام الأبيض، من أشهر الآلهة التي عُبِدت في قرطاجنة ينتبعل، ويرجع إلى أن هذه الآلهة إفريقية الأصل⁽¹⁾.

(1) ينظر: الفينيقيون في ليبيا، فيصل جري، ص 98.

النتائج

1. وجود قرابة بين العربية والأمازيغية عن طريق اللغة الفينيقية.
2. أثر اللغة العربية، والدين الإسلامي على الأمازيغية رغم محاولة المستعمرين إثبات الأمازيغيين من أصل أوروبي.
3. توصلت الدراسة إلى أن الأصوات اللغوية في الأمازيغية تتعرض لبعض التغيرات، كالإبدال والقلب والإدغام والمماثلة.
4. الاشتراك بين العربية والأمازيغية في النطق بمعظم الحروف.
5. هناك بعض الأصوات تختص بها الأمازيغية مثل القاف المعقودة الانفجارية ق: g، والراء المطبقة، والزاي المطبقة.
6. بعض المصادر لا توجد لديها مصداقية في المعلومات، بل تحرض على أن الأمازيغ "بربر"، ولا صلة لهم بالعربية، لخلق النزعة الانقسامية.
7. التطور اللغوي الذي تمر به الأمازيغية يحتم علينا ترك دراسات يستفيد منها الجيل القادم.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تح: علي عبد الواحد الوافي، لجنة البيان العربي، بيروت، ط 1، 1965م.
2. أبو يعرب، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، حقوق الطبع محفوظة، مطبعة الاعتماد، ط: 1، 1348هـ 1929م.
3. بالعيد، صالح، المسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 1999م.
4. الثعالبي، عبد العزيز، تح: أحمد بن ميلاد، ومحمد إدريس تاريخ شمال أفريقيا، دار الغرب الإسلامي.
5. ج، كامب، تر: جاد الله عزوز الطلحي، البربر الذاكرة والهوية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس. ليبيا حقوق الطبع محفوظة. 2005م.
6. الجري، فيصل، الفينيقيون في ليبيا، الأردن - الجامعة الأردنية، 1996م.
7. جوليان، شارل أندري، تعريب: محمد مزالي، والبشير بن سلامة، تاريخ أفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة تاوالت الثقافية، سنة 2011.
8. الجوهري، يسري، السلالات البشرية مكتبة المعارف الحديثة، ط: 1، 1998م.
9. حارش، محمد الهادي، المملكة النوميديّة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2013م.

10. حجازي، محمود فهمي، علم اللغة: د. دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
11. الدراجي، أبو زيان، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
12. رشيد، الناضوري، المغرب العربي، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م.
13. رضوان، محمد مصطفى، نظرات في اللغة العربية، قاريونس، ط: 1، 1976. بنغازي: ليبيا.
14. الزاوي، الطاهر، التذكار، لابن غلبون، تح، دار المدار الإسلامي، ط: 1، 2004م.
15. الزريبي، الهادي، أصول البربر العربية، تونس.
16. عبد العالي، عبد المنعم، لهجة شمال المغرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر تاريخ النشر: 1388هـ 1968م، القاهرة، مصر، ط: 1.
17. عبد العالي، عبد الوهاب محمد، الترجمة غير الواعية دراسة صوتية في تمثل الألفاظ الدخيلة في العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا ط: 1، 2007، جميع الحقوق محفوظة، منشورات جامعة 7 أكتوبر إدارة المطبوعات والنشر.
18. العرباوي، محمد المختار، البربر عرب قدامى، المؤسسة العامة للثقافة بنغازي - ليبيا، ط: 1.
19. عقون، محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر.
20. عقون، محمد العربي، الأمازيغ عبر التاريخ، جميع الحقوق محفوظة، ط: 1، 2010م.
21. عمر، أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر - والمغرب الأدنى،

- المكتبة العربية تصدرها الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ/1970م، وزارة الثقافة.
22. عيسى، محمد علي، الجذور التاريخية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط:2، 2012م.
23. فضيل، عبد الحفظ، الحضارة الفينيقية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، ط:1، جميع حقوق النشر محفوظة، 2001.
24. قرمزي، بن عيسى، مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، الجزائر، 2014م.
25. القشاش، محمد سعيد، الطوارق عبر الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.
26. قيطوط، ميشيل، تر: خالد محمد جهيمة، المشهد اللغوي، وتعليم اللغات في المغرب الكبير: جيلبيرغرانغيوم، ط:1، 2017م. ليبيا. زليتن.
27. الكوني، إبراهيم، بيان في لغة اللاهوت لغز الطوارق أوطان الأرباب، إدارة الكتاب والنشر دار الكتب الوطنية بنغازي، جميع حقوق الطبع محفوظة. ط:2، 1375هـ/2007م.
28. مادون، محمد علي، عروبة البربر، تاريخ النشر: 1992م، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، علي محمد الصلابي، جميع الحقوق محفوظة، مؤسسة اقرأ، ط:1، 1428هـ/2007م.
29. مطلق، منشد، اللغة والكتابة الليبية القديمة. جولات في التاريخ الليبي، قسم الآثار جامعة عمر المختار، الرباط، 1410هـ/1990م.
30. مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم (سوريا)، دار المعارف، القاهرة 1969م، ط:5.

31. Voir: Le Guide – de la culture Berbere, edition paris Mediterranee, mohand Akli Haddadou, 2000/edition Inas – yes, 2000.

32. Libyan notes.

33. The Eastern Libyans.

34. S.REINACH

ETAUTRES:

TIFINAGH.IMPRIMERIE HASNAOUI, ALGER, 2012

35. Moscati, S. The world of the Phoenicians, op.Cit, 1968.

36. Voir: mohand Akli Haddadou, Guide de. Laculture. Berber

37. Berber Aujourd'Hui

قائمة المصادر والمراجع المستعملة في البحث مرتبة ألفبائياً

أولاً - باللغة العربية:

1. ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. (بيروت: دار الكتب العلمية).
2. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 — 1855م. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب؛ 1989م).
3. أبو يعلى الزواوي. تاريخ زواوة. مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي؛ ط1؛ (الجزائر: منشورات وزارة الثقافة؛ 2005م).
4. المعهد الوطني للكتاب. جغرافية الجزائر والمغرب العربي. (الجزائر: المعهد التربوي الوطني).
5. بوزياني الدراجي. القبائل الأمازيغية أدوارها؛ مواطنها؛ أعيانها. (الجزائر: دار الكتاب العربي؛ 2007م)؛ (ج1 + ج2).
6. جمال قنان. قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. (الجزائر:

- منشورات المتحف الوطني للمجاهد؛ 1994م).
7. جميل حمداوي، الأمازيغية باعتبارها اللغة الأم، مقال بجريدة المنعطف، الملحق الأمازيغي، المغرب، العدد 3243.
8. عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. (القاهرة: دار الشروق).
9. عبد الرحمن الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. (الجزائر: دار الأمة؛ 2009م)؛ ج1.
10. عبد العزيز الدوري. الجذور التاريخية للشعبية. ط3؛ (بيروت: دار الطليعة؛ 1981م).
11. سهيل الخالدي. الإشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام). ط1؛ (الجزائر: دار الأمة؛ 1417هـ/1997م).
12. شاوش حباسي. من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830 — 1962م. (الجزائر: دار هومة؛ 1998م).
13. كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة: أمين فارس؛ (الجزائر: دار الأنيس للنشر والطباعة؛ 2011م/1433هـ).
14. محمد الطاهر وعلي. التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م؛ دراسة تاريخية تحليلية. (الجزائر: منشورات دحلب؛ 1997م).
15. منصور الهاجري، تاريخ من الكلمات التراثية والأمثال الشعبية، مقال على

مجلة الأنباء الإلكترونية، الكويت، 22 ديسمبر 2007.

16. مولود ديدان. نصوص القانون الدستوري الجزائري. (الجزائر: دار بلقيس؛ 2008م).

17. يحي بوعزيز. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية. (الجزائر: دار هومة؛ 1421هـ 2001م).

ثانياً - كتب مترجمة:

18. إيفون توران. المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة: المدارس والممارسات الطبية والدين من 1830م إلى 1880م. ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة؛ (الجزائر: دار القصبة؛ 2005م).

ثالثاً - باللغة الأجنبية:

19. ahmed slimani. Massinissa et yughurtha et leur influence sur l'histoire. (alger: Editions dahlab, 1994).

20. jean servier. Les barber. 2eme Editions (alger: Editions dahlab. (

21. Salem chaker, Manuel de linguistique berbère, tome 2, syntaxe et diachronie. ENAG-Editions, Alger, 1996.

اللغة الليبية القديمة (المازيغية)

ومدى قرابتها من اللغة العربية الفصحى

ومن عامة اللغات السامية

أ.د. محمد علي عيسى^(*)

شبه الجزيرة العربية موطن اللغات السامية (الجزيرية):

طُرحت الكثير من التساؤلات بين العلماء عن الأماكن التي جاء منها الساميون الأوائل ، وعن موطنهم الأول الذي ضاق بهم ، فغادروه إلى مواطن أخرى جديدة . ولقد تباينت آراء الباحثين حول هذا الموضوع ، ولم يتفقوا حوله ، وذلك لعدم وجود دليل مادي يُشير إلى الوطن الأول للساميين⁽¹⁾ . ولذلك تعددت الافتراضات التي تبحث عن الموطن الأول للساميين .

رأى نفر من هؤلاء الباحثين أن المهد الأول للساميين هو أرض أرمنيا ، وحجتهم في ذلك أن هذه المنطقة هي أنسب المناطق التي تتفق مع رواية التوراة في الطوفان . ورأى آخرون أن الوطن الأصلي للساميين هي أرض الأموريين المتواجدون في بلاد الشام ومنطقة حوض الفرات . وذهب فريق آخر من الباحثين أن أرض قفقاسية (شبه جزيرة البلقان) هي الموطن الأول للساميين ، ومنها انتقلوا إلى مواطنهم الجديدة⁽²⁾ . واضح أن هذه الفرضيات لا تستند إلى أدلة قوية ، ولم تنل الاهتمام الكبير من قبل الباحثين ، ولذلك كان التركيز على أهم الفرضيات التي يُجانبها الكثير من الصواب ، كالفرض بأن تكون شبه الجزيرة العربية المواطن الأول للساميين .

(*) أستاذ الآثار والحضارات القديمة المتقاعد، قسم التاريخ والآثار/ كلية الآداب/ جامعة طرابلس.

(1) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزر الأول ، ط 3، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ، بيروت وبغداد ، 1980 م ، ص : 229 .

(2) المرجع السابق ، ص: 238 ، 239 .

لم تكن شبه الجزيرة العربية صحراء جافة في كل عصورها القديمة ، ولكنها عرفت مثل غيرها من المناطق المشابهة لها خلال عصر (البلايستوسين) أربع فترات مطيرة ، وأربع فترات جافة خلال 600.000 سنة الماضية⁽¹⁾. وقد حدثت تلك العصور المطيرة والجافة نتيجة لتعاقب المراحل الباردة وشديدة البرودة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ، والتي تعرف عادة باسم المراحل الجليدية ومراحل انحسار الجليد . والجدير بالملاحظة أن كل مرحلة جليدية في النصف الشمالي في الكرة الأرضية تعاصرها مرحلة مطيرة في النصف الجنوبي ، وكل مرحلة انحسار جليدي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية تعاصرها مرحلة جافة في النصف الجنوبي . وقد تم تقسيم هذه المراحل على النحو الآتي :

المرحلة	بدايتها	نهايتها	مدتها
1- مرحلة (كنز Guns)	600.000	540.000	60.000
المرحلة الدافئة الأولى (كنز-مندل)	540.000	480.000	60.000
2- مرحلة (مندل Mindel)	480.000	430.000	50.000
المرحلة الدافئة الثانية (مندل-ريس)	430.000	240.000	190.000
3- مرحلة (ريس Riss)	240.000	180.000	60.000
المرحلة الدافئة الثالثة (ريس-وروم)	180.000	120.000	60.000
4- مرحلة (وروم Wurme)	120.000	18.000	102.000
المرحلة الدافئة الرابعة (وروم)-الوقت الحاضر،وقد بدأت هذه المرحلة منذ 18.000 الف سنة مضت وما تزال متواصلة حتى الآن.			

(1) هـ. فور، الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بافريقيا، (تاريخ إفريقيا العام)، جين/ افريك /اليونيسكو، 1983م، ص:388-412، وكذا . محمد المختار العرابوى ، البربر عرب قدامى ، المجلس القومى للثقافة العربية، الرباط، 1993م. ص . 129.

وكانت آخر المراحل الجليدية امتدت ما بين 120.000 وحتى 18.000 سنة، وكانت منطقة شبه الجزيرة العربية خلال تلك الفترة تغطيها الغابات والنباتات والأعشاب، وتسكنها المجموعات البشرية على امتداد مساحتها، وبالتالي رأى العلماء أنها منطقة ملائمة لأن تكون الموطن الأول للساميين، رغم أنهم لم يستقر رأيهم على منطقة محددة من شبه الجزيرة العربية.

يرى شبرنكر أن أواسط شبه الجزيرة العربية وبالتحديد منطقة نجد هو المكان الذي يقترحه بأن يكون الموطن الأول للساميين، ويرى مجموعة من الباحثين الذين أيدوا هذه النظرية أن منطقة العروص ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها هي الوطن السامي القديم، ويرى البعض الآخر من الباحثين أن الأقسام الجنوبية لشبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين عندما كانت المنطقة تمتاز بالرطوبة وكثرة الأمطار، ولكن الجفاف الذي حل بالمنطقة بعد ذلك أدى إلى ارتحال الكثير من المجموعات السكانية إلى خارج المنطقة، حيث حملت معها ثقافتها وخطها⁽¹⁾.

من خلال استعراضنا للنظريات المختلفة السابقة، التي تحيز فيها كل مجموعة من العلماء إلى بقعة من بقاع الأرض لتكون الموطن الأول للساميين، تبين لنا أن منطقة شبه الجزيرة العربية هو الافتراض الأقوى الذي يخلو من الاعتراضات العلمية. ومن هذا الموطن الأصيل، انطلقت الهجرات إلى معظم المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية شمالاً وغرباً وجنوباً، حاملة معها أساس منجزاتها الفكرية، وبالأخص الجانب اللغوي، حيث تفرقت هذه اللغة إلى لغات، حملت كل واحدة طابع المكان والبيئة التي حلت بها. وقد تطورت تلك اللغات حتي تكاد أن تكون مغايرة للغة الأم، ولكن مع ذلك احتفظت بالخصائص المشتركة للغة الأم، لأنها المعين الذي نهلت منه جميع اللغات السامية⁽²⁾.

(1) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزر الأول، ص: 231 - 233.

(2) عبد عون الروطان، موسوعة تاريخ العرب تاريخ / ممالك دول / حضارة، الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، 2007م، ص: 44.

اللغة العربية الفصحى أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم :

وكما اختلف الباحثون في الموطن الأول للساميين ، اختلفوا أيضًا في أي اللغات السامية هي أقرب للغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، وعن اللغة التي كان يتكلم بها الساميون أيام كانوا مجتمعين في بقعة واحدة من الأرض . ويعتقد العلماء أن الساميين عندما كانوا يعيشون في وطن واحد لا بد أنهم كانوا يتعاملون فيما بينهم بلغة مشتركة واحدة ، غير أن المنطقة المترامية الأطراف التي كانوا يتوزعون عليها حتما سوف تضطرهم لتسهيل معاملاتهم إلى ابتكار العديد من اللهجات تعود إلى اللغة الأولى الأم ، عُرفت فيما بعد باسم اللغات السامية⁽¹⁾ . لقد عمد بعض العلماء إلى الأمور المشتركة بين اللغات السامية كالمفردات والقواعد ليجعلوها منها صورة للغة السامية القديمة الأم ، ولذلك رأوا أن أقرب اللغات السامية إلى هذه الصورة هي اللغة الأقدم نشأة والأولى وجودًا⁽²⁾ .

أشارت أخبار اليهود في العصور القديمة إلى أن اللغة العبرية هي أقدم لغة انسانية ، حيث انتشرت هذه الأفكار خلال العصور الوسطى عند الكثير من الباحثين ، حتى إن البعض من العرب أخذوا بهذه الأفكار رغم عدم معقوليتها . وهناك طائفة من الباحثين المحدثين من يعتقد أن اللغة الأشورية البابلية هي أصل اللغة السامية القديمة الأم ، ولكن الباحث لا يستطيع الأخذ بهذا الرأي ، لأنه لا يمكنه أن يميز في هذه اللغة بين ما هو سامي وما هو سومري ، لأنها خليط بين السومرية والأشورية البابلية⁽³⁾ .

وكما سبقت الإشارة إلى أن الطريقة المثلى للتعرف على أقرب لغات الساميين

(1) كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، 1977 م، ص: 14 .

(2) علي عبدالواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2004 م، ص: 13 .

(3) المرجع السابق، ص: 12 .

إلى اللغة السامية الأم تتم باستخلاص القديم من كل تلك اللغات ، ومن خلال هذا المكون ينتج لنا لغة واحدة يمكننا اعتبارها أقرب صورة للغة السامية القديمة الأم ، بعدها يتم موازنة اللغات السامية المختلفة مع المكون القديم الذي تحصلنا عليه من كل تلك اللغات ، فالتى تكون أقرب إلى ذلك المكون القديم هي الأقرب إلى اللغة السامية الام⁽¹⁾.

لقد أكد (فيلبي) أن اللغة العربية الفصحى هي أقرب جميع اللغات السامية إلى اللغة الأصلية الأم ، التي اشتقت منها جميع اللغات السامية . ويرى (دي غويه) أن اللغة العربية من بين جميع اللغات السامية هي الأقرب إلى اللغة السامية الأم ، وأكثرها اتصالاً بها . ويرى أوليناري أن اللغة العربية تمثل اللغة السامية النقية ، وذلك لأنها لم تتأثر بالعناصر الأجنبية⁽²⁾. ويؤكد أولسهاوزن أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية القديمة . ويرى أ . ولفنسون أن اللغة العربية تحتوي على عناصر لغوية قديمة جداً ، وذلك بسبب تواجدها في مناطق معزولة عن مناطق العالم القديم ، وبالتالي لم تتأثر بالتقلبات والتغيرات التي يكثر حدوثها في المناطق العمرانية المتجاورة . وهو ما يؤكد أن اللغة العربية تمثل العقلية السامية بأكمل وجه وأصح صورة ، وذلك من خلال تلك المادة اللغوية الغزيرة ، والتي من خلالها يمكننا البحث الدقيق والتأمل العميق في آثارها مختلفة الألوان⁽³⁾. ويرى علي عبدالواحد وافي أنه من المسلّم به لدى معظم الباحثين المحدثين من علماء الاستشراق ، أن اللغة العربية احتفظت بالكثير من الأصول السامية القديمة ، خاصة من خلال المفردات والقواعد النحوية ، وأنها في ذلك تتفوق على كل اللغات السامية الأخرى ، ويرجع السبب في ذلك إلى نشأتها في أقدم المواطن السامية ، وانعزالها عن محيطها ، ولذلك قلّت فرص احتكاكها باللغات الأخرى ، وبالتالي حافظت على أصولها القديمة

(1) أ . أ . ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د . تاريخ نشر ، ص: 14 .

(2) عبد عون الروطان ، موسوعة تاريخ العرب ، ص: 48 ، 49 .

(3) أ . ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص: 13 ، 14 .

(1). ويرى جواد علي أن اللغة العربية على حداثة عهدا بالنسبة للغات السامية (الجزيرية) الأخرى ، هي أنسب اللغات السامية المعروفة لدينا الآن للدراسة والبحث ، لأنها لغة حافظت على أصالتها ، وذلك لعدم اختلاطها في فترة ما قبل الإسلام باللغات الأعجمية ، وهي بالتالي حافظت على خواص السامية (الجزيرية) القديمة ، خاصة حفاظها على الإعراب ، الذي فقدته معظم شقيقاتها ، وهي في هذه الحالة تفيدنا كثيراً في الوقوف على خصائص ومزايا اللغة السامية (الجزيرية) القديمة (2). ويرى حسن ظاها أن اللغة العربية رغم أنها أحدث اللغات السامية من حيث النصوص المكتوبة هي أقرب إلى السامية الأم ، لأنها عاشت في أمية العرب ، محفوظة بعيدة عن التغيير والتبديل (3).

ويبدو واضحاً من خلال الدراسات المختلفة التي قام بها المختصون حول اللغات السامية الأقرب للغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، أنهم توصلوا إلى أن اللغة العربية الفصحى ، هي أقرب اللغات السامية إلى الخصائص الصوتية والمعجمية لما يطلق عليه اسم السامية (الجزيرية) الأم (4)، وذلك لما تزخر به اللغة العربية من الظواهر اللغوية التي انحدرت إليها من تلك اللغة القديمة الأم ، ولكن رغم ذلك لا يعني أن تلك الظواهر تمتاز بها اللغة العربية دون غيرها من شقيقاتها الأخريات .

مدى قرابة اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) من اللغة العربية الفصحى ومن

عامة اللغات السامية:

للتعرف على حقيقة أن اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) لغة سامية

(1) علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، ص: 13 .

(2) جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جزء 1 ، ص: 255 ، 256 .

(3) حسن ظاها، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب دار القلم ، دمشق ودار الشامية ، بيروت، الطبعة الثانية 1990م ، ص: 24 .

(4) محمد المدلاوي، مبادي المقارنة الحامية-السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية، مجلة كلية الآداب، وجدة، جزء 1 ، 1990م ، ص: 53-56.

(جزيرية) قديمة مثلها مثل بقية اللغات السامية (الجزيرية) الأخرى ، سوف نتخذ اللغة العربية الفصحى نموذجاً للمقارنة بينها وبين اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة بحكم أنها أقرب اللغات السامية (الجزيرية) القديمة إلى الخصائص الصوتية والمعجمية للغة الأم ، ولكن مع ذلك ، فإنه عندما تعسر مقارنة ومكافأة اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) باللغة العربية الفصحى ، سنقوم بمقارنتها مع اللغات السامية (الجزيرية) القديمة الأخرى كالأكدية والمصرية القديمة والكنعانية والسبئية ، وذلك بالاستعانة بما خلفته لنا هذه اللغات من نقوش وألواح طينية مكتوبة .

وللوصول إلى حقيقة أن اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) لغة سامية مثلها مثل اللغة العربية الفصحى وعامة اللغات السامية الأخرى ، سنقوم بدراسة أوجه الاشتراك بينها وبين اللغة العربية الفصحى ، وبينها وبين اللغات السامية (الجزيرية) الأخرى ، من خلال الاشتراك في الصوتيات ، والاشتراك في الصرف ، والاشتراك في النحو ، والاشتراك في المعجم .

أولاً : الاشتراك في الصوتيات :

معظم القرائن تدل على أن اللغة العربية الفصحى هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، لذلك رأى العلماء أنها وبقية اللغات السامية (الجزيرية) القديمة تمتاز من حيث الصوتيات ، بأنها عبارة عن كتلة واحدة تعتمد بالدرجة الأولى على الصوامت من دون الصوائت ، حيث أوجدت حروفاً للتفخيم والتضخيم والترقيق ، وإبراز الأسنان والضغط على الحلق⁽¹⁾ . وسبقنا في بداية العصر الإسلامي الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 - 175هـ) إلى التعرف على هذه الحقيقة حين قام بتقسيم وتصنيف حروف اللغة العربية إلى مدارج وأحياز ، حيث يقول : إن "في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة ،

(1) أ. ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص: 13 ، 14 ، 19 ، 20 .

وسُميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إلا الجوف⁽¹⁾. وقد وضع الخليل تلك المدارج والأحياز وحددها في مدارج الفم قائلاً : " فالعين والحاء والحاء والغين حلقيه ، لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم ، أي مفرج الفم ، والصاد والسين والزاء أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان ، والطاء والتاء والذال نطعية ، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ، والطاء والتاء والذال لثوية ، لأن مبدأها للثة ، والراء واللام والنون ذلقية⁽²⁾ .

بالتالي فإن اللغة العربية وأخواتها الساميات تحتوي على حروف مخارجها من الحنجرة والحلقوم واللهاء ، وتحتوي على حروف أخرى مطبقة ، والتي لا يمكن نطقها إلا بقبض الحنجرة ، وهي ميزة من ميزات اللغات السامية⁽³⁾ . ومما لا شك فيه أن الصوامت الموجودة في اللغة الأمازيغية ، هي نفسها التي توجد في اللغات السامية ، خاصة في اللغة العربية ، بحكم أن هذه اللغة أقرب اللغات إلى اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، وتكاد تتشابه اللغتان في عدد الحروف الصامتة ، حيث يوجد في اللغة العربية 28 حرفاً من الصوامت ، ويوجد في اللغة الأمازيغية 29 حرفاً من الصوامت ، يُضاف إلى ذلك وجود أربع صوائت في كلا اللغتين ، وبالتالي وصل عدد حروف التيفيناغ 33 حرفاً ، وهي حروف اللغة الليبية القديمة ، وتشكل الصوائت في اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة من أربعة حركات ، وهي: صائت الفتحة - أ - أوأل / الكلام ، أمان / الماء ، وصائت الكسرة - إ - إزمر / خروف، إجدي / تراب ، وصائت المد المضموم - أُ - أول / القلب ، أدم / الوجه ، وصائت السكون - أ - التي

(1) أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، الجزء الأول ، دار ومكتبة الهلال ، القاهرة ، د . تاريخ ، ص : 57 .

(2) المصدر السابق ، ص : 58 .

(3) سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة ، دار الشروق ، بيروت ، 1986م ، ص : 80 .

تستعمل عند تكرار الحروف الساكنة (بد/ قف، يّ/ ابني)⁽¹⁾.

ومن الأصوات التي تتميز بها اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة، حروف الحركات الطويلة، وهي لا تحتاج إلى مد، لأن الأمازيغية لا توجد فيها المدود، وتقوم هذه الحروف مقام الفتحة والضمة والكسرة في اللغتين العربية والأمازيغية⁽²⁾.

ومن الأصوات التي أثارت انتباهنا في اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة وموجودة في بعض اللغات السامية القديمة، حرف الزاي المرقق وحرف الزاي المفخم، حيث يمكن أن نميز الزاي المفخم في الكتابة الأمازيغية الحديثة من خلال وجود شارة من ثلاث نقاط تعلو الحرف، في حين حرف الزاي المرقق لا يعلوه شيء. والجدير بالذكر أن حرف الزاي المرقق منتشر انتشاراً كبيراً في كهوف ومنحدرات منطقة ظفار بسلطنة عُمان، ولا يكاد يخلو منه نص كتابي ظفاري، سواء كان مرسوم بالألوان، أو منقوش على السفوح الحجرية، وهو ما يؤكد التقارب بين اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة في منطقة المغرب القديم في أقصى الغرب، مع اللغة الشحرية بعُمان في أقصى الشرق⁽³⁾، ولم يكن تواجد حرف الزاي المرقق في كلا المنطقتين، هو الذي أثار انتباهنا، بل أن هذا الحرف كان يُستعمل كحرف زاي مفخم ثقيل في كلا المنطقتين أيضاً، وهو ما نلاحظه ضمن الأساليب السامية القديمة لنطق حرفي الزاي المرقق والزاي المفخم لدى الناطقين باللهجة الجبالية بمنطقة ظفار بسلطنة عُمان، والجدير بالذكر أن الجبالية لا زالت تحتفظ بالأسلوبين البدائي القديم والحديث لنطق حرفي الزاي المرقق والزاي المفخم⁽⁴⁾، وهو ما نلاحظه طبق الأصل لدي الناطقين باللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة. والجدير بالذكر أن اللغة الليبية

(1) محمد علي عيسى، العلاقات الثقافية وصلات النسب بين الأمازيغ والعرب من خلال الأدلة اللغوية، دار الرواد، طرابلس، ص: 129.

(2) محمد ششفيق، أربعة وأربعون درساً في الأمازيغية نحو وصرف واشتقاق، مطبعة طوب برس، الرباط، 1990م، ص: 7.

(3) محمد علي عيسى، العلاقات الثقافية وصلات النسب بين الأمازيغ والعرب، ص: 118.

(4) عادل محاد مسعود مريخ، العربية القديمة دراسة مقارنة بين الفاظ المعجم السبئي والفاظ لهجات عربية قديمة (الجبالية والمهرية)، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2000م، ص: 73، 89.

(الأمازيغية) القديمة عندما تُفرق بين زايين : زاي مرقق وزاي مُفخم ، نلاحظ من خلال مخارج هذين الصوتين ظهور تغير كبير في معاني الكثير من الكلمات ⁽¹⁾.

وتحتوي معظم ما يعرف باللغات السامية على حروف الحلق ، خاصة حرفي الحاء والغين ، ويؤكد المختصون بأن اللغة العربية الفصحى هي أقرب هذه اللغات في نطق الهمزة والعين والغين والحاء والهاء ، وهي مازالت تحتفظ بها ، وهي عملية موروثه عن اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، وهذه الحروف الحلقية تتناقص في الكثير من اللغات الأخرى التي انفصلت عن اللغة الأم ، مثل العبرية التي استخدمت حرفاً حلقياً واحداً وهو الحاء للدلالة على صوتين في العبرية وهما الحاء والحاء ، في حين احتفظت الأكادية بحرفين فقط وهما الهمزة والحاء ⁽²⁾. وعلى العكس من ذلك تحتفظ اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة بمعظم الحروف الحلقية كالحاء والحاء والعين والغاء مثلها في ذلك مثل اللغة العربية .

وتُوصف اللغة العربية الفصحى بأنها لغة الضاد ، وكأن هذا الحرف لا يوجد إلا فيها ، مع أن هذا الحرف تشترك فيه معها اللغات العربية الشمالية والجنوبية بدون تمييز ⁽³⁾. وفي الوقت الحاضر تشترك اللغتان العربية والليبية (الأمازيغية) القديمة في استعمالهما لحرف الضاد ، الذي كان في السابق تنعت به اللغة العربية الفصحى وحدها ، وقديماً كانت هذه الميزة تمتاز بها لغات جنوب شبه الجزيرة العربية واللغة الحبشية . يُعتبر حرف القاف القديمة من ضمن حروف اللغة السامية القديمة الأم ، الذي ما زالت تحتفظ به اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة ، مثلها في ذلك مثل لغات جنوب شبه الجزيرة العربية ، واللهجات المتفرعة عنها ، خاصة تلك اللهجات التي ما زالت حية حتى الآن في مجال المحادثة المحلية ، كلهجات الأحقاف بسلطنة عُمان .

(1) محمد ششفيق ، أربعة وأربعون درساً في الأمازيغية نحو وصرف واشتقاق ، ص: 7 .

(2) محمد خليفة حسن أحمد ، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارتها ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م ، ص: 145 .

(3) عادل محاد مسعود مريخ ، العربية القديمة دراسة مقارنة ، ص: 91 .

والجدير بالذكر أن المدرج الذي تخرج منه القاف القديمة في اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة ، ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية ولهجاتها ، تحتاج إلى التشديد عند خروج هذا الحرف من أقصى اللهاة ، فإذا ارتفع درجة واحدة خرج القاف الفصحى ، الذي تطور عن حرف القاف القديمة⁽¹⁾.

ثانيًا : الاشتراك في الصرف :

تتميز اللغات السامية من الناحية الصرفية ، بأنها تعتمد في الأساس على الحروف الساكنة ، وتستعمل الحركات للحصول على العديد من المشتقات من مادة واحدة ، والتي تتكون في معظم الأحوال من ثلاثة أحرف ساكنة⁽²⁾ وبالتالي فالمشتقات في اللغات السامية تنطلق من المادة الثلاثية المجردة وما يتبعها من سوابق ولواحق⁽³⁾. وهذه الحالات نجدها أيضاً بكل وضوح في اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة .

ويسود الجذر الثلاثي اللغات السامية ، والذي من خلاله يمكن التعبير عن المعنى الأساسي للكلمة ، وذلك بإضافة الحركات والمقاطع لبعض الحروف في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها⁽⁴⁾. وهذا الأمر ينطبق على اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة واللغة العربية بكل وضوح⁽⁵⁾.

ثالثًا : الاشتراك في النحو :

مما لا شك فيه أن التشارك النحوي بين اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) واللغة العربية من الأدلة التي تثبت أن اللغتين أخذتا قواعدهما النحوية من لغة قديمة أم سابقة ، حيث نجد هذا التشارك بكل وضوح في :

(1) عادل محاد مسعود مريخ ، العربية القديمة دراسة مقارنة ، ص: 76 ، 92 .

(2) حسن ظا ، الساميون ولغاتهم تعريفًا بالعلاقات اللغوية والحضارية عند العرب ، ص: 20 ، 21 .

(3) المرجع السابق ، ص: 21 .

(4) سبتيانو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص: 44 ، 45 .

(5) محمد شفيق ، اللغة الأمازيغية بنيها اللسانية ، منشورات الفنك ومؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود ، الدار البيضاء ، 2000م ، ص: 47 .

1 - الاحتفاظ بحالة التأنيث :

ومن الأدلة التي تثبت أن اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة واللغة العربية الفصحى أخذتا قواعدهما النحوية من لغة قديمة أم سابقة حالة التأنيث ، التي يكون عليها الفعل الماضي والمضارع مع المفردة الغائبة ، حيث تؤنث هاتان الحالتان بإضافة التاء للمفرد الغائب ، فنقول في العربية سكت للمذكر وسكتت للمؤنث ، ويسكت للمذكر وتسكت للمؤنث ، وكذلك في اللغة الليبية القديمة نقول يسوسم (سكت) للمذكر وتسوسم (سكتت) للمؤنث ، يسوسوم (يسكت) للمذكر وتسوسوم (تسكت) للمؤنث . ويبدو واضحاً من خلال هذه الحالات أن الفعل سواء كان ماضياً أو مضارعاً ، عندما تضاف إلى آخره التاء يتحول إلى حالة المؤنث ، لأن التاء المضافة إلى الفعل تدل على علامة التأنيث . وفي هذا الصدد يوجد بين الباحثين من يرى بأن التاء ضمير مفرد مؤنث للغائبة ، والياء ضمير مفرد مذكر للغائب ، وفي هذا إقرار كما يرى بعض الباحثين بأن التاء للتأنيث والياء للتذكير⁽¹⁾ ، وهو ما يشير إلى قرابة بين اللغات السامية (الجزيرية) القديمة عامة ، وعلى وجه الخصوص إلى قرابة بين اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) والعربية الفصحى .

2 - الاحتفاظ بكثرة جموع المذكر السالم وجموع التكسير وجموع الكثرة :

تمتاز اللغة العربية الفصحى بجمعين وهما : جمع المذكر السالم والمؤنث السالم وصيغ مجموع التكسير كثيرة ، وهذه الخاصية تعد من مميزات اللغات السامية (الجزيرية) القديمة كافة ، ومن خلال دراسة اللغة الليبية القديمة ، بما في ذلك اللهجات الحديثة اتضح أنها تمتاز هي الأخرى بمعظم هذه الجموع ، ويعتبر جمع المذكر السالم في اللغة العربية الفصحى جمعاً قياسياً له صيغتان ، حيث تنتهي بالواو والنون في حالة الرفع ، وبالياء والنون في حالتي النصب والجر ، ويكون أساساً للعاقل ، ويمكن أن نلاحظ في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) هذه الطريقة من الجمع

(1) محمد المختار العرابوي، البربر، ص: 201.

ولكنها لم تكن متطورة كما هي في اللغة العربية الفصحى ، ولا تزال اللغة الليبية القديمة تحتفظ بها رغم قدمها ، ونجد أمثلة كثيرة في هذه اللغة تأخذ نفس الطريقة السابقة فكلمة إيجف (رأس) يجمع إيجفون ، وكلمة تالغمت (ناقة) تجمع تيلغمين ، ونجد في اللغة العربية الفصحى بقايا من هذه الظاهرة ، حيث جمعت بعض الكلمات بطريقة جمع المذكر السالم ، وأحياناً جمع تكسير ، وغالبية هذه الكلمات لغير العاقل مثل : أهل تجمع أهلون وأهلين وآهال ، وعالم تجمع عالمين وعالمون وعوالم ، وأرض تجمع أرضين وأرضون وآراض ، وسنة تجمع سنون وسنين وسنوات ، ويعتبر جمع التكسير من أكثر الجموع أصالة في اللغة العربية الفصحى ، وقد وضحت الدراسات اللغوية أن صيغة المفرد في هذه اللغة تتحول إلى أكثر من أربعين صيغة جمع مختلفة . وفي اللغة الليبية القديمة نجد هذا الجمع يفوق في كثرته اللغة العربية الفصحى ، لكونه الجمع الأساسي ، ويلاحظ أن جمع التكسير في اللغة الليبية القديمة جرى على نفس النمط الذي جرى عليه في اللغة العربية الفصحى فيما بعد ، حيث يتم أحياناً بتغيير الحركات ، وأحياناً أخرى بتغيير الحركات مع زيادة حرف أو أكثر ، أو بتغيير الحركات مع إنقاص حرف أو أكثر أو بتغيير الحركات مع الحذف والزيادة ، ويبدو واضحاً أن جموع التكسير في اللغة الليبية القديمة من أقدم الجموع التي عرفتها اللغات السامية (الجزيرية) القديمة ، وهو في الأساس جمع غير قياسي يتماشى وجوده مع طبيعة الفترة الأولى لتكوّن اللغة وما فيها من اضطراب وتداخل في الظواهر اللغوية . وتشابه اللغة الليبية القديمة مع اللغة العربية الفصحى في جموع الكثرة ، التي تنتهي بـ ألف ونون ، فنجد في اللغة العربية الفصحى بعض الأسماء تجمع على هذه الطريقة فغلام يجمع غلمان وجرد يجمع جردان وحوت يجمع حيتان وتاج يجمع تيجان ، واللغة الليبية القديمة مازالت إلى الآن تتبع نفس الطريقة من الجمع فكلمة ألغم (جمل) يجمع إلغمان ، وكلمة إيزى (ذباب) تجمع إيزان ، وكلمة إيتري (نجم) يجمع إيتران ، وكلمة آس (يوم) يجمع أسان . وقد ورثت اللغة العربية الفصحى أشياء من هذه الصيغ ، التي سبقتها إليها اللغة الليبية القديمة منذ زمن بعيد . لقد اتضح مما سبق الصلة

الوثقى بين اللغة الليبية القديمة واللغات العربية السامية (الجزيرية) ، التي انفصلت عن لغة قديمة أم . ونظراً لأن اللغة العربية الفصحى كانت أقرب اللغات السامية (الجزيرية) القديمة التي أخذت عن اللغة الأم ، لذلك كانت أيضاً أكثر قرباً للغة الليبية القديمة نظراً لعراقة هذه اللغة الأخيرة ، بالإضافة إلى أنها نهلت هي الأخرى مباشرة من تلك اللغة القديمة الأم .

3 - استعمال التاء أو الشاء في آخر الكلمة للتمييز بين المذكر والمؤنث :

ومن الوسائل المستعملة في اللغات السامية (الجزيرية) القديمة بما في ذلك اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) ، واللغة العربية الفصحى ، عملية التمييز بين المذكر والمؤنث باستعمال التاء أو الشاء في آخر الكلمة ، والجدير بالذكر أن تحويل المذكر إلى المؤنث يتم في اللغة العربية الفصحى بإضافة تاء مربوطة إلى آخر الكلمة المذكرة فتصبح مؤنثة . ولذلك عند تحويل الكلمات قط وشاب وذئب وفقى إلى مؤنث نضيف تاء مربوطة إلى آخر الكلمات السابقة ، فتصبح قطه وشابة وذئبة وفتاة . وتستعمل اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) ، نفس الطريقة السابقة لتأنيث نفس الكلمات ، ولكن بإضافة تاء مفتوحة إلى آخر الكلمة بدل التاء المربوطة . فكلمة أمنيش (قط) مؤنثها تامنيشت وكلمة بوشيل (فقى) مؤنثها تبوشيلت (فتاة) وكلمة أوشن (ذئب) مؤنثها توشنت (ذئبة) وهكذا . واللافت للنظر أن اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) تتشابه في هذه الطريقة من التأنيث مع ما درج عليه سكان جنوب شبه العربية القديمة ، حيث يتم إضافة تاء مفتوحة للكلمة المفردة لتصبح مؤنثة . ونجد مثلاً على ذلك كلمات كثيرة في اللغات القديمة لجنوب شبه الجزيرة العربية ، مثل كلمات تهامت (تهامة) وربيعت (ربيعة) وحبشت (حبشة) وكندت (كندة) ويمنت (يمن) ، وهي نفس الطريقة في عملية التأنيث التي تتبع في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) . والغريب في الأمر أن عملية التأنيث بإضافة حرف التاء المفتوحة إلى آخر الكلمة ما زالت موجودة حتى الآن في المهرة باليمن ، ومن خلال كلمات أخذتها بناء على مقابلات

شخصية بسيطة مع بعض سكان المهرة ، وضحت لنا عملية التأنيث بإضافة تاء مفتوحة في نهاية الكلمة ، ورغم أن الكلمات التي أوردتها هنا ذات أصل عربي فصيح ، فإنها وضحت لنا هذه القاعدة الموجودة لدى المهرة منذ أقدم العصور حتى الآن ، فكلمة خيمة تتحول عند المهرة إلى خيمت وكلمة لحية تتحول عند المهرة إلى لحيث وكلمة نخلة تتحول عند المهرة إلى نخلت ، ونجد الأمر نفسه لو طلبنا اليوم من أحد سكان المغرب الكبير الناطقين باللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) تحويل نفس الكلمات السابقة إلى الليبية القديمة (الأمازيغية) ، لحوها حرفياً كما حو لها سكان المهرة ، ماذا يعني هذا ؟ هل أخذ المهرة هذه الطريقة في التأنيث من الليبيين القدماء (الأمازيغ) أم العكس هو الصحيح ؟ بالطبع ليس هذا وليس ذاك ، لأن هذه الطريقة من التأنيث قديمة قدم التاريخ ، وهي في الأصل موجودة في كل اللغات السامية (الجزيرية) القديمة ، ومعروف أن لغة المهرة واللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) من اللغات القديمة التي انحدرت من لغة قديمة أم ، وقد حافظت اللغتان على أصالتهما منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر .

ولم تقتصر وجود طريقة التأنيث بالتاء المفتوحة في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) ، وفي لغات جنوب شبه الجزيرة العربية فقط ، بل إنها موجودة حتى في الرسم القرآني ، حيث جاءت بعض الكلمات بالتاء المفتوحة مع أنها مربوطة مثل : كلمتي امرأة ورحمة كما في قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف:30].

وفي قوله تعالى من سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم:11] ، وفي قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:216] ، ونجد في الكتابات البردية التي كتبت باللغة العربية الفصحى في بداية الفتح الإسلامي ، كلمات عربية مؤنثة كان من المفروض أن تكتب بتاء مربوطة ، ولكنها كتبت بتاء

مفتوحة ، مثل كلمة سنة كتبت على شكل سنت وكلمة امرأة كتبت على شكل امرات وكلمة ابنة كتبت على شكل ابنت وكلمة المسماة كتبت على شكل المسمات ، وهذا الأمر يدل على الترابط اللغوي بين اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) والواقع اللغوي القديم لمنطقة شبه الجزيرة العربية بكاملها . وردت عبارة سُنَّة في القرآن الكريم على شكل سُنَّت ثلاث مرات متتالية في آية واحدة من سورة فاطر، كما في قوله تعالى من سورة فاطر: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43، 44]، ووردت عبارة سُنَّة بشكلها الحالي الفصيح مرتين متتاليتين في آية واحدة كما في سورة الفتح: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23]، ويلاحظ أن الأمازيغ وأصحاب لغات الأحقاف من المهرة والشحرة وسكان ظفار، هؤلاء جميعاً ما زالوا ينطقون عبارة سُنَّة بنفس الرسم القرآني لهذه الكلمة في هذه الآية الواردة في سورة فاطر ، أي سُنَّت بالتاء المفتوحة بدل سُنَّة بالتاء المربوطة .

يبدو واضحاً من خلال الأمثلة السابقة أن أصحاب اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) وأصحاب لغات الأحقاف من المهرة والشحرة وسكان ظفار ما زالوا يحافظون على استعمال التاء المفتوحة بدل التاء المربوطة ، بسبب انتماء كل هذه الجماعات إلى اللغة القديمة الأم التي كانت في شبه الجزيرة العربية ، والتي كانت التاء المفتوحة هي علامة التأنيث الأصلية ، لأن التاء المربوطة المستعملة في اللغة العربية الفصحى تُعتبر ضمن الطور الأخير في اللغة العربية ، حيث تحولت التاء المفتوحة إلى تاء مربوطة⁽¹⁾.

4 - استعمال أداة تعريف واحدة :

تستعمل معظم مناطق شبه الجزيرة العربية أداة التعريف "أل" ، حيث نجد هذه الظاهرة موجودة لدى سكان أوغاريت (رأس شمرة) ، أيضاً استخدم الأنباط في

(1) عادل محاد مسعود مريخ ، العربية القديمة دراسة مقارنة، ص : 80 .

نقوشهم أداة التعريف "أل" بطريقة موسعة جداً لدرجة أنهم كانوا يضعونها مع أسماء آلهتهم مثل الله واللات والعزى⁽¹⁾، وما زالت اللغة العربية الفصحى تستخدم نفس الأداة، ويبدو أن هذه الأداة ظاهرة قديمة ترجع إلى اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم، وهي تقابل حرف "الهاء" كأداة للتعريف بدلاً من "أل"⁽²⁾، وكان يستخدمها الكنعانيون والعبريون والآراميون، واللحيانيون والتموديون ووالصفويون، ويُلاحظ أن أصحاب اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) كانوا يستعملون "أ" كأداة للتعريف وهي وسط بين "الهاء" و"أل"، ونجد جميع لهجات الأحقاف القديمة كالشحرية والمهرية والسوقطرية، هي الأخرى تستخدم حرف الألف كأداة تعريف⁽³⁾، والجدير بالذكر أن اللغة العربية الفصحى هي الأخرى ما زالت تستعمل "أ" كأداة للتعريف عندما تكون الكلمات المعرفة شمسية وليست قمرية، وخير مثال على ذلك نقش النمارة الذي اكتشفه المستشرق الفرنسي دوسو Dussaud، حيث نجد نصاً عربياً قديماً على شاهد قبر يخص امرئ القيس بن عمرو يعود لعام 328 م. غ، كُتب بالحرف النبطي، موجود حالياً بمتحف اللوفر بباريس. أهم ما يذكّرنا هذا النقش باللغة العربية يتمثل في أداة التعريف "أل" وإدغام اللام أمام الحروف الشمسية⁽⁴⁾.

5 - ظاهرتا الإعراب والمنع من الصرف :

لم تكن ظاهرتا الإعراب والمنع من الصرف خاصية للغة العربية الفصحى، أخذتها من بعض القبائل العربية البدوية المتواجدة بشبه الجزيرة العربية، كما يعتقد البعض، بل هي خاصية قديمة تشترك فيها معظم لغات شبه الجزيرة العربية القديمة الأخرى كالأكادية والحبشية والأوغاريتية والليبية القديمة⁽⁵⁾، حيث كانت تلك

(1) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1960 م، ص: 107.

(2) المرجع السابق، ص: 33.

(3) عادل محاد مسعود مريخ، العربية القديمة دراسة مقارنة، ص: 77.

(4) محمد سعيد ربيع الغامدي وآخرون، نظام الكتابة العربية والنشوء والتطورات، ص: 26.

(5) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 106.

اللغات تعتمد في كتاباتها على حركات وعلامات هي نفس الحركات والعلامات الموجودة في اللغة العربية الفصحى ، أي الضمة في الرفع ، والفتحة في النصب ، والكسرة في الجر . ويؤكد معظم الباحثين أن ظاهرتي الإعراب والمنع من الصرف قديمتان في اللغة السامية الأم ، وأن اللغة العربية احتفظت بهما بينما فقدتهما معظم اللغات السامية الأخرى . وتتميز اللغة الأكادية عن اللغات السامية الأخرى في أنها تحتفظ بعلامات الإعراب الرئيسية (الضمة والفتحة والكسرة) والدليل على ذلك ما جاء في نصوص قانون حمورابي المدون باللغة البابلية ، والذي يرجع تاريخه لبداية الألف الثانية قبل الميلاد ، حيث تظهر على نصوصه علامات الرفع والنصب والجر ، حيث نجد الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً كما في العربية . واللغة الأوغاريتية لغة معربة أيضاً، حيث تظهر على نصوصها هي الأخرى علامات الرفع والنصب والجر ، فهي متطابقة إعرابياً مع العربية ، حتى في علامات الإعراب الفرعية كجمع المؤنث السالم والممنوع من الصرف⁽¹⁾.

6 - استعمال أسماء وحروف الإشارة :

في اللغة الصفوية يتبع اسم الإشارة المُشار إليه ولا يتقدمه ، وقد لاحظنا ذلك من خلال نقوشهم الحجرية فيكتبون مثلاً : " جو ، ذ " أي هذا الوادي⁽²⁾ . إن هذه القاعدة النحوية لم تكن تختص بها اللغة الصفوية وحدها ، بل إن اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) أيضاً تسير على نفس القاعدة ، وهو ما يدل على انتقال هذه القاعدة النحوية من لغة قديمة أم مشتركة ، ويبدو هذا واضحاً لو حولنا نفس العبارة السابقة إلى اللغة الليبية القديمة فستكون على النحو التالي "سوف يده ، أو سوف وده" وتعني هذا الوادي ، حيث نجد سوف تعني وادي ، ويده أو وده يعني اسم الإشارة هذا ،

(1) ساي عوض ، ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد (32) ، العدد (2) 2010 ، ص: 12 ، 13 .

(2) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص: 113 .

ولم تكن اللغة العربية الفصحى ولغات شبه الجزيرة العربية القديمة الأخرى وحدها التي نراها تستعمل الذال وذه وذات كحروف إشارة ، بل إن هذه الطريقة نفسها تُتبع في اللغة الليبية القديمة على أوسع نطاق .

7 - مجال الضمائر المنفصلة :

يُلاحظ التطابق اللغوي بين اللغة الأكادية والمصرية القديمة والقبطية والعبرية والعربية الفصحى والليبية القديمة (الأمازيغية) في مجال الضمائر المنفصلة . ويمكن أن نلاحظ هذا التطابق بكل وضوح عند هذه اللغات في ضمير المتكلم المفرد أنا ، فنجد في الأكادية "أناكو" وفي المصرية القديمة "إنك" وفي القبطية "أنك" وفي العبرية "أنوكي" وفي الليبية القديمة (الأمازيغية) "إنك" وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه اللغات جميعاً ترجع في جذورها الأولى إلى لغة قديمة أم .

8 - طريقة التصغير :

تتضح المفاجأة الكبرى التي تدل على الصلة الكبيرة غير المحدودة بين اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) واللغة العربية الفصحى في عملية التصغير ، حيث نجد طريقة التصغير في اللغتين واحدة ، سواء تصغير المؤنث أو تصغير المذكر مثلاً : جمل : جُمِّل ، وحمل : مُحْمِل ، أضيفت الياء المشددة عند التصغير في اللغة العربية ، وألغم (جمل) : ألغِم ، إزمر (خروف) : إزَمِر ، أيضاً أضيفت الياء المشددة عند التصغير في اللغة الأمازيغية . هذا فيما يخص المذكر ، أما المؤنث فهو لا يختلف عما سبق مثلاً : ناقة : نُويقة ، ونعجة : نُعيجة ، أضيفت الياء المشددة عند التصغير في اللغة العربية ، تالغت (ناقة) : تالغِيت ، وتيلي (نعجة) : تيليوت أيضاً أضيفت الياء المشددة عند التصغير في اللغة الأمازيغية . مما لا شك فيه أن العبارات السابقة هي عبارات بدائية قديمة ، وبالتالي فهي بدون شك ترجع للغة القديمة الأم .

9 - الاستعمالات المختلفة لحرف الألف :

من أهم استعمالات حرف الألف في لهجات الأحقاف كما سبقت الإشارة

استخدامه كأداة للتعريف ، ويُلاحظ أن أصحاب اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) كانوا أيضًا يستعملون الألف كأداة للتعريف وهي وسط بين " الهاء " و " أل " . يُستخدم أيضًا حرف الألف في كتابات الاحقاف ، خاصة في الجبالية في بعض صيغ الأمر على وزن أفعل⁽¹⁾ ، وهو نفسه في الليبية القديمة (الأمازيغية) ، فنقول في الأمازيغية: أكر قم ، ايتش كل ، أطس نم ، وهكذا .

رابعًا : الاشتراك في المعجم :

إن المقارنة بين بعض الكلمات وجذورها في اللغة الليبية القديمة مع كلمات وجذورها في اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، تُعتبر ذات قيمة أساسية في موضوع الاشتراك المعجمي بين اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) والعربية ، لأنه من خلال هذه المقارنات نستطيع إثبات أن اللغة الليبية القديمة لها علاقة متينة باللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، وبالتالي باللغة العربية الفصحى ، وللوصول إلى هذا التشارك سوف أقوم بتقسيم الموضوع إلى محورين : الأول سوف أتحدث فيه عن التشارك بين هاتين اللغتين في المفردات وفي أسماء بعض القبائل ، أما المحور الثاني والأخير فيتمثل في تشارك اللغتين في الكثير من جذور اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم .

1 - التشارك في المفردات وفي أسماء بعض القبائل :

يرى البعض بأن التشابه الكبير بين أعداد كثيرة من الكلمات الليبية القديمة ، مع كلمات أخرى في اللغة العربية الفصحى ، لم يكن بسبب الأصل القديم المشترك ، بل حدث بعد وُصول الإسلام إلى المنطقة ، ويبدو هذا الكلام منطقيًا للوهلة الأولى ، لو أن هذا التشابه هو الدليل الوحيد على تلك العلاقات الوطيدة ، ولكن ماذا يقول هؤلاء عندما تحدث المقارنات بين اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة واللغة العربية الفصحى من خلال النقوش الكتابية ، التي تعود إلى ما قبل الإسلام ، والتي عثر عليها

(1) المرجع نفسه، ص: 78 .

في العديد من مناطق المغرب القديم ، والتي تحتوي على كلمات ذات أصول سامية (جزيرية) قديمة تسبق وصول المسلمين واللغة العربية إلى المنطقة بعشرات القرون . وقد كانت بعض هذه النقوش بالأبجدية الليبية القديمة بالكامل ، والبعض الآخر كان يحمل نصين مختلفين إما بالأبجدية الليبية والقرطاجية (البونيقية) ، أو بالأبجدية الليبية واللاتينية ، ومما لا شك فيه أن هذا التشابه يعود إلى ما قبل الإسلام ، وهو دليل على وحدة الأصل السامي (الجزيري) .

ومن خلال موضوع الاشتراك في المفردات ، سوف أعرض بعض المفردات التي نقلتها من خلال مقال محمد شفيق ، ومن خلال ما أورده علي فهمي خشيم ، ومن خلال بعض المفردات التي أوردها عثمان سعدي ، ومن خلال ما أورده محمد المختار العرباوي ، ومن خلال بعض الإضافات التي تعرفت عليها شخصياً من خلال هذه الدراسة⁽¹⁾ . سوف أسعى بكل جهد على أن تكون هذه المفردات المختارة ، أصيلة في اللغة الليبية القديمة ، ولا صلة لها بالكلمات التي جاءت عن طريق الاحتكاك باللغة العربية الفصحى بعد وصول الإسلام إلى المنطقة ، وسوف أسعى بأن تكون هذه المفردات قد وُلدت مع بدايات اللغة ، عندما كانت أصلاً في شبه الجزيرة العربية . وأعرض هنا بعض الكلمات باللغة الليبية القديمة ، وما يقابلها باللغة العربية الفصحى على سبيل الأمثلة وليس الحصر .

- يرول (هرب) : وكلمة هرول العربية قريبة جداً من كلمة إرول الليبية القديمة.

-يسغى (اشترى) : سوغ الشيء جعله مباحاً حلالاً ، تملك الشيء.

-ألغم (الجمال) : اللغام : زبد أفواه الإبل .

(1) علي فهمي خشيم ، سفر العرب الامازيغ ، دار نون ، طرابلس ، 1995 م . ص 1-41-53 . وكذا . عثمان سعدي ، البربر الأمازيغ ، ص: 95-109 . وكذا . محمد المختار العرباوي ، البربر ، ص: 179-184 ، ومحمد علي عيسى ، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية ، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2012 م ، ص: 291 - 300 .

- إغيد (الجدي) : الغيدان من الشباب أوله.
- يَكْس (ينزع أو يخلع) : وكس الشيء : نَقَصه فلائًا: وبجّه ، وكس ماله أنقصه.
- تامطوت (المرأة) ومعناها الكائن الذي يحيض . والطمث في العربية معناها الحيض . ويقال في العربية المرأة الطامث .
- أمان (الماء) ومان = الماء في لغة قبيلة شمر بشبه الجزيرة العربية ، وهي عربية واضحة .
- إيفير (طار) جاءت من العربية أفريفر وفريفر . وهي تعني الطيران أو العدو والوثب استعداداً للطيران .
- أملال (الأبيض) المؤلل الناصع اللون ، مؤلل الوجه حسنه .
- يُزُوم أزوم (صام الصيام) في هذه الكلمة انقلبت الصاد زايًا، وأيضًا في العربية الأزم الحمية والإمساك عن الطعام .
- أوال (الكلام) وهو التأويل ، ومن المعروف أن المصدر في فعّل (بتضعيف العين) كثيرًا ما يقوم مقامه اسم المصدر: سلام في سلّم ، وكلام في كَلّم ، وطلاق في طَلّق، وزواج في زَوّج ، وأوال في أوّل .
- أودم (الوجه من الإنسان ومن كل شئ) وفي العربية الأديم وجه الشيء ، وهو مدلول موحد في اللغتين ، إلا أنه أكثر تعميمًا في اللغة الليبية القديمة .
- إيلس (اللسان) . وواضح القرابة بين إيلس جمعها إيلساون واللسان .
- إيدامن (الدم) ، وتبدو هنا القرابة واضحة تمام الوضوح من خلال الحروف الأصلية للعبارتين الأمازيغية والعربية .
- يَمّت وتمّت (مات وماتت) ، هاتان الكلمتان عريقتان وترجعان إلى بداية ظهور اللغة القديمة الأم في شبه الجزيرة العربية ، وتصادفنا هاتان الكلمتان طبق الأصل في اللغات العربية القديمة الأخرى كالأكادية والمصرية القديمة .

ومما يسترعى الانتباه ذلك الاشتراك في أسماء بعض القبائل الظفارية مع أسماء قبائل في منطقة المغرب القديم ، وفي هذا الإطار نجد عدداً كبيراً من قبائل ظفار تبدأ أسماؤها بكلمات آت وايت وآرا وهي تعنى في الأمازيغية أبناء ونسل وجد من أجداد هذه المنطقة ، مثلاً على ذلك في منطقة ظفار قبائل إييت حندوب ، أت غوذي ، إييت زربيح ، إييت فات ، أر كبيت ، أر سيرح ، وهذا الأمر نفسه نجده في بعض القبائل الناطقة بالأمازيغية في ليبيا والجزائر والمغرب ، مثلاً على ذلك آت معان وآت قربو وإيت عبدالله بالسوس ، وإيت واوذكيت وآت عياش وآت إيدراسن وآت نظير وآرا أحمد وآرا عمر وغيرها الكثير . وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال لماذا هذا التشابه بين أسماء قبائل ظفار مع قبائل مناطق المغرب الكبير ؟ في المقابل لماذا لم نجد مثل هذا التشابه بين مناطق المغرب القديم ومناطق أوربية ، وذلك لدعم رأي الذين يدّعون أن أصول سكان المغرب الكبير ربما يعود إلى أوروبا . الإجابة على السؤال السابق في منتهى السهولة ، وهي أن هذه الأسماء متأصلة في اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) ولغات الأحقاف ومنها اللغة الظفارية ، وذلك منذ تشاركهما في لغة قديمة أم كانت في شبه الجزيرة العربية .

2 - الاشتراك في الجذور:

تُشير معظم المعاجم العربية إلى أن الجذر في اللغة أصل اللسان ، وبالتالي فهو من حيث اللغة عبارة عن مادة أساسية تتكون من حروف ثنائية أو ثلاثية في الغالب ، يمكن من خلالها أن نتحصل على معنى عام لفكرة معينة ، وتأتي الحركات في مرحلة تالية في إطار المعنى السابق ، لتعطي لنا مجموعة من الصيغ⁽¹⁾. ومن خلال موضوع الاشتراك اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) والعربية في الكثير من جذور اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، سوف أعرض بعض جذور الكلمات القديمة ، التي

(1) عبد الكريم بوفرة، مفهوم الجذر الصرفي بين اللغتين العربية والعبرية: دراسة مقارنة ، في مجلة أسيماك ، العدد الثالث عشر ، 2018 ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، الرباط ، 2018م ، ص: 35 .

أخذت معظمها من العلامة الألماني بيير فيرميرش أوتوروسلر⁽¹⁾. وسأعرض هنا مادة أساسية في اللغة ، تمثل جذور بعض المفردات القديمة ، التي تشترك فيها معظم لغات شبه الجزيرة العربية ، ومنها اللغة العربية الفصحى ، وترجع جميعها إلى اللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم ، أي قبل وصول الإسلام واللغة العربية إلى المنطقة بأكثر من ثمانية قرون ، ومنها :

- الجذر رول ، هرول : هرول ، فر .

في العربية هرول وفي عموم اللهجات الليبية إرول ، ومما لا شك فيه أن انتشار هذا الجذر في كل اللهجات الليبية يدل على أن هذا الجذر أصيل ولم يُستعار من اللغة العربية .

- الجذر كلد أو جلد : قوي .

في العربية نقول جليد وجلد بمعنى قاسي وقوي ، ويُطلق على الملك اسم أكليد في الليبية القديمة (الأمازيغية) بلهجة تزرولت ، وقد وردت الكلمة كلد وكلدت في الكثير من النقوش الليبية القديمة ، وأحسن نموذج لذلك نقش الملك مسنسن بضريح مدينة دوقا بتونس ، الذي يعود للعام 139 قبل الميلاد .

- الجذر ورغ ، ورق أخضر ، أصفر ، ذهبي .

في الأكادية وراق تعني أخضر ، ورقيت عشب أخضر ، وفي العبرية يرق أخضر مصفر ، وفي الأثيوبية ورق ذهب ، وفي العربية ورق بمعنى ورقة وكذلك أوراق الشجر ، وفي عموم اللهجات الأمازيغية أورغ أخضر وأصفر وذهبي ، وذلك حسب اختلاف اللهجات . يؤكد العلامة روسلر أن هذا الجذر لا يمكن أن يكون مقتبس من الكنعانية أو العربية ، ولكنه أصيل في اللغة القديمة الأم .

- الجذر كنو الصاحب أو الصاحبة .

(1) بيير فيرميرش أوتوروسلر ، أصول السكان في ليبيا أراء غربية (الجزء الثاني) دراسات أثرية ولغوية ، ترجمة مصطفى محمد الهنقاري وعما الدين غانم ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2009م ، ص: 255 - 256 ، 266 - 288 .

في الأكادية كنيث رفيقة ، وفي الآرامية كناوتا الرفاق ، وفي الليبية القديمة تيكني الخليفة كما في الطارقية ، وتيكنيوين مفرد تاكنا وهن زوجات الرجل الواحد كما في الأمازيغيات الأخرى . يرى روسلر أن هذه الكلمة أصيلة ترجع للغة القديمة الأم التي كانت في شبه الجزيرة العربية .

- الجذر كركبش ، الشاة ، الضان .

في الأكادية كرك الشاة ، وفي العبرية كرك الضان ، وفي عموم اللهجات الأمازيغية إكر الكبش ، وهذه الكلمة أصيلة ترجع للغة القديمة الأم ، وهي غير موجودة في اللغة العربية .

- الجذر موت : مات .

في الأكادية ماتو : مات ، موتان : توفي ، وفي عموم اللهجات الليبية القديمة (الأمازيغية) يمّت : يموت - ت - متنت : الموت ، مات وماتت ، والكلمتان عريقتان ، وترجعان إلى بداية ظهور اللغة الأم في شبه الجزيرة العربية ، وتصادفنا هذه المفردات طبق الأصل في اللغات العربية القديمة الأخرى كالأكدية والمصرية القديمة والقبطية والتشادية ، وبالتالي فهي أصيلة في كل هذه اللغات .

- الجذر غرم - قرم : سطح قاس ، قشرة أو جلف .

في العبرية الحديثة قروم : جلد ، قشرة ، وفي معظم اللهجات الليبية القديمة (الأمازيغية) أغروم يعني الخبز ، وفي العربية قرمة تعني بقية قشرة خبز بالتنور . الجذر غرم منتشر انتشاراً كبيراً في معظم لغات شبه الجزيرة العربية ، ولكنه أكثر انتشاراً في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية) ، حيث يمكن نستخرج منه كلمات كثيرة مثل : أغورم اسم قلعة سيوة ، وأغرم اسم قبور صخرية في تزرولت ، وأغرم اسم مستوطنة مسورة أو قصر كبير ، وتاغرمت وتاغرمن اسم قرية أو مجموعة قصور كما في بعض اللهجات الليبية القديمة .

- الجذر جبر⁽¹⁾ : جبار . قولهم نخلة جبارة وهي العظيمة التي تفوت يد المتناول ،

(1) لسان العرب لابن منظور ، الجذر جبر : جبار ، دار صادر ، بيروت ، 1997 م .

ونخلة جبارة أي عظيمة سمينة ، ونخلة جبارة فتية قد بلغت غاية الطول وحملت ، والجمع جَبَّار . قال الشاعر :

فاخرات ضلوعها في دُرَاهَا وأناض العيدان والجَبَّار

وتعني الجَبَّار هنا جمع لكلمة جبارة ، وهي النخلة الفتية كما سبقت الإشارة ، وكلمة جَبَّار ما زالت مُستعملة في الأمازيغية ، وهي تعني جمع جبارة ، والجدير بالذكر أن كلمة جبارة عند معاملتها معاملة المؤنث في اللغة الأمازيغية يتم إضافة حرف التاء في بداية الكلمة وحرف التاء في نهايتها لتصبح مؤنثة تجبَّرت ، وهذه الطريقة من التأنيث كانت وما زالت مستعملة لدى كل شقيقات الأمازيغية في شبه الجزيرة العربية ، في حين ظل الجمع جَبَّار كما هو في مصدره ، ما زالت حتى الآن كلمة تجبَّرت وجبَّرت من الكلمات المتداولة كثيراً في اللغة الأمازيغية .

- الجذر لس : لحس - لسان .

في العربية لس ولست ، فنقول لستُ الدابة الحشيش وتلسه لَسًا ، وجاء من لس اللسان ، وفي الأكادية لشان ، وفي عموم اللهجات الليبية القديمة لس وعند إضافة أداة التعريف للكلمة نقول إلس . هذا الجذر بكل تأكيد أصلي وليس دخيل لأنه أيضًا موجود في الأكادية ، والمصرية القبطية ، وفي التشادية الحامية .

لقد توصلنا من خلال ما تم عرضه ، إلى أن اللغة الليبية (الأمازيغية) القديمة شقيقة للغة العربية الفصحى ، وقد تأكدنا من هذه الحقيقة من خلال أن هاتين اللغتين تتشاركان في الكثير من التراكيب اللغوية ، والقواعد النحوية والصرفية والاشتقاقية ، والمفردات اللغوية ، وذلك بحكم الأصول المشتركة ، وتشابه معجمي اللغتين ، والذي لم ينتج من خلال وُصول الإسلام إلى المنطقة فقط ، بل نتج عن تأثيرات وترايط قديم بين اللغتين ، حيث نجد جذور الكلمات المشتركة التي تحصلنا عليها من نقوش كتابية ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، أي قبل وصول الإسلام

واللغة العربية إلى المنطقة بأكثر من 800 سنة⁽¹⁾. ومع ذلك التشابه والتلاقي والتأثر لا نستطيع القول إن اللغتين متطابقتان في كل شيء ، وإلا لأصبحتا لغة واحدة . ولكن الصحيح أن اللغتين نبعتا من مصدر واحد نستطيع تسميته باللغة السامية (الجزيرية) القديمة الأم .

Bousquet G. H. , Les Berberes ,Presses Uneveritaires de Paris ,Paris ,1974,(1)

P : 21 . 22 .

المصادر والمراجع

- أ. ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د. تاريخ نشر.
- أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، الجزء الأول ، دار ومكتبة الهلال ، القاهرة ، د. تاريخ .
- الغامدي ، محمد سعيد ربيع وآخرون ، نظام الكتابة العربية والنشوء والتطورات ، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض ، 1438 هـ.
- بيير فيرميرش أوتو روسلر ، أصول السكان في ليبيا أراء غربية (الجزء الثاني) دراسات أثرية ولغوية ، ترجمة مصطفى محمد الهنقاري وعماد الدين غانم ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2009 م .
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزر الأول ، ط 3 ، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ، بيروت وبغداد ، 1980 م .
- حسن ظاها ، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب دار القلم ، دمشق ودار الشامية ، بيروت ، ، الطبعة الثانية 1990 م .
- سامي عوض ، ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد (32) ، العدد (2) 2010 م.
- سبتيانو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، دار الشروق ، بيروت ، 1986 م .
- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1960 م .

- عادل محاد مسعود مريخ ، العربية القديمة دراسة مقارنة بين الفاظ المعجم السبئي والفاظ لهجات عربية قديمة (الجبالية والمهرية) ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، 2000م. ، ص. 73 ، 89 .
- عبد الكريم بوفرة ، مفهوم الجذر الصرفي بين اللغتين العربية والعبرية : دراسة مقارنة ، في مجلة أسيماك ، العدد الثالث عشر ، 2018 ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، الرباط ، 2018م .
- عبد عون الروطان ، موسوعة تاريخ العرب تاريخ / ممالك دول / حضارة ، الجزء الأول ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 2007م .
- عثمان سعدي ، البربر الأمازيغ عرب عاربة (وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ) ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، ليماسول وبيروت ، 1998 م .
- علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، نهضة مصر- للطباعة والنشر- والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 2004م .
- علي فهمي خشيم ، سفر العرب الامازيغ ، دار نون ، طرابلس ، 1995 م .
- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض ، 1977م .
- لسان العرب لابن منظور ، الجذر جبر : جبار ، دار صادر ، بيروت ، 1997م .
- محمد المختار العرباوي ، البربر عرب قدامى ، المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط ، 1993م .
- محمد المدلاوي ، مبادي المقارنة الحامية- السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية ، مجلة كلية الآداب ، وجدة ، جزء 1 ، 1990 .
- محمد خليفة حسن أحمد ، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م .
- محمد ششفيق ، أربعة وأربعون درساً في الأمازيغية نحو وصرف واشتقاق ،

- مطبعة طوب برس ، الرباط ، 1990م .
- محمد شفيق ، اللغة الأمازيغية بنيتهما اللسانية ، منشورات الفنك ومؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود ، الدار البيضاء ، 2000م .
- محمد علي عيسى ، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية ، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2012م .
- محمد علي عيسى ، العلاقات الثقافية وصلات النسب بين الأمازيغ والعرب من خلال الأدلة اللغوية ، دار الرواد ، طرابلس ، 2021م .
- هـ. فور ، الاطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا ، (تاريخ إفريقيا العام) ، جين / إفريك / اليونيسكو ، 1983م .

- Bousquet G. H. , Les Berberes ,Presses Uneveritaires de Paris ,Paris ,1974 .

اللغات في جنوب غرب ليبيا - غات نموذجاً

الدكتور. الطاهر محمد المدني (*)

ملخص البحث:

يتناول البحث مسألة تعدد اللغات في مدن غات القديمة وما جاورها؛ إذ تشتهر باستخدام لغات ثلاث وهي العربية والتارقية والهاوسا، وذلك في مطلبين الأول: من خلال الأثر المادي المتمثل في أسماء الشوارع ومداخل البلدات، وأزقتها، وميادينها، ومرافقها، بأي لغة هي، فبعضها باللغة العربية، وأخرى بالتارقية، وبعضها بالهاوسا، وبعضها يخلط لغتين، وكل ذلك ملحوظ في البلدات الثلاث؛ أغرم بغات وبلدة تونين بغات، وأغرم بالبركت، وأمّا ما جاء بلغتين فبحكم الاحتكاك والتنافس والاقتراض بين اللغات المتعايشة في غات، ويظهر ذلك من خلال التحليل، كما يظهر التغالب بينها، والمعطيات التي كانت سبباً في الغلبة والانتصار -أن صح التعبير- وفي المطلب الثاني من البحث حيث اللغة المحكية التي كثر فيها المزج بين العربية والتارقية بالنسبة لمن يتكلم التارقية، وخلط العربية بالهاوسا لمن ينطق بالهاوسا، حيث الغلبة فيها للعربية لما لها من نفوذ ديني مقدس، وهيمنة سياسية واقتصادية وخدمية وثقافية، ويبقى للغة التارقية الجانب الديمغرافي البشري والجغرافي المكاني، ولما لها من مصادر ثقافية وإن كانت على استحياء إلا أنها موجودة في الواقع، وتتقهر لغة الهاوسا في ميدان الصراع اللغوي في غات لعدم ملكيتها لوسائل الصراع الثقافي ككتب ومخطوطات وعدم استخدام اللغة كتابياً، كما فقدت العنصر الذي كان سبباً رئيساً في وجودها وهو تجارة القوافل.

Abstract:

The research dealt with the issue of multilingualism in the old cities of Ghat and its surroundings; Ghat is famous for the use of

(*) أستاذ مساعد في اللغويات بقسم اللغة العربية وعلوم القرآن.

three languages, namely Arabic, Tuareg and Hausa, through the material impact represented in the names of streets, entrances to towns, alleys, fields and facilities, in what language are they? Some of them are in Arabic, others are in Tuareg, and some are in Hausa, and some mix two languages, and all of this is noticeable in the three towns: Agrum and Tunin in Ghat, and Agrum in Albarkat. As for what came in two languages, it is by virtue of friction, competition and borrowing between the coexisting languages in Ghat, and this appeared through the analysis. It also appeared the prevailing, the dominant language, and the reasons that are the reason for domination and victory (so to speak). In the second requirement of the research, where the spoken language in which there is a lot of mixing between Arabic and Tuareg for those who speak Tuareg, and mixing Arabic with Hausa for those who speak Hausa; Arabic language prevails because of its sacred religious influence and political, economic, service and cultural dominance. The Tuareg language has a human demographic and geospatial aspect and that because of its cultural sources. Although this language is limited in use, it exists without a doubt. The Hausa language retreats in the field of linguistic conflict in Ghat due to its lack of ownership of the means of cultural conflict such as books and manuscripts and the lack of written language use. It has also lost the element that was a major reason for its existence, which is the caravan trade.

رموز الأصوات العربية الصامتة والصائتة وما يقبلها من الأبجدية الصوتية

الدولية:

ياء المد ii أو i	Đ	ض	ɟ	ء
	Ŧ	ط	B	ب
ولو او المد uu أو û	Ž	ظ	T	ت
	C	ع	t	ث
للألف aa أو ā	Ŧ	غ	G	ج
	F	ف	ħ	ح
همزة الوصل ʔ	Q	ق	Kh	خ
	K	ك	D	د
الغنة ن	L	ل	t	ذ
يصير	M	م	R	ر
الإمالة ɛ	N	ن	Z	ز
الفتحة a	H	ه	S	س
الكسرة Ii	W	و	Š	ش
الضمة u	Y	ي	Š	ص

أهمية البحث:

اللغات في غات تأتي بأهمية تاريخ غات العريق الموغل في القدم، فهو يقدم الحضارة في غات التي كانت ملتقى تجارة العبور بين طرقي إفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، والموقع الجغرافي لغات في وسط الصحراء جعل منها مركزاً وعاصمةً للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب؛ الأمر الذي جعل من غات حاضنةً للغات ثلاث، تتعايش فيها منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، وهذه اللغات هي التارقية والهاوسا والعربية ، حيث تأتي القوافل القادمة من آير وبلاد الهاوسا في أقدر وزندر وكنو بخليطها اللغوي التارقي والهاوسا، كما تأتي القوافل القادمة من بلاد تارات وتوات وتامراست، تلتقي جمعها في غات بالقوافل القادمة من الشمال الليبي العربية المصدر،

حيث تنجذر العربية في غات من خلال الدين الإسلامي المتمكن عبر تاريخ بعيد، وفي غات تجتمع هذه اللغات تتفاعل فتتعايش حيناً، وتتغالب في أحيانٍ أخرى بحكم القوانين اللغوية بحسب علم اللغة المقارن الذي يعتبر التجارة عنصراً هاماً لتلاقي اللغات وتفاعلها .

مشكلة البحث :

مشكلة البحث تتمثل في تعدد اللغات في غات وتصارعها في فرض هيمنتها على سكان غات؛ العربية بتاريخها الديني العريق والمستمر دون انقطاع، والتارقية التي تهيمن على الإقليم جغرافياً عبر العصور، والهاوس الأقل حظاً بحسب المعطيات، ولكنها تفرض وجودها التاريخي على الأقل، وكل هذه اللغات يتحدث بها أهل غات، واليوم مع التطورات التاريخية فرضت العربية نفسها على لغة التعامل في غات وبدأت اللغات الأخرى في الاندثار والتراجع لأسباب كثيرة منها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وكلها تنصب لصالح اللغة العربية.

الدراسات السابقة:

في الحقيقة لم تقع بين يدي دراسة سابقة اهتمت بدراسة اللغات في جنوب غرب ليبيا، أو عن اللغات في غات تحديداً، ولا يخلو الأمر من وجود دراسات عن تفاعل اللغات حين تلتقي في إطار علم اللغة المقارن، ودراسات أخرى في إطار علم اللغة الاجتماعي، لا سيما في دراسة اللغة الهجين، والاختلاط اللغوي، وهي كثيرة، وهذه الدراسة التي بين أيدينا تهتم بالواقع اللغوي الفريد الذي تتصف به منطقة غات؛ إذ من النادر أن تُتداول ثلاث لغات في مكان واحد، بشكل حضاري دون أن يكون السبب هو التجاور أو الحروب، ولكن السبب في حالة غات هو التبادل التجاري.

خطة البحث:

تقديم : لما كان من الصعوبة بمكان وضع دراسة للحالة اللغوية في غات، وهي

متداخلة مع تراجع بعضها في الاستعمال، وإن كان ذلك ببطء، في حالي الهاوسا والتارقية، وصعود العربية لحاجة الاستعمال اليومي إليها، ونظراً لوجود مستعملين للغتين الهاوسا والتارقية في مجتمع غات المدينة باعتبارهم مجتمع لغوي، يستعمل بالإضافة إلى لغته الأم يستعمل العربية معها في آن واحد، هذا الأمر فرض على البحث البحث عن مصادر للبحث خارج اللغة المحكية، في شواهد استعمال هذه اللغات مجتمعة أو فرادى ومن ثم توصل البحث إلى أن يعتمد المدن القديمة في غات، وما جاورها وسائل وشواهد على تفاعل اللغات فيها، وذلك بدراسة اللغة من خلال أسماء مداخل المدن وأسماء شوارعها وميادينها ومرافقها، فهي تعكس اللغة المستعملة في تلك المدينة، حيث تتكون غات القديمة من بلدين هي أغرم وتونين، يضاف إليها بلدة أغرم بالبركت، وهذه الدراسة تتخذ المنهج الوصفي لتحقيق أهدافها مستعينة بالأبجدية الصوتية الدولية لكتابة الكلمات التي جاءت باللغة التارقية أو الهاوسا؛ لمحاكاة نطقها ستكون الدراسة في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول:

المدن القديمة أغرم بغات، وبلدة تونين بغات، وبلدة أغرم بالبركت؛ تتم دراستها من حيث أسماء أبوابها وأسماء شوارعها وأسماء ميادينها، ومساجدها ومحيطها بأي من اللغات المتداولة هي كما يتم تحليل المركب منها الذي تتداخل في تكوينه أكثر من لغة:

أغرم غات: وهي كلمة بالتارقية وتعني البلد، وهي مدينة قديمة مسورة لها خمسة مداخل لكل مدخل منها اسم، وتعرف بأبواب أغرم بغات وهي على النحو التالي:

باب تافاغات: (Tafagāgat) وهي كلمة بالتارقية وتعني: الشقوق، ثم باب كاسوا (Kasuwa) والكلمة بلغة الهاوسا، وتعني: السوق، وهو باب يشرف على أحد الأسواق الدائمة، وباب أَرْوَيْتْ: (çazzawyt) وهي كلمة عربية نسبةً لوجود الباب

قرب الزاوية السنوسية، ألحقت بها تاء ساكنة وهي لاصقة بالتارقية للتأنيث⁽¹⁾، وهذا الصنيع من قبيل ما يُعرف بالمعرب في العربية، وهو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها بحيث يصبح عربياً؛ إذ يدخل في اللغة العربية، ويُشتق منه ويدخل في الميزان الصرفي والصيغ العربية⁽²⁾

ومنها باب الخير وهذا التركيب اللغوي عربي صرف، ثم باب كالالا: (Kālālā) وهو اسم بلغة الهاوسا بحسب تفسير الأهالي ويعني: الضجيج نسبة إلى التضجيج الذي يحدث عند وصول القوافل التجارية أو عند رحيلها.

أولاً- ميادين أغرم:

ميدان ايشلي: (ešali)، وهي كلمة بالتارقية، وتعني: الصخر لكون المكان ساحةً صخريةً تُقام فيه الاحتفالات، وتتجمع فيه الناس في المناسبات الاجتماعية المختلفة.

ميدان تغرفت: (Tagurfayt)، والكلمة مزيج من الكلمة العربية (غرفة) مسبوقة بالتاء الدالة على التأنيث في اللغة التارقية، ومتصلة بلاحة وهي التاء الساكنة الدالة على التأنيث⁽³⁾، والميدان عبارة عن مرتفع على مدرجين يُصعد إليه عبر دروج، والمدرج الثاني عبارة عن ساحة دائرية تسمى فرجة أو تفريج، والأمر واضح بأن الكلمة عربية، ومن خلالها يتم الاضطلاع على ما يجري في ساحة اشلي سالف الذكر.

ميدان تَفُكَّ نَ براج: (Tafuk na barāg) وهو باللغة التارقية وتعني شمس الضحى يتكون لغوياً من (تَفُكَّ) وهي الشمس و(نَ) رابط لغوي للمكية و(ابراج) تعني

(1) تاء التأنيث الساكنة تشابهت فيها العربية والتارقية لانتفاء اللغتين لفصيحة اللغات الأفرو آسيوية فالعربية آسيوية سامية والتارقية تنتمي لفصيلة اللغات الحامية البربرية، انظر علم اللسانيات الحديثة د. عبد القادر عبد الجليل ص 148 وبعدها، وانظر سفر العرب الأمازيغية، د. علي فهمي خشيم، كتاب الأجرومية ص 34، 43.

(2) عوامل التطور اللغوي أ.د. أحمد عبد الرحمن حماد ص 85.

(3) انظر سفر العرب الأمازيغية، د. علي فهمي خشيم، ص 39.

ضحى وهو ميدان تتجمع فيه النساء ضحى في فصل الشتاء لدق نوى التمر لتغذية حيواناتهن.

ميدان باب الخير ويسمى (تاوخن باب الخير) أي ساحة باب الخير والجملة خليط بين اللغتين العربية والتارقية تبدأ بسابقة باللغة التارقية وتنتهي بالعربية
شوارع أغرم:

شارع أغرم وشرن: ((çarumwaššaran والتركيب اللغوي بلغة التوارق ويعني البلد القديم

شارع تيسجيفين: (Tîsagîfan) وأصل الكلمة عربية هي (سقيفة) تم إخضاعها للقوانين اللغوية التارقية فنطقت (سجيفة) وجمعت بحسب طرق الجمع بالتارقية تيسجيفين⁽¹⁾ وهو عبارة عن أزقة مسقوفة فهل هذا من مظاهر الصراع اللغوي .

شارع تيكديوين: (Tîkadewen) والكلمة باللغة التارقية وتعني الحجارة مفردها ايكدي حجر.

شارع انجواندفو: (Ounguwan dufû) والكلمة بلغة الهاوسا وهي تعني شارع الظلام نسبةً إلى كونه زقاقًا ضيقًا مسقوفًا ومظلمًا يتكون من لفظتين (انجوا Ounguw) وتعني الناجية أو الجهة و(دفو dufû) وتعني: الظلام .

ومن شوارع أغرم ايبنغ، ومنها تملغت وهي مدخل يجلس في الناس للراحة وأغلبهم من كبار السن ، ومنها ايمزي وكلها بالتارقية .

مركز المدينة القديمة، وهو المسجد العتيق، ويطلق عليه بالتارقية لفظ تامزديجا: (Tamzdîga) والكلمة كما هو واضح أصلها عربي (مسجد) أخضعت لقوانين اللغة التارقية، ويطلق عليه بالهاوسا مسلاتشي: (Masallachi) وهي كلمة عربية الأصل (مصلّى) أخضعت للقوانين اللغوية بلغة الهاوسا، ويوجد داخل أغرم مقر

(1) المرجع السابق ص 43.

يعرف بالفندق، والكلمة ليست عربية فهي تعني: مخزن لتخزين البقوليات والحبوب وهو مكان يستقبل فيه التجار ويخزنون بضائعهم فيه.

محيط المدينة القديمة أغرم بغات كل مسمياتها بالتارقية وهي كوكمن: اسم جبل، تامدنت: وهي المقبرة، مكّت ان براضن، إيللونن، تانت ان تفغاغت تانت ان الحسن، أبريك، تيط، ترفت، تادرمت، تاسميت ..

ثانياً- بلدة تونين (Tuunen):

وهي بلدة وبالقرب من أغرم وهي بلدة مسورة لها خمسة أبواب أسماؤها على النحو التالي:

باكن برني: (bākin brni) وهي بلغة الهاوسا وتعني باب البلدة نسبة إلى اضطلاعه على أغرم وهو المقصود بـ (برني) والترجمة الحرفية لكلمة (باكي) هي (فم)، ثم باكن قاما: (bākin qāma) وهي كلمة خليط صدرها (باكي) بلغة الهاوسا وعجزها (قامة) وهي كلمة عربية بينهما (ن) رابطة بالهوسة، ويقصد بهذا التركيب باب قام لكونه يقابل شارعًا بعرض قامة الانسان، والقامة: وحدة قياس معتمدة لدى السكان تستخدم في قياس الأطوال لاسيما في موضوع الأراضي الزراعية والعقارات، وهذا من باب تأثر اللغة بلغات أخرى و"إنّ أي احتكاك يحدث بين لغتين ... يؤدي لا محال إلى تأثير كل منهما بأخرى... ويختلف ما تأخذه لغة عن الأخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعبين ما يتاح لها من فرص الاحتكاك المادي والثقافي"⁽¹⁾ وأن معظم المفردات المستعارة أو المقتبسة بين اللغتين تتصل بأمور يختص بها أهل تلك اللغة .

ومنها باكن أشرفي: (bākin ʕaʃrffy) ويعني باب الأشراف، والتركيب واضح من صدر بالهاوسا وعجز بالعربية، وباكن آنون تلق: (bākin ʕānun)، والكلمة خليط بين صدر بالهاوسا وعجز عبارة عن تركيب باللغة التارقية: (آنون تلق) وتعني (حفرة الطين)، وهي منجم يستخرج منه الطين لأعمال البناء .

(1) اللغة الفصحى والعامية د. محمد عبدالله عطوات، ص 33.

شوارع بلدة تونين:

شارع ن أشرفي شارع: الأشراف، وشارع ن انصري: شارع الأنصار، والتركيب باللغة العربية أخضع للقوانين اللغوية بالهاوسا شارع و(ن) رابط وأشرفي تطويع كلمة أشراف للغة الهاوسا، وهكذا بالنسبة للتركيب الثاني.

مركز تونين هو المسجد ويطلق عليه مسلاتشي بلغة الهاوسا وسبق شرحه عند الحديث عن أغرم.

و أمام هذا المسجد الجامع توجد بئر يطلقون عليها ريجيا: (Rigiya) بلغة الهاوسا، يشرب منها أهل البلدة، كما توجد ساحة تعرف باشلي وهي نظيرة للساحة في بلدة أغرم وإن لم تكن صخرية. ويوجد في البلدة ما يطلق عليه الفندق | (çalfnk) يستقبل فيه التجار القادمين من خارج المنطقة تُخزن فيه بضائعهم.

محيط بلدة تونين:

يحيط ببلدة تونين المزارع من أغلب الجهات يورد البحث بعضاً منها لغرض الاستشهاد منها قونا ببا: (Gona babba) وهي بلغة الهاوسا وتعني المزرعة الكبيرة، وقونن يما: (Gonan yamma) تعني المزرعة الغربية، وقونن لليلو، ومزرعة لليلو، وقونن أشرفي وتعني مزرعة الأشراف، وقونن قشري وتعني مزرعة الملح، ويريري ببا والجملة بالهاوسا، وتعني الرملية الكبيرة وهي عبارة عن كثيب رمل ضخمة يقع في الجهة الغربية من بلدة تونين.

ثالثاً-المدينة القديمة بالبركت:

ويطلق عليها (أغرم نلبركت)، وهي مدينة قديمة محاطة بالسور تبعد عن أغرم بغات وتونين مسافة سبعة كيلومترات، ولها ثلاثة مداخل على النحو التالي:

ايمن ناغرم: (çemin naǧrm) والجملة باللغة التارقية وتعني باب البلدة وأصل كلمة ايمن تعني (الفم) باللغة التارقية، وايمن تانت ان طوره: (emin çtanutinTûra)، ويعني باب بئر طوره وهي بئر يشرب منها أهل البلدة، وايمن

نلبشير ويسمى أيضا ايمن نلمركز والاسمان خليط بين التارقية والعربية صدر الكلمة بالتارقية وتعني الفم أو الباب وعجزها بالعربية في الأولى هي بشير وفي الثانية مركز حيث يوجد مركز بل نقطة الشرطة لصيقة بالباب.

شوارع أغرم بالبركت:

أغلاد نغرم وشرن، الجملة باللغة التارقية، وتعني شارع البلدة القديمة، وأغلاد نسضيف، وأغلادن داده وانجوا وكل تسميات الشوارع باللغة التارقية إلا (انجوا) فتعني الشارع أو الناحية بلغة الهاوسا وقد وردت عند الحديث في هذا البحث عن شوارع بلدة أغرم بغات.

ميادين أغرم البركت:

ميدان ايشلي، وهو الميدان الرئيس في بلدة أغرم بالبركت، ملاصق للجامع الكبير الذي يطلقون عليه تامزديجا وقد سبق ذكر هاتين الكلمتين (ايشلي وتامزديجا) عند الحديث عن أغرم بغات ولهما المعنى نفسه يتفرع من هذا الميدان شارع مسقوف يسمى (تيسجيفين)، لقد سبق ذكر مثله في الحديث عن أغرم بغات ، وفي الجزء الغربي من هذا الميدان توجد (المحضرت) ⁽¹⁾ وهي كلمة عربية خضعت للقواعد اللغوية التارقية وتعني المحضرة أو الكتاب حيث يتم تحفيظ القرآن الكريم .
القصر: كلمة عربية أطلقت على منزل الحاكم المعروف محلياً بلقب (آمغار) وهو بيت موجود في البلدة حتى الآن.

المسجد العتيق ويطلق عليه (تامزديجا) باللغة التارقية من أقدم المساجد بالمنطقة تُقام فيه الصلوات منذ القدم إلى يومنا هذا، وبه محضرة لتحفيظ القرآن الكريم.
البروج: وهي ثلاثة أبراج لصيقة بأسوار البلدة ؛ برجان من الأمام، وواحد من الخلف؛ كانت للمراقبة والحراسة .

(1) وهذا مظهر من مظاهر الاحتكاك اللغوي الذي هو ضرورة حتمية التي تؤدي إلى تداخل اللغات انظر فندرس اللغة ص349.

المطلب الثاني:

شواهد اللغات في غات من خلال الاستعمال

اللغة المستعملة في مؤسسات الدولة من مشافي ومدارس ومعسكرات ومراكز الشرطة وشركات ومصارف هي العربية في الغالب إلا إذا كان المتحدثان ممن ينتميان اجتماعياً إلى لغة مشتركة بينهما، في هذه الحال يتحدث الطرفان لغةً خليطاً بين العربية، ولغتهما التارقية أو الهاوسا، والمقصود باللغة الخليط، أنّ هذا النوع من الخلط بين اللغات يتم عادة بين شخصين ثنائيي اللغة، دون حدوث تغييرات سياقية⁽¹⁾ بمعنى أن يتحدث أحدهما بجملة يبدأها بالعربية ويكملها بالتارقية أو الهاوسا دون أن يؤثر على المعنى لدى الطرفين المرسل والمستقبل، ومن مظاهر الخلط والمزج بين هذه اللغات؛ الاقتراض حيث تقتض كل من اللغة التارقية والهاوسا من العربية (اللغة الغالبة) ألفاظاً هي في حاجة إليها، والاقتراض ظاهرة لغوية ليست حادثة بل هي أمر طبيعي في اللغات فالعربية مثلاً اتصلت عبر تاريخها بلغات أخرى واحتكت بها لأسباب منها الاقتصادية ومنها السياسية ومنها الاجتماعية بفعل التجاور ومنها العسكرية بفعل الحروب⁽²⁾ فقد اقترضت العربية من الفارسية واليونانية والهندية وغيرها، ومن مظاهر ذلك أن يقول أحدهم بالتارقية مثلاً (انضاهيل يكنأ ماص دغ المحول وان غور المحطا) ويعني البارحة حصل ماص⁽³⁾ في المحول القريب من الحطة، وهنا تبدو استعارة الكلمات من العربية وهي (ماص، المحول، المحطة) ووضعتها في التركيبية التارقية دون المساس بها أي دون إخضاعه للقوانين اللغوية التارقية يقول فاندروس Vandross " من خصائص هذه المستعارات أنها لا يحتم كون المتكلم يتكلم اللغة التي استعيرت منها... فالرياضيون الذين تمتلئ لغتهم بالكلمات الإنجليزية لا يعرفون الإنجليزية... وهذا النسيج ينتج عادة من اختلاط صورتين كلاميتين تنتمي

(1) انظر Hudson Sociolinguisticsp53

(2) انظر المولد في العربية ، د.حلي خليل ، ص 115.

(3) هذه الكلمة هكذا تنطق بالعامية وهي تماس أو التماس اللغة الفصية.

كل واحدة منهما إلى لغة مختلفة⁽¹⁾ وفي لغة الهاوس لا يختلف الأمر حيث يقول: (جي دد درى ياي ماص أ محول ن كُسن محطا) الكلمات المستعارة هي نفسها ولا يختلف الأمر عما يُعرف عند اللغويين العرب بالدخيل فهو "الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى وحافظت على شكلها ولم تخضع للميزان الصرفي العربي ولم يشتق منها"⁽²⁾ وتظهر التأثيرات جلية في المفردات المقتبسة فهي المجال الذي تنشط فيه حركة التبادل بين اللغات أكثر من ظهورها في الأساليب والمستوى الصوتي التي لا تنتقل بين اللغات إلا ببطء⁽³⁾ ومن مظاهر ذلك خذ السلام مثلاً فبمجرد أن تنهي الجملة الأولى السلام عليكم والرد عليها تبدأ الاستعارة أو ما يعرف في العربية بالدخيل في التوارد فيرد أحد الأطراف في حال كان تارقياً: (ما توليد) يرد الآخر (لا باس) أو الحمد لله أو (تهانينت)، (الخير غاس) وواضحة الكلمات العربية المستعارة: لا بأس، والحمد لله، وفي هناء وفي خير، ويكثر الخلط بين اللعتين لدرجات لا تكاد تُحصر، وفي حال الهوسا، تعد التحية من أكبر الأدلة على اقتراض الهاوسا من العربية فالتحية الصباحية هي: بركا د الصباحي وأوضح أنها اللفاظ وتركيب عربي ليس بحاجة إلى ترجمة ، ومنها (إنا لبارن جدا) inā lābārin gidā ويقصد بجدا: الجدار أي البيت أو الدار، والعبارة هي: اين أخبار الجدار أي أهل الجدار أو أهل الدار.

وفي حال الصراع اللغوي في غات بين اللغات المتصارعة فيها، وهي اللغة العربية والتارقية والهاوسا، بسحب ما أكدته الشواهد التي اعتمد عليها البحث، وتعتبر الهاوسا الطرف الأضعف في معادلة الصراع اللغوي في غات حيث تتجه نحو الانحسار والضمور أمام العربية ذات النفوذ القوي دينياً، - ويؤكد فندرس أن الدين يقوم بدور هام في حال الاحتكاك بين اللغات⁽⁴⁾ - وسياسياً، وهو أحد عناصر القوة في

(1) اللغة ، فاندرس، ص 359، 358.

(2) عوامل التطور اللغوي د. أحمد عبدالرحمن حماد ص 85.

(3) انظر اللغة الفصحى والعامية، محمد عبدالله عطوات ص 33.

(4) فاندرس ، اللغة ص 350.

الصراع، واقتصادياً وثقافياً وهي اللغة المنتجة؛ أي التي تُقضى بها الحوائج في كل مجالات الحياة، ولها الرصيد الثقافي في تدوين كافة المعاملات بين الناس، وفي مخطوطات القرآن الكريم، ومدونات كتب الفقه المخطوطة، المكتنزة في مكتبات المساجد الجامعة، في كل من المسجد العتيق بأغرم بغات، ومكتبة جامع تادرمت بغات، ومكتبة جامع تونين⁽¹⁾ ومكتبة الزاوية السنوسية⁽²⁾ بأغرم بغات وجمعية تونين للتراث بتونين، وفي كل من المسجد العتيق والمسجد الكبير بمكتبات أغرم بالبركت، وما جمع في جمعية المدينة القديمة بأغرم بالبركت، هذه المكتبات التي تتوفر على كتب ومخطوطات، ووثائق كتبت باللغة العربية عبر التاريخ، يضاف إليها المكتبات الخاصة عند بعض الأفراد مما ورثوه عن أهلهم.

أمّا اللغة التارقية فمصادرها موعلة في القدم بحسب التصنيف المعرفي حيث "... يعتمد على المخطوطات والنقوش المحفوظة على ألواح الطين أو ورق البردي أو الحجارة وهو بهذا على صلة وثيقة بعلم الآثار"⁽³⁾ وهنا بالنسبة للتارقية الحجارة والجبال هي المكتبة المركزية للغة التوارق، فلا يكاد جبل مما يحيط بغات يخلو من الكتابة عليه بالتيفيناغ، وهي حروف أبجدية التوارق، ففي جنوب غات يقع جبل يعرف بإن تيفيناغ (çin tifiinãg) أي جبل تيفيناغ، وامتداده شرقاً جبل ألوس، وفي واحة فيوت بالقرب من الآثار الجرمانية توجد كتابات على الجبال بالتيفيناغ يعرف بتيكاذهين (TekkaDen)، كما توجد مثل هذه الكتابات في الجبال غرب أغرم بالبركت، وفي تاغغا بالبركت (Tāgaga) توجد كتابات بالتيفيناغ، وفي جبال أكاكوس كتابات بالتيفيناغ، ومجمل القول الكتابة بالتيفيناغ التي هي من عصور قديمة أكثر من

(1) د. عماد الدين غانم (غات - القرن التاسع عشر دراسة في إحدى المصادر التاريخية - مجلة تراث الشعب، العدد السادس، إبريل 1982م، ص 125، 149.

(2) انظر يحيى عبد الرؤف جبر، المجلة الثقافية - الجامعة الأردنية - العدد الثاني، كانون الأول 1983م، (التعريف بالمخطوطات الموجودة في مكتبة الزاوية الإسلامية في غات) ص 173، 176.

(3) د. عبدالقادر عبدالجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 130.

أن يستشهد لها في هذه المنطقة وخارجها، ولكن في العصور التالية وفي عصر الكتابة على الورق تحديداً هيمنت العربية والكتابة بها على الواقع، وهذا لا يمنع وجود مراسلات إخوانية بين الناس وهي ترجع لفترة بعيدة نسبياً، وقد حاول البحث الحصول على مراسلات أو وثائق فلم يحصل إلا على مراسلات حديثة كتب بعضها بالتفيناغ وأخرى كتبت بالحروف العربية⁽¹⁾.

وأما الهوسا فلم يقف البحث على أثر مباشر لها، ويعني ما تركه السلف من نقوش أو كتابات على الجدران أو الجبال أو غير ذلك، مما قد يؤرخ لها، وفي العصر الحديث أيضاً لم يقف البحث على أثر للكتابة أو تدوين لأي نص بالهاوسا، فمن غير ما ذكره البحث في الحديث عن بلدي أغرم وتونين بغات؛ الهاوسا لغة تخاطب فقط، فقد توجه الباحث بالأسئلة التالية إلى بعض الأعيان والمهتمين بالمدن القديمة في كل من أغرم بغات وتونين:

هل توجد لديكم نصوص بلغة الهوسا في الفقه أو تفسير القرآن الكريم أو في الحديث الشريف؟

هل كتبت عقود بيع أو شراء أو عقود قران أو رسائل إخوانية بلغة لهاوسا؟
إن وجدت مثل تلك العقود هل كُتبت بالحروف العربية أم بالحروف اللاتينية؟
يشترط أن تكون قد أنجزت من أهل غات ممن يتكلمون بالهاوسا، والإجابة لا يوجد لجميع الأسئلة

وتبقى المنافسة والصراع اللغوي بين العربية والتارقية العربية بقواها السياسية والاقتصادية والخدمية والتارقية بقواها الديموغرافية البشرية والجغرافية المكانية، فالمكان المحيط في كافة منطقة غات مسمياته بالتارقية من دون منازع أوديةً وجبالاً تباباً ونباتاً مهما امتد بك الطريق وأينما توجهت.

(1) مرفق صور من المراسلة.

نتائج البحث والتوصيات :

- تعايشت اللغات الثلاث العربية والتارقية والهاوسا في بيئة غات بمدنها أو بلداتها الثلاث أغرم بغات وتونين بغات وأغرم بالبركت بدرجات متفاوتة، تبين ذلك من خلال أسماء مداخلها أو أبوابها ، وأسماء شوارعها وميادينها ومرافقها.

- من الطبيعي في مثل هذه الحال؛ حيث وجود ثلاث لغات في بيئة واحدة، أن ينشأ ما يُعرف بالصراع اللغوي؛ نتيجة للاحتكاك وتحدث الاستعارة والاقتراض والتبادل اللغوي على مستويات لغوية عدة، كما تحدث الهيمنة اللغوية لواحدة منها في الغالب، وفي حالة غات هيمنة العربية على غيرها لما لها من نفوذ ديني وثقافي وخدي وسياسي. وكان للغة التارقية نصيبها من الحضور والمواجهة فكان لها الهيمنة الديمغرافية السكانية البشرية كما لها الهيمنة الجغرافية إذ كل المحيط الجغرافي لمنطقة غات وما جاورها على أي مدى مسمياته باللغة التارقية .

- والهاوسا هي الطرف الأضعف في معادلة الصراع اللغوي في غات فهي تفتقد إلى وسائل القوة التي فقدت أهمها بانتهاء عصر تجارة العبور التي كانت سبباً في وجودها، كما ليس لها من العناصر الثقافية المعينة كالوثائق والكتب والمخطوطات .

التوصيات:

يوصي البحث بما يلي:

- العمل على دراسة اللغة المحكية على المستويين: اللغة الهجين، واللغة المختلطة، لإبراز نتائج الاحتكاك اللغوي في هذه المنطقة الغنية به .

- دراسة المستعار من العربية إلى التارقية أو الهاوسا لتأثر اللغتين بالعربية على المستوى المفرداتي خاصة .

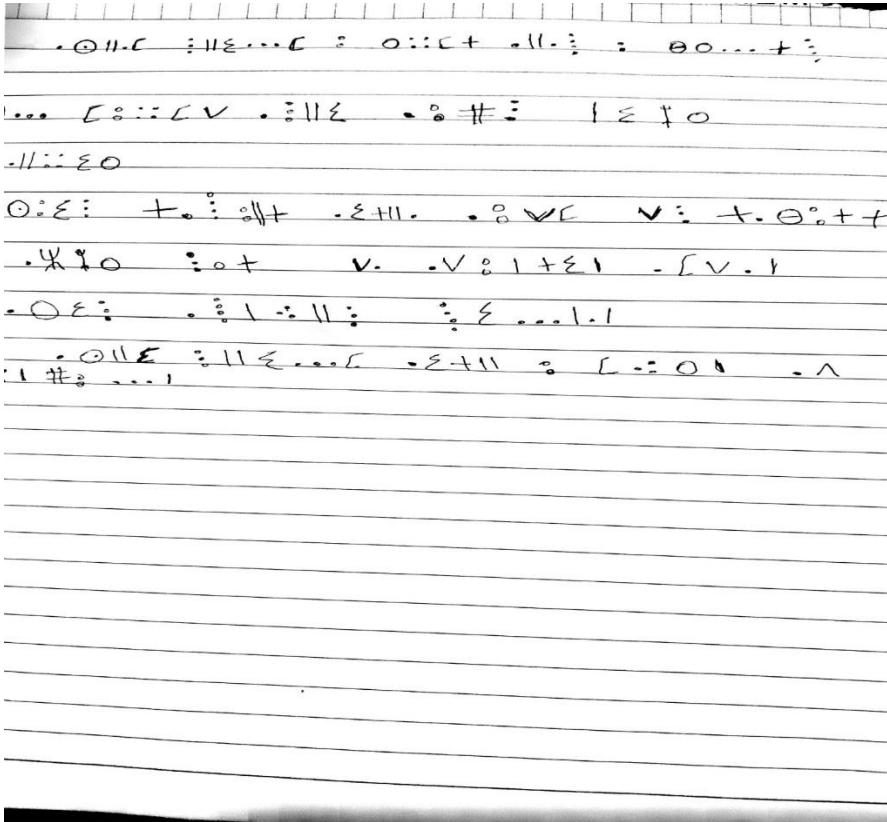
- العمل على دراسة نحو التارقية لأهميتها وسعة استعمالها جغرافياً .

المصادر والمراجع

- 1- د. عبد الجليل عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1 2002م.
- 2- د. خشيم، علي فهمي ، سفر العرب الأمازيغية، كتاب الأجرومية، كتاب الحجر، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط 2، 2004م.
- 3- د. حماد أحمد عبد الرحمن، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، دار الأندلس للطباعة والنشر.
- 4- د. عطوات، محمد عبدالله، اللغة الفصحى والعمية، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط 1 2003م
- 5- ج. فندرس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، د ط 1950م.
- 6- Hudson Sociolinguistics Cambirge second edition 1996
- 7- د. حلمي، خليل، المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ط 2، 1985م.
- 8- غانم. عماد الدين، (غات. القرن التاسع عشر، دراسة في أحد المصادر التاريخية النادرة) مجلة تراث الشعب، طرابلس، العدد السادس ابريل 1982م.
- 9- يحيى عبد الرؤف جبر، (التعريف بالمخطوطات الموجودة في مكتبة الزاوية الإسلامية في غات المجلة الثقافية – الجامعة الأردنية- العدد الثاني، كانون الأول 1983م.
- 10- ليلى صديق احتكاك اللغات وأثره في التطور اللغوي.

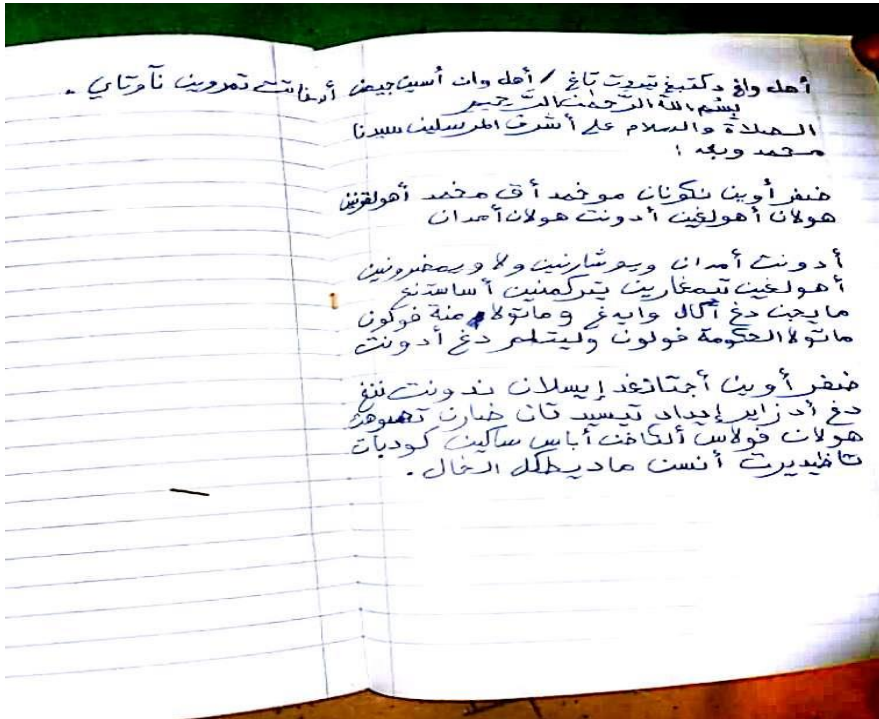
الملاحق:

عبارة عن مراسلات إخوانية بين الناس كتب بعضها بأبجدية التارقية تيفيناغ وبعضها كتب بالحرف العربي

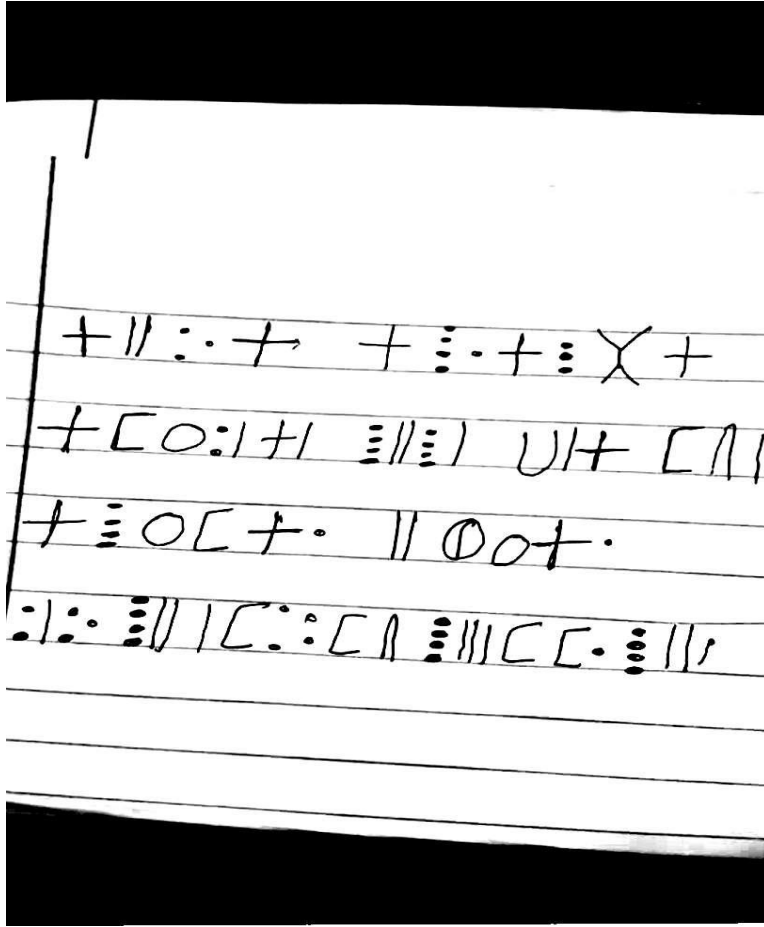


رسالة بين شخصين مكتوبة بالتيفيناغ وترجمتها بالعربية اليوم 25 رمضان ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أنا محمد أغالي وصلت النيجر بصحة جيدة ونبعث سلامي إلى جميع الناس في عاصمة أزجرات ، وإلى ناسي، وأنا أريد العودة في أقرب وقت ممكن والسلام عليكم جميعاً كباراً وصغاراً.

المصدر: أضهان عيسى من أعيان غات



هذا نموذج لرسالة بين شخصين كتب بالحرف العربية
مضمونه التحية والسلام على الأهل كبارا وصغاراً ذكوراً ونساءً، والسؤال عن
أخبارهم.
المصدر: أبو الخميس من أعيان إيسين



هذا نموذج لرسالة إخوانية بين أخوين بأبجدية التيفيناغ

المصدر: أ. إبراهيم بوشة

نموذج كتابة النص التارقي بالحرف العربي.

الترجمة

اولاغ نك اهل لغين موخمد هولان

اهولغين مامة ولان

تفرولت اهولغين احوت امدان

تلوكيت ها تاغزي قات تالقيت

الترجمة باللغة العربية:

هذا انا أسلم على محمد كثيرًا، وأسلم على مامة كثيرًا، وأسلم على الناس جميعًا

عشرات المرات

تلوكيت* في الوادي تأكل تالقيت* - تلوكيت يبدو أنه اسم للناقة و- تلقيت

نوع من الأعشاب

المصدر أ. ابراهيم بوشة من أعيان البركت

أما النص الأخير فهو قديم نسبيًا، ومصدره الشيخ حمدان أضهان من أعيان

تهاله، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى مشايخ غات المدينة الشيخ

على عثمان عصمان، والشيخ سليمان عون الله أحمد، والحاج باب قدور، لما قدموه من

عون مميز أثرى البحث فلهم الشكر، وإلى جمعية المدينة القديمة تونين بغات وجمعية

المدينة القديمة أغرم بالبركت لما لديهما من تعاون وفضل.

[illegible]

نثر عولان

[illegible]

اللغة التباوية في ليبيا

أ. حسن بدي محمد كدينو^(*)

تمهيد:

شهدت ليبيا عبر العصور تعاقب العديد من اللغات، منها ما اختفت خلال تلك العصور، ومنها ما بقيت إلى اليوم. اللغة التباوية هي إحدى هذه اللغات، فهي لغة الشعب التباوي الذي عاش ولا يزال في المنطقة الممتدة من جنوب ليبيا شمالاً حتى بحيرة تشاد جنوباً، فقد بقيت هذه اللغة حيّة إلى يومنا هذا، يتحدثها أبناء التبو وجيرانهم من مختلف الشعوب. رغم قدم اللغة التباوية إلا أنها لم تحظ بدراسات علمية كثيرة عنها، خاصة باللغة العربية؛ الأمر الذي أدى إلى جهل العامة بها. عليه، فقد اخترت تسليط الضوء على موضوع اللغة التباوية في ليبيا في هذه الدراسة.

لذلك، في هذه الدراسة الموجزة، نبحت موضوع اللغة التباوية في ليبيا في مطلبين، نخصص الأول للتعريف باللغة التباوية. أما الثاني فنخصصه لبيان تاريخها في ليبيا.

(*) باحث في اللغة والثقافة التباوية.

المطلب الأول

التعريف باللغة التباوية

قبل الحديث عن اللغة التباوية ينبغي الحديث ولو بإيجاز عن التبو، الشعب الذي يتحدث هذه اللغة في (فقرة أولى)، ثم عن اللغة التباوية وذلك من حيث التعريف بها (في فقرة ثانية).

أولاً- التبو:

سوف نتحدث في هذه الفقرة عن أصلهم (أ) وجغرافية انتشارهم (ب)، وذلك على النحو الآتي:

أ- أصل التبو:

التبو هم أحد شعوب الصحراء الكبرى القديمة التي تعيش في واحاتها وجبالها منذ قرون وقرون، ولقد عُرف هذا الشعب عبر تاريخه الطويل في هذه الصحراء بعدة أسماء، فقد أطلق عليهم الفراعنة اسم التحنو⁽¹⁾. ثم جاء المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوتس ووصف نفس الشعب وأطلق عليه اسم الجرمنت، محدداً موطنهم بنفس البقعة الجغرافية التي عاش فيها أسلافهم التحنو، إذ كتب يقول: «وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل ملح آخر وينايع وأشجار نخيل كثيرة مُحَمَّلة بالثمر، كما هي الحال في الأماكن الأخرى. ويعيش هنا قوم كثيرون العدد يُدعون (القرامانتس) الجرمنت»⁽²⁾. ثم استعمل سترابو⁽³⁾ وبليني⁽⁴⁾ الاسم ذاته في مؤلفاتهم، الأمر الذي يدل على بقاء اسم الجرمنت لفترة زمنية طويلة.

(1) انظر: سالم محمد عبدالله هويدي، الحضارة الجرمنية دراسة في عوامل النشوء والازدهار والانحيار، ط 1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010، ص 68.

(2) انظر: د. علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط 1، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2009، ص 55. انظر أيضاً، هيرودوتس، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001، ص 364.

(3) انظر: د. علي فهمي خشيم، المرجع السابق، 90.

(4) انظر: د. علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 104.

وفي القرون الوسطى كتب عنهم الرحالة ليون الأفريقي تحت اسم برداوة، وهو الاسم الذي يبدو إنهم يُعرفون به في تلك الفترة، وسمى بلادهم (واحات الكفرة) ببرداوة، وصحرائها بصحراء برداوة محدداً حدودها بذات حدود بلاد الجرمنت، إذ كتب يقول: «برداوة ناحية مسكونة توجد في قلب صحراء ليبيا على بعد نحو خمسمائة ميل من النيل، ثلاثة قصور وخمس أو ست قرى، فيها نخل كثير ينتج كمية وافرة من التمر الجيد»⁽¹⁾.

كل هذه الأسماء أطلقت على شعب واحد، وهو الشعب الذي يعيش في المنطقة الجغرافية التي يعيش فيها حالياً الشعب الذي أطلق عليه الكانوريون بُعيد تأسيس مملكة كانم اسم (التبو)⁽²⁾، وهو تحوير لاسمهم التباوي الذي يستعملونه فيما بينهم إلى يومنا هذا، وهو التُّودا «Tuda-ā»، فقد أخذ الكانوريون الاسم التباوي وكيفوه حسب قواعد لغتهم بأن حذفوا أداة النسبة التباوية (do) وأحلوا محلها أداة النسبة الكانورية (bu) فأصبحت «Tubu» بدل «Tudo»⁽³⁾.

كلمة التبو «Tubu» التي يُعرف بها التبو حالياً مكونة من مقطعين، هما: (Tu) بمعنى البادية، أو الدنيا، وهي أيضاً الاسم التباوي لإقليم تبستي، حاضرة التبو وحصنهم الحصين. أما المقطع الثاني فهو (bu) وبمعنى أهل أو صاحب. إذاً، كلمة التبو تعني البدو أو أهل البادية أو سُكان تبستي أو أصحاب تبستي، نحن نرجح أن يكون المعنى الصحيح هو أهل البادية؛ لأنه في تبستي نفسها يطلقون على سكان باديتها هذه التسمية، ولا يطلقونها على سُكان دواخل تبستي.

(1) انظر: ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 154-155.

(2) انظر: أحمد البرنوي، تاريخ مي إدريس وغزواته، [بدون ذكر رقم الطبعة] مطبعة الأميرية، كنو، 1922، ص 4.

(3) See: Henry Barth. 1862. Collections of Vocabularies of Central African Languages. part 1. Gotha: Justus Perthes, p. LXVII

بما أن التبو يقطنون في منطقة جغرافية شاسعة جدًا فإنهم قد انقسموا إلى فرعين أساسيين، هما: التودا « Tuda-ã » والدازا « Daza-ã ». التودا هم تبو الشمال الذين يقطنون في فزان والكفرة في ليبيا، وتبستي في تشاد، وكوار والصحراء في النيجر، وينقسمون إلى نحو خمسة وثلاثين قبيلة. أما الدازا فهم القبائل التباوية التي تقطن جنوب وشرق تبستي في كل من بوركو وانيدي وكنم في تشاد وفي الصحراء بالنيجر⁽¹⁾.

ب- جغرافية انتشار التبو:

ينتشر التبو في منطقة جغرافية شاسعة جدًا كما أسلفنا، إذ يقطنون في ثمانية أقاليم في منطقة الصحراء والساحل الأفريقي. وهي المنطقة الممتدة من تخوم وسط ليبيا شمالًا حتى بحيرة تشاد جنوبًا، ومن تخوم السودان شرقًا حتى الجزائر غربًا. ومن أهم الأقاليم التي يقطنها التبو هي: إقليمي فزان والكفرة في ليبيا، وإقليم تبستي وبوركو وأنيدي وكنم في تشاد، وإقليمي كوار والصحراء بالنيجر⁽²⁾. كما يمتد تواجد التبو خارج هذه الأقاليم في عدد من المناطق في شرق تشاد وغربي السودان، كما يقطن عددٌ منهم أيضًا في جمهورية نيجيريا الاتحادية.

لم تتغير حدود بلاد التبو منذ وصف المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوتس، ومرورًا بمشاهدات ليون الأفريقي في القرون الوسطى، وانتهاءً بمشاهدات الرحالة الأوروبيون. فقد وصف الرحالة الإنجليزي فريدريك هورنمان، الذي يعتبر أول رحالة أوروبي يصل إلى بلاد التبو بعد زيارة ليون الأفريقي في القرون الوسطى، جغرافية بلاد التبو قائلاً: «يسكن التيبو غرب وجنوب غرب فزان، ويحكمون أيضًا الإقليم الذي يقع في المنطقة الصحراوية ما بين فزان ومصر. إن أقرب بقعة مسكونة شمال التيبو

(1) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبو تاريخهم ولغتهم وثقافتهم، ط1، الجمعية الليبية للثقافة التباوية، القطرون، 2022، ص 29-30.

(2) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبو، المرجع السابق، ص 25.

هي: (أوجلة) و(سيوة)، ويجاورهم من ناحية الجنوب العرب الرّحل، ومن ناحية الغرب - فيما بعد فزان - أراضي الطوارق»⁽¹⁾.

هذه هي جغرافية بلاد التبو على مدى أكثر من ألفي عام، لم تطرأ عليها تغييرات كبيرة، رغم توسعهم جنوبًا أكثر فأكثر في عصر التوسع الكانمي، ونزوحهم جنوبًا في بعض المناطق، بسبب حملات أولاد محمد الفاسي التي أجلتهم من شمال فزان بشكل نهائي بحلول القرن الثامن عشر⁽²⁾، والحملات التي شنتها الدولة العثمانية على منطقة الكفرة في بداية القرن التاسع عشر⁽³⁾، وهو ما يؤكده الرحالة الألماني ناختيجال قائلًا: «لقد أوردت من قبل أن أهالي تو يسمون أنفسهم تيدا، وأنهم في السابق كانوا منتشرين لحد أبعد في سائر الصحراء بصورة أكبر مما هم عليه الآن. فالذين كانوا يقيمون في السابق في الكفرة قد تراجعوا الآن لتيبستي الشرقية، وفي فزان هناك مستوطنون من التيدا أقل مما كانوا عليه.»⁽⁴⁾

ثانيًا- اللغة التباوية:

أ- اللغة التباوية وجغرافيته:

اللغة التباوية هي لغة الشعب التباوي الذي تحدثنا عنه في الفقرة السابقة، وتسمى باللغة التباوية «tudaga» وتعني لغة التبو، وهي إحدى اللغات الحية المعتبرة في منطقة الساحل والصحراء التي أشرنا إليها آنفًا. ومن أهم الأقاليم التي تنتشر فيها

(1) انظر: فريدريك هورنمان، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان، ترجمة: مصطفى محمد جودة، [بدون ذكر رقم الطبعة]، دار الفرجاني، طرابلس، 1993، ص 117.

(2) Voir : Chappelle, Jean. 1957. Nomades noirs du Sahara. Paris : Librairie Plon, p 50.

(3) Voir : Chappelle, Jean. op. cit., p. 98

(4) انظر: جوستاف ناختيجال، المجلد الأول، الصحراء وبلاد السودان، المجلد الأول، ترجمة: د. عبد القادر مصطفى المحيشي، [بدون ذكر رقم الطبعة]، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007، ص 639.

التباوية هي: إقليمي فزان والكفرة في ليبيا، وإقليم تبستي وبوركو وأنيدي وكنم في تشاد، وإقليمي كوار والصحراء بالنيجر⁽¹⁾.

بالإضافة إلى التبو، يتحدث باللغة التباوية مجموعات عرقية كثيرة في الصحراء والساحل الأفريقي، من أهمها: العرب والكانوري والفلان والطوارق والزغاوة والبلالا وغيرهم من الشعوب التي تجاورهم، وتعتبر لغة تواصل أساسية في منطقة شاسعة جدًا⁽²⁾.

اللغة التباوية، كما غيرها من اللغات، ونتيجة لعوامل عديدة، انقسمت إلى لهجتين، هما: تُدْغا « tudaga » ودَزْغا « dazaga »، الأولى يتحدث بها سكان فزان والكفرة في ليبيا، وتبستي في تشاد، وكوار وجزء من سكان الصحراء بالنيجر، بينما يتحدث بالثانية سكان بوركو وإنيدي وكنم والبطحاء بتشاد، والجزء الأكبر من سكان الصحراء بالنيجر، وسكان شرق السودان. رغم انقسام التباوية إلى لهجتين إلا أنها تعتبر من أكثر اللغات تجانسًا، الناطقون بلهجتيها يتفاهمون فيما بينهم تفاهمًا كبيرًا، والاختلافات الموجودة بينهما طفيفة جدًا لا تؤثر كثيرًا على التواصل بين المجموعتين⁽³⁾.

ب- تصنيف اللغة التباوية:

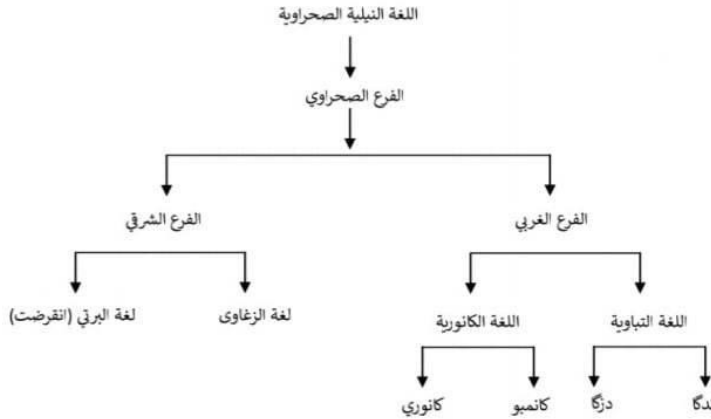
من حيث التصنيف تنتمي اللغة التباوية للمجموعة الغربية للفرع الصحراوي لمجموعة اللغات النيلية الصحراوية⁽⁴⁾. أقرب اللغات إلى اللغة التباوية هي اللغة الكانورية، إذ تنتمي معًا إلى الفرع الغربي لمجموعة اللغات الصحراوية.

(1) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبو، مرجع سابق، ص 102.

(2) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبو، المرجع السابق، ص 107، هامش 1.

(3) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، قواعد اللغة التباوية، ط1، الجمعية الليبية للثقافة التباوية، القطرون، 2013، ص 9.

(4) See: Josiah Keith Watlerts. 2015. A Grammar Sketch of Dazaga, Dallas, USA: Graduate Institute of Applied Linguistics, MA thesis, p. 2.



جـ- خصائص اللغة التباوية:

تعتبر اللغة التباوية من اللغات اللصقية، إذ تتكون المفردة التباوية من مادة أصلية تُضاف إليها السوابق واللواحق للاشتقاق والتصريف، كما في كلمة: قراءة (karadi) مادتها الأصلية هي: (kara) بينما (di) فهي علامة المصدر، عند التصريف تتم إضافة اللواحق على المادة الأصلية على النحو الآتي:

Tani karanaar	أنا قرأت
Nuro karanum	أنت قرأت
Muro karayi	هو قرأ

كما تتميز اللغة التباوية بعدم وجود ظاهرة الجنس فيها (أي التذكير والتأنيث)، فهي لا تعرف التمييز بينهما، سواءً في الضمائر أو الأسماء أو الصفات، فالضمائر في التباوية نوعٌ واحدٌ كما هي في الجدول التالي:

Tani	أنا
Nuro	أنت، أنتِ
Muro	هو، هي
Tunda	نحن

Nura	أنتم، أنتما، أنتن
Mura	هم، هما، هن

والاسم فيها كذلك نوع واحد، فكلمة «odo» التباوية تطلق على الطفل والطفلة ولا توجد علامة تمييز بينهما. وهكذا جميع الأسماء فيها، إلا ما اختصت، ككلمة «goni» تطلق على الجمل و«dûi» تطلق على الناقة. وللتمييز بين الأسماء المشتركة في الحيوانات والطيور يتم استعمال كلمتي «angur» بمعنى ذكر و«êdi» بمعنى أنثى، فمثلاً للتمييز بين الدجاجة والديك نقول: «kogoye angur» بمعنى ديك و«kogoye êdi» بمعنى دجاجة؛ لأن كلمة «kogoye» تطلق على الدجاجة والديك⁽¹⁾. كذلك الأمر في الصفات، إذ يتم وضعها كما هي بعد الأسماء، سواءً أكانت مؤنثة أو مذكرة، كما في:

Ômuri gîrbi.	رجل شجاع.
Adibi gîrbi.	امرأة شجاعة.

ومن الميزات الأخرى التي امتازت بها التباوية وفتحت لها آفاقاً كبيرة لتطوير مفرداتها هي وجود خاصية التركيب فيها، إذ تستعمل هذه الخاصة في إثراء معجمها، وهي ميزة كبيرة تمتاز بها بعض اللغات، خاصّة اللغات اللصقية. وتنقسم المصادر في اللغة التباوية إلى مصادر بسيطة وأخرى مركبة، فيما يلي بعض النماذج لها:

Karadi	قراءة
Arbidi	كتابة
îji ndubabi	سباحة
buda ndeni	إطعام

(1) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، قواعد اللغة التباوية، مرجع سابق، ص 43.

د- النظام الصوتي للغة التباوية:

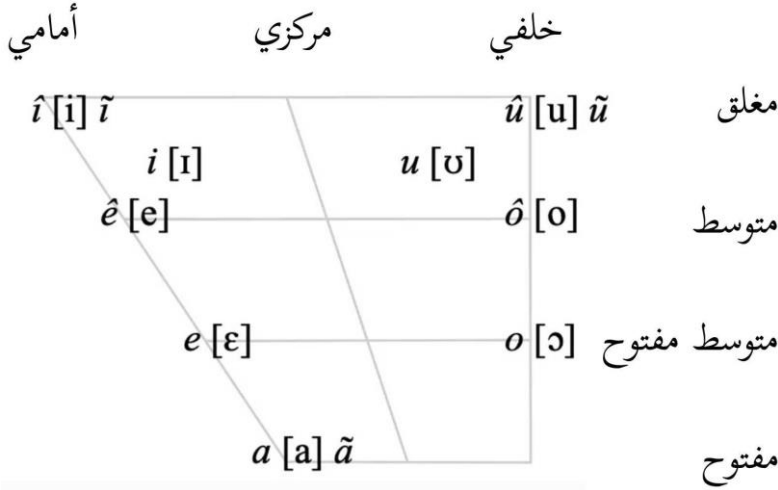
للغة التباوية ثلاثة وثلاثون صوتًا، منها واحدٌ وعشرون صوتًا ساكنًا، واثنان عشر صوتًا متحركًا، من خلال الجدولين التاليين نعرض القيمة الصوتية لحروف اللغة التباوية.

1- جدول القيمة الصوتية لصوامت اللغة التباوية (وفقاً لـ Nicco La

Mattina):

مخرج صفة	شفوي	لثوي	لثوي غاري	غاري	طبقي	حنجري
وقفي	p (پ)	t (ت)			k (ك)	
مجهور	b (ب)	d (د)			g (گ)	
أنفي	m (م)	n (ن)		ñ (نيه)	ŋ (نگ)	
مستل		r (ر)				
مهموس	f (ف)	s (س)	š (ش)			h (ه)
احتكاكي		z (ز)	j (ج)			
مزجي			č (تش)			
متقارب				y (ي)	w (و)	
جانبي		l (ل)				
متقارب						

2- جدول القيمة الصوتية لصوائت اللغة التباوية (وفقًا لـ Nicco La Mattina):



د- الأبجدية التباوية:

من أكثر المسائل المثارة في ليبيا حول اللغة التباوية مسألة الكتابة التباوية. يتساءل كثيرون فيما إذا كانت اللغة التباوية لغة مكتوبة أم تفتقد إلى كتابة خاصة بها؟ للإجابة على هذا السؤال ينبغي بيان تاريخ الكتابة التباوية (1) ثم الأبجدية التباوية الحالية (2).

1- تاريخ الكتابة التباوية:

اللغة التباوية لم تشذ عن شقيقاتها اللغات الأفريقية، فقد ظهرت الكتابة التباوية المبنية على الأبجدية اللاتينية مع ظهور أبجديات اللغات الأفريقية منذ بداية القرن التاسع عشر. فقد ظهرت أول كتابة للغة التباوية منذ سنة 1856م على يد الرحالة الألماني هنري بارث، إذ يُعد أول باحثٍ في اللغة التباوية يكتب عنها بطريقة علمية باستعمال الأبجدية اللاتينية. فقد استعمل هنري بارث في دراسته المعنونة بـ: «مجموعة من مفردات لغات وسط أفريقيا» «Collections of Vocabularies of

«Central African Languages»⁽¹⁾، القواعد الإملائية التي وضعها البروفيسور ليبسيوس Lepsius⁽²⁾، وتبعه في ذلك أيضًا هنري كاربو Henri Carbou في دراسته عن لغة التبو⁽³⁾.

ثم تبنى الباحثون في الدراسات التباوية الأبجدية التي وضعها المعهد الدولي للغات والحضارات الأفريقية في سنة 1930⁽⁴⁾. فقد تبنى شارل لوكير Charle Le Coeur أحد أبرز الذين كتبوا عن اللغة التباوية هذه الأبجدية في كتابتها، حسب ما يوضح عن ذلك هو نفسه في معجمه عن اللغة التباوية⁽⁵⁾. كذلك، تبنى الخط الإملائي نفسه بي جوردن P. Jourdan في كتابه عن النحو التباوي⁽⁶⁾، ومونيك براندلي Monique Brandily في دراستها عن الشعر التباوي⁽⁷⁾.

استمر الوضع على ذلك سنوات طويلة حتى تبنى المعهد الصيفي للغويات Sumer Institute of Linguistic مشروع أبجدة اللغة التباوية، فقد وضع الباحثون في المعهد المذكور أبجدية لاتينية لكتابة اللغة التباوية بطرق حديثة، مع نظام إملائي في غاية الدقة في منتصف التسعينيات من القرن الماضي⁽⁸⁾. فقد صدر

(1) See: Henry Barth, Collections of Vocabularies of Central African Languages, part 1, 1862.

(2) للاطلاع على هذه القواعد انظر:

C. R. Lepsius. 1963. Standard Alphabet, second edition, London.

(3) Voir : Carbou, Henri. 1912. La Region du Tchad et du Ouadai, tome premier, étude ethnographiques. Dialect toubou. Paris : Ernest Leroux editeur, p 213.

(4) See: Practical orthography of African languages. 1930. London: Oxford University press.

(5) Voir : Le Coeur, Charle. 1950. Dictionnaire ethnographique Teda. Paris. Larose, p 6.

(6) Voir: Jourdan, P. 1935. Notes grammaticales et vocabulaire de la langue Daza. London.

(7) Voir : Brandily, Monique. 1976. Un chant du Tibesti, Journal des africanistes, tome 46, fascicule 1-2, p. 131.

(8) Lanu : Ortman, Mark (Kandamai). 2017. Daga Tudaa, ndudurki nduzooi-ĩ. Bordo : Mosko hanadii-ĩ. Il 133-138. Ōwonni lanu : Walters, Kevin & Inouss Hagar (eds.). 2005. Lexique tubu (dazaga) - français avec glossaire français - tubu. Niamey, Niger: SIL International, p 2.

بالأبجدية الحديثة أول كتاب باللغة التباوية في أغسطس من سنة 1998. لم تتوقف مسيرة تطوير الأبجدية التباوية بصدرور النسخة الأولى منها، بل استمر التطوير؛ إذ أُجري آخر تعديل لهذه الأبجدية في سنة 2011 وذلك بتغيير طريقة كتابة الصوائت الأنفية الثلاثة.

2 - الأبجدية التباوية الرسمية المعيارية:

بعد كل هذه السنوات من البحث والتطوير، استقرت تبني الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة التباوية، إذ وُضع لها نظام أبجدي خاص متوافق تماماً مع أصواتها، مع نظام إملاء دقيق. وهذا هو جدول الأبجدية التباوية المعيارية الرسمية في كل من ليبيا وتشاد والنيجر، والتي تُدرّس بها اللغة التباوية في المدارس ومراكز تطوير اللغة التباوية.

Arbi-ī الحرف	Dagi hunā الأمثلة	Sodur hunā صوت الحرف	Tûrtu hunu aranga-a-ā المقابل العربي	Lûdi hunā اسم الحرف
A a	aski	/a/	أ	aa
Ã ã	alaã	/ã/	-	Ãa
B b	borko	/b/	ب	Bee
Č č	čomur	/tʃ/	تش	Čee
D d	dungu	/d/	د	Dee
E e	eber	/ɛ/	-	Ee
Ê ê	êre	/e/	ايه	Êe
F f	arfu	/f/	ف	Fee
G g	gumar	/g/	گ	Gee
H h	hali	/h/	ه	Hee
I i	imbi	/i/	إ	Ii
Î î	tîbi	/i/	إ	Îi
İ ĩ	šii	/ĩ/	-	İi
J j	îji	/ʒ/	ج	Jee

K k	karaha	/k/	ك	Kee
L l	lôĩ	/l/	ل	Lee
M m	madu	/m/	م	Mee
N n	numo	/n/	ن	Nee
Ñ ñ	ñê	/ɲ/	نيه	Ñee
Ŋ ŋ	ŋam	/ŋ/	نگ	Ŋee
O o	odo	/ɔ/	-	Oo
Ô ô	ôtu	/o/	أوه	Ôo
P p	popur	/p/	پ	Pee
R r	karmi	/ɾ/	ر	Eer
S s	suli	/s/	س	See
Š š	šiĩ	/ʃ/	ش	Šee
T t	tasu	/t/	ت	Tee
U u	kubu	/ʊ/	-	Uu
Û û	kûdi	/u/	ؤ	Ûu
Ũ ũ	yuroũ	/ũ/	-	Ũu
W w	wûni	/w/	و	Wee
Y y	yuzo	/j/	ي	Yee
Z z	zia	/z/	ز	Zee

المطلب الثاني

تاريخ اللغة التباوية

نتحدث في هذا المطلب عن تاريخ اللغة التباوية، وذلك من حيث وصف المؤرخين لها خلال القرون الماضية، في فقرة أولى، ثم نتحدث عن واقع اللغة التباوية في ليبيا وعلاقتها باللغات الأخرى وذلك في فقرة ثانية، فيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً- اللغة التباوية في ليبيا:

أصالة اللغة التباوية في ليبيا تُدلل عليها مشاهدات المؤرخين والرحالة الذين زاروها منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (أ)، كما تُدلل عليها المعالم الجغرافية بالجنوب الليبي (ب).

أ- اللغة التباوية من خلال مشاهدات الرحالة والمؤرخين:

تعتبر اللغة التباوية بالإضافة إلى شقيقتها اللغة الكانورية أهم لغتين في فزان في العصور السابقة، خاصةً في جنوب فزان⁽¹⁾. إذ كافحت التباوية في البقاء، بينما كان مصير الكانورية الزوال والاختفاء تمامًا كلغة حديث فيها، ولم يعد يتحدثها أحد في الحياة اليومية، ولا يجيدها إلا قلة قليلة من كبار السن في مناطق القطرون في أقصى جنوب فزان، فقد تحول أغلب الناطقين بها إلى العربية أو التباوية باعتبارها أقرب اللغات إليها.

رغم قدم اللغة التباوية، لم يرد وصفٌ دقيق لها أو للغة أسلاف التبو حتى مجيء الرحالة الأوروبيون إلى ليبيا. فقد كان أول وصفٍ للغة التباوية في ليبيا في العصر الحديث هو ما أورده بشأنها الرحالة الإنجليزي فريدريك هورنمان في كتابه المعنون بـ «الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان» سنة 1797م، فقد أورد

(1) كانت اللغة الكانورية منتشرة بشكل كبير في فزان، خاصةً في جنوبها، فقد كان يتحدثها أو يعرفها أغلب سكانها. ولقد ذكر كل الرحالة الذين زاروا فزان خلال القرون الماضية اللغة الكانورية كلغة فزانية يجيدها كل أهلها، كانت إلى جانب التباوية أكثر لغتين تحدثاً في جنوب فزان. انظر: جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان، ترجمة: مصطفى جودة، ط 1، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1976، ص 179. وأعتبرها الرحالة الألماني غيرهارد رولفس اللغة القومية الأولى في فزان. انظر: غيرهارد رولفس، عبر أفريقيا، ترجمة: د. عماد الدين غانم، [بدون ذكر رقم الطبعة]، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، [بدون ذكر سنة النشر]، ص 152.

هورنمان معلومات مقتضبة عن لغة التبو؛ إذ وصفها بأن: «لغة التبو سريعة جداً بصورة غير عادية وبها حروف ساكنة كثيرة، وبخاصة اللام والسين»⁽¹⁾.

كما أورد هورنمان لأول مرة مجموعة من أعداد التبو⁽²⁾. بذلك يُعد ما أوردته أول مصدر مكتوب للغة التباوية في العصر الحديث.

من بعده وصف الرحّالة الإنجليزي جون فرانسيس ليون اللغة التباوية أثناء رحلته من طرابلس إلى مرزق في سنة 1817 قائلاً بأن: «لغة التبو لغة سريعة جميلة، بها كثير من الأصوات السلسلة المائعة، ولا تشبه أي لهجة زنجية أخرى». كما أورد نيفاً وخمسين مفردة تباوية مع مقابلاتها الإنجليزية⁽³⁾ في إضافة قيّمة لمجموعة المفردات التي أوردتها الرحّالة هورنمان.

ثم جاء من بعدهم الرحّالة الألماني جوستاف ناختيجال الذي زار بلاد التبو من أقصاها إلى أقصاها، وتجاسر لزيارة إقليم تبستي لأول مرة في تاريخها الحديث خلال سنة 1869م، وتحدث عن التبو وعن لغتهم باستفاضة، وقارن بين لهجتي التباوية، وبينها وبين شقيقتها اللغة الكانورية، وبيّن القرابة بين اللغتين بشكل أوضح. كما قارن بين التباوية وبين لغة الزغاوة التي تنتمي هي الأخرى إلى مجموعة اللغات الصحراوية، أصغر فروع مجموعة اللغات النيلية الصحراوية، وأكثرها استقلالاً⁽⁴⁾.

لقد انتهى الرحّالة ناختيجال من دراسته القيمة عن اللغة التباوية إلى ما انتهى إليه الرحّالة الألماني هنري بارث، الذي لا ينكر فضله في كتابه، إلى اعتبار الشدكا والدزكا لهجتين للغة واحدة، أما الكانورية فتعتبر أقرب اللغات إليها⁽⁵⁾.

كما تحدث الرحالة الألماني غيرهارد رولفس عن التعددية الثقافية واللغوية في فزان مشيراً إلى لغاتها، من بينها اللغة التباوية، إذ كتب يقول: «وإذا ما قيض للمرء أن

(1) انظر: فريدريك هورنمان، الرحلة مرجع سابق، ص 117.

(2) انظر: فريدريك هورنمان، المرجع السابق، ص 117-118.

(3) انظر: جون فرانسيس ليون، مرجع سابق، 179.

(4) انظر: جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، المجلد الثاني، ترجمة: د. عبد القادر مصطفى المحبشي، ط 1، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص 632 وما بعدها.

(5) انظر: جوستاف ناختيجال، المجلد الثاني، المرجع نفسه، ص 632.

يتحدث عن لغة قومية لدى هذا الشعب المختلط فإن الكنورية (لغة بورنو) هي الأعم ويتكلم بها الأطفال، وبعد هذه اللغة تأتي العربية وكثير من الناس يفهمون الطارقية ولغة التيدا والهوسا.⁽¹⁾

ففي بداية القرن المنصرم، إثر مجيء الاستعمار الفرنسي إلى بلاد التبو، ازدهرت الدراسات اللغوية حول اللغة التباوية وفقاً لأحدث مناهج دراسة اللغات آنذاك. وباتت التباوية لغة معروفة في أوساط الباحثين الغربيين، خاصة الفرنسيين، وظهر علم الدراسات التباوية بملاحه الحالية، وبرع فيه عدد كبير من العلماء الفرنسيين، وباتت المكتبة التباوية تزخر بالعديد من المؤلفات عن التبو وعن لغتهم وثقافتهم⁽²⁾.

بعد رحيل الاستعمار واستقلال دول المنطقة استمرت هذه الدراسات، بل أصبحت دراسات أكاديمية متخصصة. منذ الثمانينات من القرن الماضي بدأنا نرى رسائل ماجستير عن لسانيات اللغة التباوية، أولى هذه الرسائل رسالة الباحث (Abdoulaye 1985) التي قدمها إلى كلية الآداب بجامعة نيامي بجمهورية النيجر الشقيقة، تلتها رسائل أخرى لباحثين من الجامعة نفسها خلال عامي 87-1988. آخر الرسائل التي تناولت دراسة اللغة التباوية رسالة الباحث جوسيا والترز Josiah Watlters حول قواعد اللغة التباوية، الدزگا، التي قدمها لنيل درجة الماجستير في اللغويات سنة 2015 إلى كلية معهد الدراسات العليا في علم اللغة التطبيقي (سابقاً) بالولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾.

ب- اللغة التباوية في المعالم الجغرافية بالجنوب الليبي:

(1) انظر: غير هارد رولفس، مرجع سابق، ص 152.

(2) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبولوجيا والتبولوجيون، صحيفة صدر زلاء، السنة الأولى، العدد الأول، 11 سبتمبر 2012، ص 13.

(3) See: Josiah Keith Watlters, op. cit., pp. 11 – 16

حضور اللغة التباوية في المعالم الجغرافية للجنوب الليبي مسألة لا تخطئها عين، كل شبرٍ في جنوب فزان ومنطقة الكفرة (تازر) Tezer يحمل اسماً تباوياً رغم تحور بعض هذه الأسماء عن صيغتها التباوية إلا أن الكثير منها بقيت إلى يومنا هذا. يمكننا أن نستشهد بمئات الأسماء في هذا المقام. ويمكن البدء باسم إقليم فزان نفسها، التبو لا يسمونها بهذا الاسم، بل يطلقون عليها اسم آخر ذات دلالة تباوية إلى يومنا هذا، وهو: زالا « Zala »، وهو اسم تباوي غني عن التعريف، يرد ذكره في أغلب كتب الرحالة والمؤرخين الذين جابوا هذه الديار خلال القرون الوسطى. من هذا الاسم اشتق اسم منصب حاكم فزان إبان فترة حكم مملكة كانم لها، إذ يحمل حاكم فزان اسم زالاما Zalama بمعنى صاحب فزان، أو حاكم فزان⁽¹⁾. الاسم الآخر الذي يمكننا الاستدلال به هو تازر « Tezer » وهو الاسم التباوي للمنطقة الواقعة جنوب أوجلة، والتي تتضمن واحات الكفرة وريانة وتازربو وغيرها.

تنتشر في مناطق جنوب فزان وواحات الكفرة (تازر) معالم جغرافية عديدة تحمل أسماء باللغة التباوية، نكتفي هنا بذكر أشهر هذه المعالم التي وردت في كتب الرحالة والمؤرخين والمتداولة إلى يومنا هذا. من هذه الأسماء كلمة (تازر) التي يطلقها على مدينة الكفرة واسم بلدة تازربو « Tezerbu » شمال الكفرة وبلدة موزي « Muzui » وأركنو « Arkunu » وأربدن « Erbeden » وغيرها في جنوب الكفرة. وفي فزان أيضاً نجد اسم بلدة همبر « Hambar » وأوركودن « Ôrkudun » « وتزرو » Tôzuro « وضموزو » Dumozo « وتاو » Tôu « غيرها من المعالم الجغرافية التي لا يمكن حصرها في دراسة مختصرة كهذه⁽²⁾.

ثانياً- اللغة التباوية اليوم:

(1) انظر: جوستاف ناختيجال، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص 358، هامش 1.

(2) انظر: أ- حسن بدي محمد كدينو، التبو، مرجع سابق، ص 141 وما بعدها.

نتحدث في هذه الفقرة عن الوضع القانوني للغة التباوية في ليبيا أولاً (أ) ثم نتحدث عن علاقتها باللغة العربية (ب).

أ- الوضع القانوني للغة التباوية:

تقنين الوضع القانوني للغة التباوية في ليبيا جاء متأخراً بعض الشيء، إذ سبقتها في ذلك دولة النيجر الشقيقة التي تعتبر أول دولة من الدول الثلاثة التي تنتشر فيها التباوية تقوم بتقنين وضعها. فالمادة الثالثة من دستور جمهورية النيجر قضت على وطنية اللغة التباوية ⁽¹⁾ مساويةً بذلك بين التباوية التي تبلغ نسبتها 1.2% من أصل سبعة عشر مليون نسمة بلغة الهوسا التي تبلغ نسبتها 54%، ومعاملتها على قدم المساواة. التباوية لغة محمية بالدستور في هذه الدولة، تُدرّس في المدارس وتُثبت بها برامج قنوات وإذاعات الدولة الرسمية.

رغم تأخر تقنين الوضع القانوني للغة التباوية في ليبيا، إلا أن الدولة الليبية لم تتجاهلها تماماً، بل نجد أن هناك محاولات تشريعية لإعطائها وضع ما سواء في العهد السابق أو بعد ثورة السابع عشر من فبراير. أول تشريع ليبي عن اللغة التباوية كان قرار الأمين المساعد للجنة الشعبية العامة للتعليم لشؤون الخدمات رقم (131) لسنة 1430 ميلادية بشأن تقرير تدريس اللغات الأفريقية. فقد قضت المادة الأولى من هذا القرار على تدريس اللغة التباوية كمادة غير أساسية في المدارس العامة في ليبيا اعتباراً من العام الدراسي 1430 - 1431 ميلادية ⁽²⁾.

أمّا بعد ثورة السابع عشر من فبراير، فقد تضمنت المادة الأولى من الإعلان الدستوري المؤقت الذي أصدره المجلس الوطني الانتقالي على ضمانات لحماية لغات

(1) Niger's Constitution of 2010. Available at

[:https://www.constituteproject.org/constitution/Niger_2010.pdf](https://www.constituteproject.org/constitution/Niger_2010.pdf). (Accessed on 27/12/2018).

(2) انظر: قرار الأمين المساعد لشؤون الخدمات رقم (131) لسنة 1430 ميلادية بشأن تقرير تدريس اللغات الأفريقية، غير منشور.

المكونات الثقافية من بينهم التبو⁽¹⁾. بالرغم من ضآلة القيمة القانونية لهذه المادة وعدم قيام الدولة الليبية بأية إجراءات عملية لحماية اللغة التباوية أو تدريسها، إلا أن وجودها أعطى دفعا كبيرا للمهتمين باللغة والثقافة التباوية في ليبيا في المضي قُدما في تطويرها، إذ أصدروا عددا كبيرا من الكتب باللغة التباوية، بالإضافة إلى صحيفة ومجلة ناطقة بها⁽²⁾.

باستمرار عمليات تطوير وتدريس اللغة التباوية ذاتيا في عددٍ من المناطق في ليبيا، واستمرار المطالبة بتسوية وضعها القانوني أصدر المؤتمر الوطني العام القانون رقم (18) لسنة 2013م بشأن حقوق المكونات الثقافية. فقد وضعت المادة الأولى من هذا القانون خطوطا عريضة تضمن تدريس اللغة التباوية. رغم تأخر تنفيذ هذا القانون لسنوات عديدة، إلا أنه بدأ تدريس اللغة التباوية في سبع بلديات في الجنوب الليبي ابتداءً من العام الدراسي 2018-2019⁽³⁾. كما أصدرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي قرارها رقم (437) لسنة 2022م بشأن إنشاء مركز اللغة التباوية⁽⁴⁾ الذي يعتبر أول مؤسسة أكاديمية ليبية تُعنى بتطوير اللغة والثقافة التباوية.

ب- علاقة اللغة التباوية باللغات الأخرى:

اللغة التباوية ليست منعزلة تماما عن محيطها، بل لها شقيقات تلتقي معها في جذورها الكبرى، كما أنها تقترب إلى بعض اللغات في خصائصها، فضلا عن تأثرها ببعض اللغات التي تتعايش معها. عليه، نسلط الضوء في هذه الفقرة على أقرب

(1) انظر: الإعلان الدستوري المؤقت، المجلس الوطني الانتقالي، منشورات الشورى، طرابلس، 2011.

(2) أول صحيفة صدرت باللغة التباوية في ليبيا هي صحيفة (SODUR ZALAA-Ā) أي صوت فزان التي صدرت في مدينة بنغازي بتاريخ 2011/10/04، أما أول مجلة ناطقة باللغة التباوية صدرت في ليبيا فهي مجلة (ZALA DĪ) أي جنوب فزان التي صدرت بتاريخ 2012/04/28.

(3) Lanu : Sodur Zalaa-ā, sagahanu murdomii-ī - Ndogudko (4), Lamīš-ā 04nūhombur2021, 29 ėrbi loon1443, 18.

(4) انظر: قرار وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (437) لسنة 2022م بشأن إنشاء مركز اللغة التباوية، غير منشور.

المجموعة لغوية إلى اللغة التباوية، ألا وهي: مجموعة اللغات الصحراوية (1) ثم بيان علاقتها بمجموعة اللغات الهندية الأوروبية (2)، ونختتم هذه الفقرة ببيات علاقتها باللغة العربية التي تتعايش معها في غير مكان (3)، فيما يلي تفصيل ذلك.

1- اللغة التباوية واللغات الصحراوية:

مؤرخو القرون الوسطى (1)، كانوا دائماً يصنفون التبو ضمن البربر، أخذاً بالظاهر، لذلك لم تتح لهم فرصة مقارنة اللغة التباوية باللغات الأفريقية المجاورة بسبب تركيزهم على البحث عن قرابة ما بينها وبين لغات البربر. بقي الأمر كذلك حتى مجيء الرحالة الألماني هنري بارث الذي تنبه إلى وجود قرابة ما بين اللغة الكانورية والتباوية (2)، ربما بمساعدة محمد القطروني، دليله ومترجمه الذي يجيد بالإضافة إلى لغته الأم التباوية اللغة الكانورية بطلاقة، وتمكن من اللغة العربية بشكل كبير (3). ثم جاء ناخيتجال وأستكمل البحث في القرابة بين اللغتين، وأكد على القرابة بينهما بشكل قاطع، ومضيفاً إلى وجود قرابة ولو بعيدة بين التباوية والكانورية من جهة، ولغة الزغاوة من جهة أخرى (4)، واضعاً بذلك أول لبنة في مشروع تصنيف المجموعة الصحراوية للغات النيلية الصحراوية.

لاحقاً، في 1963 أطلق جوزيف جرينبورغ على هذه المجموعة من اللغات اسم اللغات الصحراوية (5)، وهو اسم هذه المجموعة في أوساط الباحثين حتى يومنا هذه.

(1) انظر: ليون الأفريقي، مرجع سابق، ص 154-155.

See: Henry Barth, Collections of Vocabularies of Central African Languages, part 1, (2) p. XI.

See: Henry Barth, Collections of Vocabularies of Central African Languages, part 1, (3) p. IX.

(4) انظر: جوستاف ناخيتجال، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص 638 وما بعدها.

(5) See: Greenberg, Joseph H. 1966. The Languages of Africa. Bloomington: Indiana University. The Hague: Mouton

إذاً، القرابة بين اللغات الصحراوية مسألة ثابتة عند كل الباحثين⁽¹⁾، وإن العلاقة بين اللغتين التباوية والكانورية علاقة الأصل والفرع، وهما تمثلان الفرع الغربي لمجموعة اللغات الصحراوية كما أشرنا إلى ذلك من قبل⁽²⁾، وتشارك مع التباوية في نسبة كبيرة من مفرداتها.

2- علاقة اللغة التباوية باللغات الهندية الأوروبية:

حسب التصنيف المتعارف عليه للغات، اللغة التباوية تعتبر بعيدة جداً عن مجموعة اللغات الهندية الأوروبية، إلا أنه مع ذلك تجمعها بها خصائص عديدة. أهمها خاصية التركيب، وطرائق تقسيم الفعل، وطريقة تصريفه، وأزمنة الفعل وغيرها. إذ من المعروف إن اللغة التباوية تعتبر من اللغات اللصقية، وفي هذه الخاصية تتفق مع أغلب اللغات الهندية الأوروبية.

إذا ما أردنا أن نقدم أمثلة على ذلك، فمن أوضح الأمثلة على تشابه اللغة التباوية ببعض اللغات الهندية الأوروبية، خاصية التركيب وتقسيم الفعل. فعن التركيب تشترك التباوية مع بعض اللغات الهندية الأوروبية فيها، من أهمها: اللغتين الفارسية والألمانية. فمثلاً، «bôli ndogusi» «التباوية تتكون من مقطعين، هما: «bôli» وتعني نظيف، وكلمة «ndogusi» التي تعني أن يفعل أو فعل. ودمج هاتين الكلمتين يتحول المعنى إلى تنظيف. وكذلك الأمر في اللغتين الألمانية والفارسية، إذ نجد أن «المصدر الفارسي «تميز كردن» الذي يقابله المصدر الألماني «souber machen»، وكلاهما بمعنى أن ينظف، فكلمة «تميز» تعني نظيف،

(1) See: Lukas, Johannes. 1937. A Study of the Kanuri Language. London: Oxford University Press, p X.

(2) انظر أعلاه، ص 11.

و«كردن» بمعنى أن يفعل أو يقوم بـ. كذلك كلمة «souber» تعني نظيف، وكلمة «machen» بمعنى أن يفعل أو يقوم بـ⁽¹⁾.

وأما عن تقسيم الفعل في اللغة التباوية فهو ينقسم إلى مجموعات حسب النهايات التي ينتهي بها، أو البداية التي يبدأ بها على غرار تقسيمه في اللغة الفرنسية⁽²⁾، بحيث تنقسم الأفعال التباوية من حيث المصدر إلى أربع مجموعات حسب النهايات التي تنتهي بها مصادر المجموعات الثلاثة الأولى أو البداية التي تبدأ بها مصادر المجموعة الرابعة⁽³⁾.

كما تشترك اللغة التباوية مع بعض اللغات الهندية الأوروبية، كالإنجليزية والفارسية، في عدم وجود ظاهرة الجنس فيها، كما بينا سابقاً عند الحديث عن خصائصها⁽⁴⁾.

3- علاقة اللغة التباوية باللغة العربية:

تنتمي اللغة العربية إلى مجموعة اللغات السامية، وهي مجموعة لغوية بعيدة جداً عن المجموعة التي تنتمي إليها اللغة التباوية وهي مجموعة اللغات النيلية الصحراوية، ولا تشترك معها في أية خاصية من خصائصها التي ذكرناها سابقاً. رغم ذلك، يمكننا الحديث عن تأثير أحدهما على الآخر بسبب القرب الجغرافي، واشتراك التاطقين بهما في الدين الإسلامي. تأثير التباوية على العربية يقتصر فقط على اللهجات العربية

(1) انظر: دكتور: فكري إبراهيم سليم، الكلمات المركبة في اللغة الفارسية، إيجاءاتها الدلالية وكيفية التعامل معها، ص 1. منشور على النت في:

<http://www.azhar.edu.eg/DesktopModules/EasyDNNNews/DocumentDownload.ashx?p.ortalid=11&moduleid=79193&articleid=20752&documentid=7067> (آخر زيارة 27/12/2018).

وكذلك: أ. حسن بدي محمد كدينو، التبو، مرجع سابق، ص 107.

(2) حول تقسيم الفعل في اللغة الفرنسية انظر:

Lang, Margaret and Perez, Isabelle. 2004. Modern FRENCH Grammar, Second Edition. London. Routledge, p. 82.

(3) انظر: حسن بدي محمد، قواعد اللغة التباوية، مرجع سابق، ص 111-113.

(4) انظر أعلاه، ص 5.

العامية المجاورة لمناطق نفوذ التباوية في أقصى الجنوب الليبي والساحل الأفريقي. من أبرز هذه الكلمات، كلمة: (كورنا) العربية العامية المتداولة في لهجة القطرون العربية، فهي مشتقة من كلمة: « kûrri » التباوية، وتعني بالفصحى النبق، وهي ثمار شجرة السدر، وكلمة (تكترو) التي يطلقونها على اليمامة مشتقة من اسمها التباوي « kûdugur ». وكذلك كلمة (تبركة) العربية التي يطلقها العرب على ثمار الحنظل مأخوذة من كلمة أبر « abur » التباوية⁽¹⁾. وكلمة « tûburo » التباوية التي تُستعمل لوصف المرأة المهملة يستعملها العرب بذات اللفظ والمعنى نظراً لعدم وجود مقابل عربي دقيق لها.

أمّا عن تأثير العربية على التباوية فيقتصر على المعجم، هناك تأثيرات عربية لا بأس بها على معجمها، خاصّة المصطلحات الدينية. إذ اقترضت التباوية عدداً من مفرداتها من اللغة العربية. بعض الكلمات العربية التي دخلت المعجم التباوي قديمة جداً بحيث تحورت وفقدت خصائصها العربية. كما إن بعض الكلمات العربية حلت محل الكلمات التباوية، بحيث اختفت الكلمات التباوية من المعجم نهائياً، كأسماء أيام الأسبوع، وأسماء الشهور القمرية. فيما يلي جدول لبعض الكلمات التباوية المقترضة من العربية:

مقابلها العربي	الكلمة بالحرف العربي	الكلمة بالحرف التباوي
حاج	أُج	ôji /ozi/
صلاة	سُئِّل	sôlli /solli/
وضوء	لُل	lollo /lollu/
حرام	هَرَاو	haraũ /haraũ/
الله	أَلَّه	ALLA /ALLA/

(1) انظر: جوستاف ناختيجال، المجلد الأول، مرجع سابق، ص 427.

sûbud /sûbud/	سُؤْبُد	السبت
lahad /lahad/	لَهْد	الأحد
êltined /eltined/	أَلْتِنَد	الاثنين
talad /talad/	تَلَد	الثلاثاء
larba /larba/	لَرْب	الأربعاء
lamîš /lamir/	لَمِش	الخميس
ôlluwa /olluwa/	أُلُؤَا	الجمعة
anġal /anġal/	أَنْقَل	عقل
kudur /kukdur/	كُدُر	قدر

بالإضافة إلى هذه الكلمات القديمة التي دخلت إلى المعجم التباوي، هناك كلمات عربية حديثة دخلت إليها، ولكنها لم تستطع إزاحة الكلمات التباوية المقابلة لها، إذ بقيت تتداول معًا. من أهم هذه الكلمات، كلمة: (كتاب) وتقابلها في التباوية كلمة « tûgi »، ولكن في الغالب يستعمل التبو كلمة (كتاب) في اللغة المحكية، ولكن في اللغة المكتوبة قلما تجد استعمالاً لها، بل يستعملون كلمة « tûgi » «التباوية». وكلمة « sudaga » التي تعني صدقة، تجد لها مقابلاً في اللغة التباوية وهي « mêgeĩ » ولكنها غير مستعملة عند العامة حالياً، إذ يستعملون الكلمة المقترضة من العربية مكانها.

خاتمة

بعد هذه الدراسة الموجزة يمكننا أن نقول بكل ثقة إن التعددية اللغوية والثقافية في المجتمع الليبي مسألة قديمة جداً، إذ لم يعرف هذا المجتمع وحدة اللغة والثقافة في تاريخه. فمن خلال عرضنا لتاريخ ليبيا منذ أقدم العصور نجد ذكراً لشعوب عديدة تواجدت في الفترات نفسها. الحوليات المصرية القديمة أشارت إلى أكثر من شعب في ليبيا القديمة، إذ أشارت إلى التحنو، والتمحو، وغيرهم. هيرودوتس الذي كتب قبل الميلاد بنحو خمسمائة عام أيضاً ذكر شعوباً عديدة، منها: الجرمنت، النسامونس، المكاي وغيرهم.

ليبيا الحديثة المعاصرة لم تشذ عن هذه السنة، لا زالت تحتفظ بتعددتها اللغوي والثقافي، لا زالت اللغات الليبية تحتفظ بكيانها، وتعمل الدولة الليبية على استحياء اليوم على المساواة فيما بينها، والحفاظ عليها، باعتبارها إرث ليبي مشترك لكل الليبيين. من أكثر الخطوات العملية الجريئة التي قامت بها الدولة الليبية خلال السنوات القليلة الماضية محاولات تدريس اللغات الليبية في المدارس العامة كخطوة أولى للحفاظ عليها.

اللغة التباوية التي سلطنا عليها الضوء من خلال هذه الدراسة لغة ضاربة في القدم في هذه الأرض، توارثها ناطقوها جيلاً بعد جيلٍ على مدى آلاف السنوات، لم تتغير جغرافيتها ولم يتخل عنها أهلها، بل ظلوا محافظين عليها في ظل مختلف الظروف التي مرت عليهم وعلى بلادهم. لم تؤثر عليهم غزوات الأجانب واضطرابهم إلى التراجع عن أماكن سكنهم مؤقتاً حتى تزول المخاطر فيعودون بها إزاء، اقتران هذه اللغة بهذه الأرض يجعلنا نقول إنها إرثٌ مشتركٌ لكل من يشارك ناطقياً هذا الوطن، والحفاظ عليها مسؤولية كل فردٍ من أبناء هذا الوطن. تضامننا للحفاظ على إرثنا اللغوي والثقافي هو تضامنٌ للحفاظ على الهوية الليبية الغنية بتعددتها.

ليبيا اليوم رغم تعددها اللغوي والثقافي يوحدتها الإسلام، دين المكونات الليبية الرئيسي، الذي نأمل أن يكون الحبل الذي يعتصم إليه أبناء هذا الوطن بمختلف لغاتهم وثقافتهم.

المراجع

أولاً-الكتب:

- 01- البرنوي، أحمد، تاريخ مي إدريس وغزواته، [بدون ذكر رقم الطبعة]، مطبعة الأميرية، كنو، 1922.
- 02- ناخيتجال، جوستاف، الصحراء وبلاد السودان، المجلد الأول، ترجمة: د. عبدالقادر مصطفى المحيشي، [بدون ذكر رقم الطبعة]، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007.
- 03- ناخيتجال، جوستاف، الصحراء وبلاد السودان، المجلد الثاني، ترجمة: د. عبدالقادر مصطفى المحيشي، [بدون ذكر رقم الطبعة]، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011.
- 04- ليون، جون فرانسيس، من طرابلس إلى فزان، ترجمة: مصطفى جودة، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1976.
- 05- كدينو، حسن بدي محمد، التبو- تاريخهم ولغتهم وثقافتهم، ط1، منشورات الجمعية الليبية للثقافة التباوية، القطرون، 2022.
- 06- كدينو، حسن بدي محمد، قواعد اللغة التباوية، ط1، منشورات الجمعية الليبية للثقافة التباوية، القطرون، 2013.
- 07- كدينو، حسن بدي محمد، قواعد الكتابة التباوية، ط1، منشورات الجمعية الليبية للثقافة التباوية، القطرون، 2013.
- 08- هويدي، سالم محمد عبدالله، الحضارة الجرمية- دراسة في عوامل النشوء والازدهار والانحيار، ط1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010.
- 09- خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، ط1، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2009.

- 10- رولفس، غيرهارد، عبر أفريقيا، ترجمة: د. عماد الدين غانم، [بدون ذكر رقم الطبعة]، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، [بدون ذكر تاريخ الطبعة].
- 11- هورنمان، فردريك، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان، ترجمة: مصطفى محمد جودة، [بدون ذكر رقم الطبعة]، دار الفرجاني، طرابلس، 1993.
- 12- الأفريقي، ليون، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- 13- هيرودوتس، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.

ج- باللغة التباوية:

- 14- Ortman, Mark (Kandamai). 2017. **Daga Tuda**. Ndodurki nduzooi-ĩ. Bordo : Mosko hanadii-ĩ.

ج- باللغة الإنجليزية:

- 15-Watlters, Josiah Keith. 2015. **A Grammar Sketch of Dazaga**, Dallas, USA: Graduate Institute of Applied Linguistics, MA thesis.
- 16- Greenberg, Joseph H. 1966. **The Languages of Africa**. Bloomington: Indiana University. The Hague: Mouton.
- 17- Lukas, Johannes. 1937. **A Study of the Kanuri Language**. London: Oxford University Press.
- 18- C. R. Lepsius. 1963. **Standard Alphabet**. Second edition. London.
- 19-Lang, Margaret and Isabelle Perez, **Modern FRENCH Grammar**, Second Edition, Routledge, London, 2004.
- 20- **Practical orthography of African languages**. 1930. London: Oxford University press.
- 21-Barth, Henry. 1862. **Collections of Vocabularies of**

Central African Languages. part 1.

22-Barth, Henry. 1857. **Travels and Discoveries in North and Central Africa**. Vol II. London: Longman.

د- باللغة الفرنسية:

23- Le Coeur, Charle. 1950. **Dictionnaire ethnographique Teda**. Paris : Larose.

24- Carbou, Henri. 1912. **La Region du Tchad et du Ouadai**, tome premier, étude ethnographiques. Dialect toubou. Paris : Ernest Leroux editeur.

25- Chapelle, Jean. 1957. **Nomades noirs du Sahara**. Paris : Librairie Plon.

26- Walters, Kevin & Inouss Hagar (eds.). 2005. **Lexique tubu (dazaga) - français avec glossaire français - tubu**. Niamey, Niger: SIL International.

27- Brandily, Monique. 1976. **Un chant du Tibesti**. Journal des africanistes, 1976, tome 46, fascicule 1-2.

Jourdan, P. 1935. **Notes grammaticales et vocabulaire de la langue Daza**. London.

ثانيًا-المقالات:

أ- باللغة العربية:

28- أ- كدينو، حسن بدي محمد، التبولوجيا والتبولوجيون، صحيفة صدر زلاء، السنة الأولى، العدد الأولى، 11 سبتمبر 2012.

29- سليم، فكري إبراهيم، الكلمات المركبة في اللغة الفارسية، إيجاءاتها الدلالية وكيفية التعامل معها، ص 1. منشور على النت في:

<http://www.azhar.edu.eg/DesktopModules/EasyDNNNews/DocumentDownload.ashx?portalid=11&moduleid=79193&articleid=20752&documentid=7067> (آخر زيارة 2018/12/27).

ثالثًا-الصحف:

أ- باللغة التباوية:

30- Sodur Zalaã-ã, sagahanu murdomii-ĩ - Ndogudko (4), Lamîš-ã 04 nûhombur 2021, 29 êrbi loon 1443, l 8.

رابعًا-الوثائق والمجموعات التشريعية:

أ - باللغة العربية:

31- قرار الأمين المساعد لشؤون الخدمات رقم (131) لسنة 1430 ميلادية بشأن تقرير تدريس اللغات الأفريقية، غير منشور.

32- الإعلان الدستوري المؤقت، المجلس الوطني الانتقالي، منشورات

الشورى، طرابلس، 2011.

33- قرار وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (437) لسنة 2022م بشأن

إنشاء مركز اللغة التباوية، غير منشور.

ب- باللغة الإنجليزية.

34- Niger's Constitution of 2010. Available online at:

(https://www.constituteproject.org/constitution/Niger_2010.pdf). (Accessed on 27/12/2018).

اللغة في ليبيا من خلال كتب التاريخ والرحلات

د. رضوان عبد الكريم الطاهر عمران (*)

(1)

تمهيد

تحتل اللغات بأهمية كبيرة في التاريخ الثقافي والأدبي لأي مجتمع في العالم، وتؤثر بشكل واسع على الهوية الاجتماعية، خاصة أن أبجديتها وأصوات أحرفها تسرد أحداث الحضارات الأولى والقديمة التي اندثرت معها أو تغيرت مع تبدل القوى الحاكمة في تلك المناطق، التي طرأت عليها العديد من التغيرات والتحويلات السياسية والاجتماعية والدينية، ونتيجة لهذه الحركة حدث تبادل واختلاط لغوي بين الثقافات، الذي من تبعياته اختفاء بعض اللغات بشكل كامل، أو فرض لغات جديدة نتيجة لأسباب مختلفة منها حركات الهجرة، والفتوحات الإسلامية، والاستعمار الأجنبي، كل ذلك ترصده كتب التاريخ والرحلات التي تعد المنظومات المعرفية التي لها تميزها وحضورها في مختلف الدراسات؛ لأنها تشكل مرجعا معرفيا مهما ووثيقة مكتوبة شاهدة على الماضي البشري بأية لغة كانت، تحمل طابع فترة معينة، صالحة للاستعانة بها في مختلف الدراسة.

وهذه الورقة تحاول سبر أغوار كتب تاريخ ليبيا لتستل منها الشهادات الخاصة بتاريخ اللغة في ليبيا مستعينة بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي لتجيب عن الأسئلة التالية: من هم سكان ليبيا الأصليين؟ وما هي اللغة التي كانوا يتحدثون بها؟ وهل هي لغة واحدة أم أنها لغات متعددة؟ وما هي اللغات التي دخلت إلى ليبيا عبر التاريخ؟ وما هي اللغة التي سادت وما هي اللغة التي بادت؟ وما أسباب ذلك؟

(*) قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة طرابلس.

(2)

ليبيا عبر التاريخ

توطئة:

يعد التاريخ لأي أمة هو المرآة التي تعكس وجودها، وهو أحد مقوماتها، وهو أيضا سجل تجاربها، والإنسان بطبعه يلتفت إلى التاريخ دائما؛ كي يتعلم منه خبرة الحياة، يقول الشاعر:

من لم يع التاريخ في صدره لم يدر حلو العيش من مره
ومن وعى أخبار من قد مضى أضاف أعماراً إلى عمره

فمعرفة الماضي كفيلة بفهم الحاضر لبناء المستقبل، والحديث عن تاريخ اللغات البشرية من الموضوعات المهمة في حياة الشعوب لهذا سوف نحاول من خلال هذه الدراسة تلمس تاريخ اللغة في ليبيا مستعينين بأقوال المؤرخين والرحالة الذين تحدثوا عن ليبيا في كتاباتهم أو زاروها أثناء تنقلاتهم ومع قلة الدراسات التاريخية عن تاريخ اللغة إلا أننا سوف نحاول ربط هذه الأقوال لعلنا نظفر بشيء ينير لنا الطريق ويوضح لنا ولو بشكل بسيط هذا التاريخ.

أما اللغة فهي القدرة على اكتساب واستخدام نُظمٍ معقّدةٍ من الاتصالات والتواصل بين البشر، لا سيّما بسبب قدرة الإنسان على استخدام تلك الأنظمة المعقّدة في الاتصال، واللغة المنطوقة هي المقصود بهذا النظام. تُسمّى الدراسة العلميّة للغة باللغويات، واللغة كنظامٍ وُجدت لتساعد الإنسان على التعبير ونقل أفكاره ومشاعره وهمومه إلى الأفراد الآخرين؛ فهي بذلك طريقةٌ قويّةٌ وفَعّالٌ، وهي آية من آيات الله حيث يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَى الْأَنْثَرِ وَأَلَمُّهُ بِاللَّغْوِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾

(1) الروم: 22.

واللغة : هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي نسق من الإشارات والرموز، يشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطًا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني، وهذه اللغة التي يتكلم بها البشر تختلف وتتباين باختلاف أجناسهم وأعراقهم، وقد اختلف علماء اللغة في تعيين سبب تعدد اللغات فمنهم من قال أن اللغة وضعية (أي: إن كل قوم قد اتفقوا على وضع لفظ معين ليدل على مدلول معين) وقال آخرون إن اللغة ربانية وليست وضعية أي أن الله قد ألهم كل قوم لغتهم. وقول آخر يرى أنها محاكاة لما يسمع من أصوات وذلك بتقليد ما يسمع يتعلم اللغة، وغيرها من الأقوال ولكن الراجح إن الأصل في اللغة أن الإنسان مزود بنظام يعطيه على صوغ الألفاظ وهذه القدرة لا تظهر إلا عند الحاجة.

1-2 تاريخ ليبيا القديم قبل 5000 عام، ليبيا عبر التاريخ

كان ظهور الاسم ليبيا وتداوله في النقوش المصرية القديمة ليدل وبوضوح على القبائل الليبية التي كانت تقطن جبل برقة والصحراء الغربية لمصر، فورد ذكرها على لوحة الملك مرنبتاح وكذلك في معبد الكرنك.

من الناحية التاريخية يبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة (ريبو) أو الليبو وتقابلها في اليونانية (ليبوس) مما يقابلها في العربية ليبيا، وورد اسم الليبو أو ليبيا في نقش مصري قديم يرجع إلى عهد رمسيس الثاني (1298-1232) قبل الميلاد وكان يطلق على إحدى الفرق العسكرية التي عملت في الجيش المصري آنذاك وشاركت في الحملات على بلاد فلسطين وسوريا.

من الواضح أن الليبيين هم من اتصل بهم في بادئ الأمر وذلك في عصر الملك رمسيس السادس من الأسرة العشرين ثم انتقل الاسم ليبيا حيث تلقفه الفينيقيون قبل هجرتهم إلى الشمال الإفريقي وعُثر على نقوش فينيقية متعددة ورد بها هذا اللفظ

(ليبيا) وما لبث ان انتقل إلى الإغريق سكان اليونان الحالية وذلك خلال العصر البرونزي .

عرفت ليبيا قديما بما يسمى اليوم المغرب العربي ؛ وهو المنطقة الواقعة من مدية السلوم غرب الإسكندرية إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا، وفي القرن التاسع قبل الميلاد قلص الفينيقيون هذا المدلول فأصبح يطلق على الجزء الشرقي من المغرب العربي ، وبعد أن تم الفتح الإسلامي لبرقة سنة 670م واستقروا فيها أطلقوا اسم ليبيا على المنطقة الممتدة من خليج قابس غربا إلى خليج سرت شرقا مع إقليم بنغازي وفزان، وأطلقوا اسم إفريقيا على ما كان يعرف سابقا باسم ليبيا.

أما الجغرافيون العرب فقد أطلقوا على هذه المنطقة (المغرب) ، أو بلاد المغرب أو جزيرة المغرب، ويقصد بذلك الأرض الممتدة من شرق مدينة السلوم إلى المحيط الأطلسي . يقول ابن خلدون: "وهؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى...وهم سكان المغرب القديم ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره" كما كانوا يطلقون عليها اسم (بلاد البربر) نسبة إلى سكانها الأصليين.

أما المسلمون في مصر والشام فقد قسموا المغرب بحسب قربه وبعده منهم إلى ثلاثة أقسام هي:

1. المغرب الأدنى ويشمل : برقة وطرابلس وتونس وشرق الجزائر.

2. المغرب الأوسط ويشمل: وسط الجزائر وغربها وجزء من شرق

المغرب.

3. المغرب الأقصى ويشمل بقية المغرب وموريتانيا.

وقد استمرت هذه التسمية تطلق على الأقطار الثلاثة حتى القرن العاشر الهجري، وعندما استولى الأتراك العثمانيون على المغرب الأدنى والأوسط قسموهما تقسيما جديدا حسب الدول التي أنشأوها فيها، فانقسم إلى ليبيا وتونس والجزائر كما

هي الآن، وعندما جاء الاستعمار الأوربي واستولى على المغرب العربي أيدوا هذا التقسيم الذي وضعه الأتراك.

أما ليبيا اليوم فهي ذلك القطر العربي الذي يحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب دولة تشاد والنيجر ومالي ومن الشرق مصر ومن الغرب تونس والجزائر.

وأقدم الشعوب الذين سكنوا ليبيا هم البربر فمن هم وما هي أصولهم ولغتهم وهو ما نتعرف عليه في المبحث القادم.

2-2 البربر

لقد وجد البربر بشمال الإفريقي منذ القدم فهم أقدم السلالات التي عمرت الشمال الإفريقي.⁽¹⁾ ولا يعرف وجود بشري قبله بالمنطقة، كما لا يعرف تحديد لتاريخه، وكل ما قيل عن هذا الوجود، ومتى جاءوا إليها وعمروها— في الحقيقة— محض افتراضات لا تصل إلى درجة اليقين، والفينيقيون الذين جاءوا إلى الشمال الإفريقي من شرقي البحر المتوسط، وهم أقدم من وصل المنطقة من المهاجرين الأجانب وجدوا هذه السلالة البشرية معمرة للشمال الإفريقي، ومنتشرة في أرجائه شاغلة له، ولم يجدوا أحد سواها. أما قصة وجودهم في هذا الموطن، وهل هم أصليون أو قدموا من جهة أو جهات أخرى، وتحديد هذه الجهة، فهو حديث تكثر فيه الفرضيات والآراء المختلفة بين المؤرخين ولم يصلوا فيه لرأي موحد.

1. فمن المؤرخين من يرى أن أصل البربر بالشمال الإفريقي، وأنهم لم يأتوا من أي جهة أخرى،⁽²⁾ خاصة وأن السجلات المصرية القديمة عرّفتنا أن أجداد البربر كانوا موجودين بالمنطقة قبل الألف الرابع قبل الميلاد، وأن الرومان هم الذين سموهم بهذا الاسم عندما يؤسوا من فهم لغتهم⁽³⁾.

(1) ج3-ص289. ابن خلدون ج1-ص516 المسعودي.

(2) البربر عرب قدامى ص156.

(3) تونس العربية إحسان حقي

2. وهناك من يقول بأن البربر قدموا إلى بلاد المغرب من الشرق، وأن وطنهم الأصلي فلسطين وسوريا والعراق، وأنهم خرجوا من موطنهم بعد مقتل ملكهم جالوت على يد داود عليه السلام، وتوجهوا إلى المغرب.

3. ومن المؤرخين من يقول: بأن سكان الشمال الإفريقي هم عرب قدموا من جنوب الجزيرة العربية من قبائل حمير اليمنية⁽¹⁾، السامية، وأنهم انتقلوا إلى بلاد المغرب في هجرات عبر باب المندب والحبشة وجنوب مصر والصحراء الأفريقية ومنها إلى الشمال الإفريقي⁽²⁾، يدعم هذا القول ما لاحظته الرحالة ابن بطوطة من وجود تشابه في العادات بين بربر الشمال الإفريقي، وأهل مدينة ضفار في عمان بجنوب الجزيرة حيث قال: "إن أهلها رؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالخلق..."⁽³⁾، وهي ظاهرة سجلها يعقوبي المؤرخ المشهور في القرن الثالث الهجري حيث قال: وبطون هواره تتناسب كما تتناسب العرب"⁽⁴⁾.

ومن المؤرخين من ينسب البربر إلى لحم⁽⁵⁾ وجذام العربيتين الشماليتين رحلوا مبكرة إلى الشمال الإفريقي، واستوطنوا أرض ليبيا والمغرب.

أما ابن خلدون فإنه ينسب البربر (الأمازيغ)⁽⁶⁾ إلى ولد (كنعان بن حام بن نوح) فهم حاميون، وليسوا ساميين، ويرى أن لغتهم البربرية حامية. كما وصفهم موسى بن نصير للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك قائلاً "هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسيةً وسماحةً وبادية"⁽⁷⁾ - ووصفهم الرحالة

(1) أصول البربرية العربية الهادي الزبيبي ص 17

(2) تاريخ الفتح العربي. الزاوي ص 17 .

(3) رحلة ابن بطوطة ص 174 .

(4) العرباوي ص 261 . (البربر عرب قدامى)

(5) النشاط الثقافي في ليبيا ص 16 .

(6) الأمازيغ كما يقول ابن خلدون ج 6 ص 103، 89 تعنى الاشراف الاحرار،

(7) تاريخ ليبيا الإسلامي د. عبداللطيف البرغوثي، ص 97.

الجغرافي العربي ابن حوقل بقوله: "لهم خلق تام وجلد عام في نسائهم ورجالهم"⁽¹⁾ وقال عن المتغربين منهم (أهل البربر): "فيهم من الجلد والقوة ما ليس في غيرهم"⁽²⁾. - ووصفهم المؤرخ "سترابو" قائلا: "والسكان هنا - أي في الشمال الأفريقي - على بساطة متناهية في أنماط حياتهم ، غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاد كثيرون وهم في جوانب معيشتهم كالبدو الرحل"⁽³⁾ - يقول المؤرخ التونسي عثمان الكعاك: إن البربر قدموا من الجزيرة العربية في من لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وإن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية والمغربية في القرن الثاني عشر ق.م، ولما كان الفينيقيون عربا من بني كنعان فقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية⁽⁴⁾ حيث رجعت اللحمه السامية إلى بعضها⁽⁵⁾ ولم يكن التجانس بين العنصرين بالأمر الصعب.

أما المستشرق (كاريت) فإنه يرى أن العرب هم الذين أطلقوا عليهم لفظ (بربر)، أن هذا اللفظ حل محل الليبيين القدامى⁽⁶⁾

يقول العرباوي: "وخلاصة ما أنجز في هذا البحث أن البربر عامة ما هم إلا فرع كبير من تلك الشعوب العربية القديمة التي انتقل إلى المغرب على مراحل ، وانعزل فيه مما ساعده خلال احقاب طويلة على الاحتفاظ ، إن قليلا ، أو كثيرا، بسمات من الصورة التي كانت لأجدادنا ذات يوم في العهود القديمة"⁽⁷⁾

والفرنسيون الذين احتلوا بلاد المغرب (تونس والجزائر والمغرب) قالوا بأن أصل البربر من أوربا، وقد روج لهذه النظرية علمائهم وعسكريهم ومبشريهم فهذا

(1) صورة الأرض لابن حوقل، ص 99.

(2) نفس المصدر، ص 98.

(3) أصول الحرف الليبي الصوبيعي ص 147.

(4) من برنامج محطات بقناة الجزيرة الفضائية.

(5) نفس المرجع ص 28.

(6) ملامح المغرب العربي عبدالمعيم الشرقاوي ص 55.

(7) البربر عرب قدامى العرباوي ص 296.

المستشرق غوستاف لوبن يقارن بين نوعين من البربر، ويصنفهم من حيث السلالة إلى مجموعتين فيقول: "إن المهاجرين السود الشعور قد أتوا من شواطئ الفرات، ومن شمال الجزيرة العربية، أو من مكان أبعد من ذلك، وأما المهاجرين الشقر الشعور الزرق العيون فقد جاءوا من شمال أوربا"⁽¹⁾، كما أن من العرب من يقول بهذا القول، "ومع ذلك لا ننكر أن بعضهم يميل إلى فكرة أنه أوربي"⁽²⁾.

وهناك رواية تقول ان البربر هم عبارة عن خليط من اقوام شرقية مختلفة من كنعان والعماليق أو حمير، وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا. وهي رواية لم تلقى قبولا من المهتمين بالشأن البربري.

3-2 لغة البربر:

عرفت اللغة البربرية كأقدم لغة سادت ليبيا والمغرب يتكلمها عامة الناس من البربر من واحة سيوة وأوجلة في الشرق، إلى زوارة وأكثر الجبل الغربي وجبل نفوسة في الغرب من ليبيا، أما ما يخص أصالة اللغة البربرية فيكاد يجمع رأي المؤرخين على عدم معرفة الأصل الأول للغة البربرية، ولا حتى كيف حلت بالشمال الإفريقي، وإن كان بعضهم يذهب إلى أنها لغة أولئك الرعاة الذين خرجوا من جنوب الجزيرة العربية في الحقب المتقدمة من التاريخ، واستقروا في شمال السودان الخصيب، ثم انزاحوا إلى الشمال الإفريقي عندما حدث التغير المناخي الذي ظهر على أثره الصحراء الإفريقية، وانعزلت البربرية في الشمال الإفريقي واستقرت فيه، مما جعلها بهذا الانعزال والاستقرار تحافظ على خصائصها اللغوية القديمة بشكل يَفْضَلُ غيرها من اللغات، هذا من جانب، ومن جانب آخر تعرضت بسبب هذين العاملين - الاستقرار والانعزال - إلى تنوع داخلي نجمت عنه لهجات كثيرة أو "تنوع لغوي متمايز عن بعضه

(1) النشاط الثقافي في ليبيا د. أحمد مختار عمر ص 17.

(2) سليم قلالة. التغريب، ص 135-137.

ما يزال ماثلاً إلى اليوم تنعدم فيه إمكانيات التفاهم اللغوي بين أصحابه⁽¹⁾. وهناك من يرى أنها لغة موعلة في القدم تعود أولويتها إلى الألف الخامس قبل الميلاد، ولها صلة باللغة الفينيقية خصوصاً، والسامية عموماً، وقد تكون أصل اللغات السامية⁽²⁾ يقول المؤرخ الأمريكي "وليام لانغر": "وتتصل اللغة المصرية القديمة واللغات السامية، ولغات البربر بأصل واحد"⁽³⁾ وهذا المؤرخ الفرنسي "غوستاف لوبن" يقول: "إن لغة البربر العريقة في القدم يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية"⁽⁴⁾. ويقول "جوتيه": "إنه إذا كان البربر قد استوعبوا العربية بسهولة على ما يظهر لأنهم لم ينسوا قط الفينيقية"⁽⁵⁾ ويرى الجنرال "بريمود" في كتابة (البربر والعرب): "إن العربية ذات رحم مع الفينيقية ولذلك أمكن بسهولة أن تحل محلها"⁽⁶⁾. والبربرية تشمل لهجات متعددة متفرعة عن اللغة الأم، وهذه اللهجات منها المشافهة ومنها المكتوبة، وتجمع هذه اللهجات باللغة الأم سمات وخصائص عامة يطلق عليها اسم اللغة البربرية.

وبحكم الانعزال واتساع رقعة الشمال الإفريقي نتج اختلافات كبيرة بين اللهجات البربرية أدت إلى صعوبة التفاهم اللغوي بين مجموعات البربر المتباعدة عن بعضها البعض، فالشليحي مثلاً لا يفهم القبائلي، والاثناني لا يفهمان لغة الطوارق. أما من ناحية تصنيف البربرية أو انتمائها إلى إحدى الأسر اللغوية المتفق عليها بين اللغويين فتختلف فيه آراء اللغويين على النحو التالي:-

أولاً: الفريق الأول من علماء اللغة يرى أن اللغة البربرية تنتمي إلى مجموعة

(1) 167. البربر عرب قدامى

(2) تاريخ افريقيا الشمالية ص78، البربر الامازيغ د.عثمان السعدي ص202.

(3) البربر الامازيغ ص63.

(4) نفس المصدر ص58.

(5) نفس المصدر ص67.

(6) البربر عرب قدامى ص167.

اللغات السامية⁽¹⁾ أو هي فرع منها، وهم بذلك يقولون بسامية الليبيين، ويستندون في تدعيم هذا الرأي إلى مقارنة أجريت بين البربرية مع إحدى الساميات توصلوا من خلالها إلى وجود تشابه بينهما في بعض حروف الحلق "الحاء والعين، والهاء" ووجود في بعض الخصائص الصوتية حيث تقترب البربرية من اللغات السامية في بناء الكلمة من الثنائي والثلاثي، وفي نظام الضمائر وبعض طرق الاشتقاق وقد يرجع بعضهم هذه العلاقة إلى أسباب سياسية كالغزو والفتوحات التي نتج عنها احتكاك بين اللغتين، أدى إلى هذا التقارب، ومنهم من يرجع ذلك إلى الأصول العربية لبعض القبائل البربرية، مثل قبيلتي صنهاجة وكتامة البربريتين ذات أصل العربي.

ومبدأ انتماء البربرية إلى عرب الجزيرة يقوي سامية البربرية لدى هؤلاء العلماء بعدّ البربرية إحدى اللغات العربية القديمة التي هاجرت مبكراً إلى الشمال الإفريقي، فهذا عالم اللغات السامية "أوليتاري" يرى أن انتشار اللغات السامية مع الهجرات قد نجم عنه نشأت لهجات متعددة، في البربرية في نظره، إحدى اللهجات العربية الجنوبية القديمة التي تفرعت عن العربية الأم بالجزيرة، وأن القبائل التي تكلمت اللهجات البربرية انتقلت جميعها إلى شمال إفريقية، وأن في جنوب اليمن قبائل لا زالت تتكلم لغة شبيهة بالبربرية حتى الآن.⁽²⁾

لقد أنكر ذلك عالم الساميات رينان الذي قرر بأنه "لا يوجد تشابه بين أي لهجة بربرية، ولغة سامية مثل التشابه الموجود بين لغتين ساميتين".⁽³⁾

ثانياً: فريق من العلماء يجعل البربرية فرعاً من مجموعة اللغات الحامية التي تضم المصرية القديمة، والقبطية، والصومالية، والإثيوبية، والتشادية، إذ إن غالبية سكان إفريقية يتكلمون بهذه اللغات، واللغويون يَقْبَلُونَ هذا الرأي ويقرّونه، وذلك

(1) أصول البربرية العربية ص 54-55.

(2) البربر عرب قدامى ص 296

(3)

لوجود قدر كبير من التقارب بينهما، وهذا ما اثبتته المقارنات التي أجريت بين البربرية والمصرية القديمة، وهي لغة حامية، حيث تبين وجود شَبَه كبير بينهما في النظام الفعلي، وفي نظامي الجمع والضمائر، ووجود قدر مشترك بين اللغتين في الكلمات البدائية، وفي النظام الهجائي الألفبائي الذي كان شاملا لمصر وكريت⁽¹⁾ إلى جانب الشمال الإفريقي.⁽²⁾ وهو ما أثبتته الاكتشافات الأثرية الحديثة.

إن العام اللغوي سيرجي هو أول من قال بحامية اللغة البربرية حيث قال: اللغة البربرية حامية، وهي قريبة الصلة بالمصرية وغيرها من الحاميات الشرقية .

4-2 الطوارق

الطوارق اسم لمجموعة قبائل بربرية تسكن في الصحراء. وقد جاء الاسم من جمع طارقة وهم من البربر ومن نسل الجرمانتيين الأقدمين، يسكنون الصحراء الليبية ويعرفهم ابن خلدون بالمشمين، ويعزوهم إلى صنهاجة القبيلة العربية اليمنية ، وقد خرجوا من اليمن مع أفريقش لفتح إفريقيا ، وتعرف لغته بالتوارقية، وهي إحدى اللهجات البربرية، وتسمى "التماشق"، وتسمى حروفها "التيفيناغ"⁽³⁾ ومن قبائلهم المشهورة: لمتونة، ولها الرياسة عليهم ، وأزقر، وهقار، وفوغاس، ويسكنون المناطق الجنوبية الشرقية من ليبيا ، ومنهم القبائل التي تسكن واحات تازربو، والكفرة، وربيانة، وشريمة "مجموعة واحات الكفرة" ويتحدثون لغة التبو وهي لهجة من اللهجات البربرية المتعددة.⁽⁴⁾ كان من أهم الاختلافات التي أوردتها المصادر، هو تحديد تاريخ تواجد الطوارق في منطقة الصحراء الكبرى، إلا أن أغلبيتها اتفقت على أن تاريخهم في المنطقة يعود إلى آلاف السنين وبعضها يحدده بعشرات المئات من

(1)

(2)

(3) مقتبس من أصول الحرف الليبي، الصويحي ص 147-148.

(4) ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين بازامه ص 65.

السنين قبل الميلاد بل آلاف السنين قبل الميلاد⁽¹⁾

5-2 التبو

ويدشير المؤرخون إلى أن (التَّبُو) قبائل بدوية تحمل هوية مختلطة زنجية وعربية، ولم يتوصل أي من المهتمين بدراسة الأعراق والأجناس إلى هوية محددة لتلك القبائل، نظرًا لتنوّع مجتمعاتهم وتباينها فيما بينها، جغرافيًا وثقافيًا، إذ استوطنوا الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى الأفريقية، على امتداد الجزء الجنوبي من ليبيا والأجزاء الشمالية والغربية الوسطى من تشاد، وشمال شرق النيجر وأقصى شمال غرب السودان⁽²⁾، أما هيرودوت في كتابه (تاريخ هيرودوت) فقد تطرّق إليهم فنسبهم إلى المجموعة الزنجية الإثيوبية أو الحبشية، وحدّد مواطن سكنهم من فزان في ليبيا مرورًا بتشاد وصولًا إلى النيجر، مع امتدادات محدودة في الدول المجاورة خاصة السودان وأفريقيا الوسطى، وفي الوقت الذي يصنّف فيه الأمازيغُ التَّبُو على أنهم عرب، يعتبرهم العرب زنوجًا، فيما يصنفهم الزنوج عربًا.

يتحدث التبو عددًا من اللغات لكن اللغة الأكثر انتشارًا هي التباوية والتي تعتبر واحدة من أعرق اللغات في ليبيا، ويتحدث بها المنتسبون للقبيلة واللغة التباوية لغة قديمة جدًا؛ إذ تمتد جذورها إلى آلاف السنين، فلقد أشار إليها المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوت عند معرض زيارته لليبيا، وهي تنتمي إلى الفرع الغربي لعائلة اللغات النيلية الصحراوية؛ إذ تلتقي مع اللغة الكانورية في جذورها الكبرى، والتباوية لغة لها تقاليد أدبية عريقة بقيت محتفظة بها طيلة آلاف السنوات من عمرها، يتوارثها ناطقوها رغم بقائها شفوية فترة طويلة.

أما من حيث خصائصها فاللغة التباوية تعتبر من اللغات الإلصاقية كالإنجليزية والفرنسية، وهذه الخاصية تعطيها مقدرة كبيرة جدًا في خلق ألفاظ ومصطلحات

(1) ص 32. - الطوارق الشعب والقبيلة، همام هاشم الالوسي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، طص: 2010، 1

(2) - <https://www.noonpost.com/content/29847> - (2)

جديدة وبالتالي مواكبة الحياة والتطورات التي تلحق بها. ونظراً لاتساع الرقعة الجغرافية التي تنتشر فيها التباوية وتعدد الأقاليم التي يتحدث سكانها بها فإنها قد انقسمت إلى لهجتين : تُدْغا " Tudaga ودرْغا "Dazaga، الأولى يتحدث بها سكان فزان والكفرة وكوار وتبستي وجزء من سكان الصحراء، بينما يتحدث بالثانية سكان بوركو وإنيدي وكانم والجزء الأكبر من سكان الصحراء وجزء بسيط من سكان الكفرة، رغم انقسام التباوية إلى لهجتين إلا أن هناك تفاهماً تاماً بين الناطقين بها، والاختلافات الموجودة بينهما طفيفة جداً، انقسام التباوية إلى لهجتين ليس نقصاً فيها فهذه الظاهرة معروفة في كل لغات العالم.

ولقد إحتلت اللغة التباوية مكانة متميزة في نظر الباحثين والمستشرقين المنصفين الذين عرفوا خصوصيتها وراعهم قيمتها وجمالها، كالباحث الأمريكي "مارك اورثمان" الذي قال: ("قَلَّ مَنَّا نحن الغربيين مَنْ يُقدِّر اللغة التباوية حق قدرها، من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيت مختلفة، قد نمت إلى أن أصبحت لغةً مدنية بأسرها، بعد أن كانت لغة قبلية، لقد كانت للغة التباوية ماضي مجيدٌ، وسيكون لها مستقبلٌ زاهر"). ويضيف اورثمان أيضاً : (إن للغة التباوية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، بل ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليها في الماضي، وبنو عامر بطن من بطون لواته البربرية وجميلة اسم لبطن من بطون كاتمة، وحمزة قبيلة من زناته، والقبائل "مخففة الهمزة" جمع قبيلة اسم عربي يطلق على بربر أطلس بالثر⁽¹⁾ "والحق الذي لاينبغي العويل على غيره في شأنهم، (أي البربر) أنهم من ولد كنعان بن حام⁽²⁾ بن نوح". ويترتب على ذلك لغتهم حامية .

زواغة: قبيلة من البربر البتر تقع غربي مصراته ، وهي أطلال الان، وما زالت رسومها تحمل اسمها بين الأهالي حتى الآن. -زناته: مجموعة قبائل القسم الرئيسي منها وهم "بنو يفرن" توجد في قبيلتين: "زواره، وزواغة" كما يوجد منهم بنو دمر في

(1)البربر عرب قدامى. العرابوي ص 248 .

(2) مقدمة ابن خلدون، ط أولى، بيروت، ص 38-48.

غماطة "قماطة" وبنو رسفان في زوارة، وبنو مفر، وبنو بازين، وبنو نوجين في مناطق طرابلس ومسلاته، ومنهم بقية في فزان ، وفي الصحراء مع بعض طوائف صنهاجة وأصول القبيلة عربية⁽¹⁾.

(1) طرابلس الغرب ص125.

(3)

اللغة الفينيقية

وقد وجدت في الشمال الإفريقي إلى جانب البربرية السائدة لغات أخرى أقل انتشارا من البربرية، واقتصر وجودها على المدن الساحلية، وهي لغات الطبقة الحاكمة من المستعمرين القادمين من الساحل الأوربي وغيره، تمثل هذه اللغات المحدودة الانتشار جزرا لغوية وسط اللغة البربرية، ومن هذه اللغات: اللغة الفينيقية، وهي لغة سامية حيث جاء الفينيقيون من سواحل الشام وفلسطين في مراكبهم التجارية، وأنشأوا مدينتهم قرطاج على الساحل التونسي، وتربطهم بالبربر إلى جانب العلاقة التجارية علاقة الانتماء للأصل الواحد السامي

عرف الكنعانيون الذين سكنوا ساحل سوريا الشمالي باسم الفنيقيين، أطلقه عليهم الإغريق وعرفوا بعد 1200 ق.م ، وإن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية المغربية، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولما كان البونيقيون عربا من بني كنعان فقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية والذي يؤكد هذه الحقيقة أن مدينة سوسة التونسية كانت تسمى [حضر موت]، فقد ذكرها بهذا الاسم المؤرخون الرومان عندما رسا بهم القائد القرطاجي [حنا بعل] بجيشه العائد به من إيطاليا سنة 202 قبل الميلاد، يقول يويتن: "أن الفنيقيين خرجوا من بلادهم بسبب زلزال، وأقاموا في البداية على بحيرة سوريا ثم استقروا بعد ذلك على ساحل البحر المتوسط "

كانت بالمغرب العربي قبل الإسلام لغة عربية فصحي مكتوبة هي البونيقية الكنعانية ولهجات دارجة شفوية بربرية منحدره من العربية العاربة القحطانية، لقد كانت الكنعانية لغة الحضرة والعبادة والثقافة والدواوين. فموسوعة يونيفارساليس الفرنسية تقول: صارت اللغة البونيقية اللغة المشتركة لا يحدث بها القرطاجيون فحسب، لكن يتكلم بها سائر سكان المدن، بل كانت لغة الملوك الأفارقة أنفسهم

مثلما تشهد علي ذلك العملة المضروبة في عهد ماسنيسان وسيفاكس كما يقول حجاوي أن اللغة التي يتكلم بها السكان الفينيقيون هي الفينيقية ، ويطلق عليها اسم البونية، وتقع على الساحل التونسي، ولعة قرطاجة فينيقية متأثرة بلهجة مدينة صور... ويقسم تاريخ اللغة الفينيقية إلى مرحلتين: مرحلة البونية ومرحلة البونية الحديثة ، ولقد حدث صراع بينالرمان والفينيقيين على مدينة قرطاج في القرنين الرابع والثالث ق.م ولكن روما قضت عليها وخضعت البونيون للرمان، فتأثرت اللغة البونية الجديدة باللغة اللاتينية.

ولكن اللغة الفينيقية مع مرور الزمن أخذت في التغير، وأصابها شيء التحريف وذلك راجع إلى اختلاط القادمين الجدد بالسكان الأصليين واتجهت إلى تكوينها لهجات مختلفة عن اللغة الأصلية حتى أصبحت تعرف باللغة البونية واستمرت اللغة البونية كلغة ثقافة مكتوبة منذ خروج الامازيغ من العصر الحجري الأخير علي يد الفينيقيين، الى يوم وصول العرب المسلمين الفاتحين. وقد استمرت لغتهم موجوده ومتداوله حتى الفتح الإسلامي، ثم جاءت اللغة اللاتينية لغة الفرنجة وأتباعهم من الروم المستعمرين للشمال الإفريقي، وهاتان اللغتان رحلتا عن ليبيا برحيل المستعمرين بعد الفتح الإسلامي لها الذي بدأ سنة 21 هـ ولم يبق لها أي أثر يذكر.

المعني هذا كله ان اللغة البونيقية كانت قبل الفتح الإسلامي تقوم بنفس الوظيفة التي صارت تقوم بها اللغة العربية بعد فتح وان دخول العربية المستعربة مع الإسلام جاء ليخلف اللغة العربية القديمة الكنعانية بأسلوب تطوري طبيعي، من لغة عربية قديمة الي لغة عربية حديثة طورها الإسلام وقد قام الدكتور علي فهمي خشيم بدراسة تحليلية للقراءتين وخرج بقراءة عربية وعروبية سليمة، خلال النص القرطاجي لنثبت عروبة وعربية الكنعانية التي كانت اللغة الفصحى قبل الإسلام بالمغرب العربي وقد حدد تاريخ النقيشة محمد المختار العرباوي بسنة 139 ق.م في

عهد الملك مكوسان بن ماسنيسان والذي يؤكد عربية وعروبية الكنعانية من آثار الكنعاني الثقافي بالمغرب العربي، كتابة التيفيناغ وهي الكتابة الفينيقية التي استعملها الطوارق وحافظوا عليها مع تحريفهم لكثير من حروفها، ولا زالوا يستعملونها حتى الان بأسلوب بسيط يفرد الباحث اللغوي الانجليزي باتس فصلا في كتابة عن التشابه بين حروف التيفيناغ وبين الكتابة الفينيقية، ويتصل الى أن التيفيناغ فينيقي، كما يدخل الابدجيتين في إطار الحرف المسماري التي تنحدر منه الابدجية العربية والكتابة السامية [العربية] بصورة عامة

كان الوضع الثقافي قبل الفتح يشبه الوضع الثقافي بعده لغة عربية هي الكنعانية [البونيقية] مكتوبة تسطير على الحضر والعبادة والثقافة المنظمة، ولهجات شفوية امازيغية عربية عاربة تدور حولها في الريف. وبعد الفتح حلت عربية قريش التي اتى بها القرآن الكريم محل العربية الكنعانية [البونيقية].

(4)

اللغة العربية

اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، فاللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون. ويقول الثعالبي: "ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم."⁽¹⁾ وهي لغة القرآن المجيد يقول المولى جل جلاله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾⁽²⁾.

كما يقول أحد الشعراء:

أسمى اللغات ربيبة القرآن	هام الفؤاد بروضك الريان
أو أستعير مترجماً لبياني	أنا لن أخطب بالרטانة يعربا
ولأنت أمي والدي وكياني	أودعت فيك حشاشتي
فتوضعت عبقاً على الأكوان	لغة حباها الله حرفاً خالداً
وتسيل شهداً في فم الأزمان	وتلألت بالضاد تشمخ عزّة

يقول عنها المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً

(1) فقه اللغة، الثعالبي: ص15

(2) سورة الشورى: الآية: 7.

من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة." ويقول المستشرق الأمريكي وليم ورل: "إن اللغة العربية لم تتقهقر فمضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي وللغة العربية لين ومرونة يمكنها من التكيف لمقتضيات هذا العصر"، فأبشروا أهل تلك اللغة التي لا تقهر ولا تتقهقر.

ومن أجمل ما قيل عن سعة اللغة العربية ما قاله المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدًى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أُجِّل لهم أن يستعملوه في صلاتهم".

وقال الأستاذ ميليه: "إنّ اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوروبية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبین، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها؛ أي أنهم أرادوا بها كيداً فوجدوا من ريجها وطيبها وعطرها.

وقال الفرنسي جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية".

أما عن دخول اللغة العربية إلى ليبيا فقد كان على يد الفاتحين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية بقيادة عقبة بن نافع سنة 23هـ وانتشرت العربية بين السكان كما انتشر الدين الجديد وكان وراء هذا الانتشار السريع أسباب منطقية نذكر منها.

(5)

أسباب انتشار اللغة العربية بين الأمازيغ

- الدين الإسلامي يهدف إلى نشر التوحيد، وإعلاء كلمة الحق ورفع الظلم ونشر الأخلاق الفاضلة بين الناس الأمر الذي كان له بالغ الأثر في نفوس معتنقيه فأقبلوا عليه بحب وإخلاص ودخلوه بقناعة تامة فرضتها حسن معاملته الفاتحين وكان لزاماً على من يدخل هذا الدين أن يتعلم اللغة التي يتعبد بها.
- كثرة المساجد والزوايا ومجالس العلم،⁽¹⁾ حيث كان لها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة وتفقيه الناس في دينهم وفي نشر اللغة العربية بين البربر.
- كان لاستتباب الأمن والاستقرار الذي قام به حسان بن النعمان في أفريقيا بعد مقتل الكاهنة البربرية، وطرد الروم من أفريقيا نهائياً الدور البارز في انتشار اللغة العربية.
- كذلك الإصلاحات التي قام بها في فترة حكمه من عام 77 هـ إلى عام 86 هـ التي منها:

- قطع العلاقة بين الكنيسة والكاثوليكية بروما
- دَوْن الدواوين وجعل ديوان اللغة العربية في الحكومة هو الرسمي
- وزع الأراضي على فقراء البربر فازداد البربر رغبة في الإسلام
- أقر المالكين في أملاكهم، وألزم كل قبيلة زراعة أرضها ودفع زكاتها أو خراجها
- لبيت مال المسلمين
- عَيّن القضاة للنواحي لحل مشاكل الناس
- عمم اللغة العربية كلغة تفاهم وكتابة رسمية في الدولة، فلا تقبل الرسائل والشكاوي إلا بها

(1) النشاط الثقافي ص 58.

— عمل على تعليم البربر وتفقيهم في أمور دينهم، وإنشاء المساجد في المدن والقرى وهكذا لم تمر فترة نصف قرن أو بضعة أجيال حتى صار أغلب البربر من حدود ليبيا الشرقية وحتى شواطئ الأطلسي مسلمين يتحدثون العربية ويكتبونها وسبب ذلك رسالة الإسلام ذات المحتوى الروحي المحب لنفوس الشعوب القبلية هذا من جانب، ومن جانب آخر عندما حل المسلمون ببلاد المغرب بثقافتهم، لم تجد الثقافة العربية الوافدة أن البيئة الثقافية السائدة بين البربر غريبة عنها، بسبب محافظة البربر على عناصر وممارسات ثقافة فينيقية⁽¹⁾ بينهم، كما أن الهجرات العربية كان لها الدور الكبير في رسوخ اللغة العربية وانتشارها بين السكان، فقد جاء العرب إلى ليبيا في ثلاث هجرات متتابعة كان لها دور أساسي وفعال في نشر الإسلام واللغة العربية في أرجاء البلاد، وتحويل البربر من وثنيين يتكلمون البربرية إلى مسلمين ينطقون بالشهادتين، ويؤدون فرائض الإسلام ويتكلمون العربية بطلاقة كعرب الجزيرة أو كمنادرة الحيرة وغساسنة الروم، وتتمثل هذه الهجرات في:

الهجرة الأولى:

وهي الهجرة التي ابتدأ بها الفتح العربي لليبيا والمغرب، وهي عبارة عن الاف من الجنود قدموا من الجزيرة العربية مباشرة من اليمن والحجاز وأغلب القبائل العربية، ودخلوا برقة في أول مرة في جيش الفتح بقيادة عمرو بن العاص سنة 21 هـ وانتشروا غربا وجنوبا، ثم اختلطوا بسكان البلاد من البربر، وكانوا أسراً اختلطت فيها الدماء السامية بالحامية، وكان هؤلاء الجنود هم النواة الأولى والقاعدة المتقدمة للعرب والمسلمين في ليبيا، التي انطلق منها جنود الفتح لبلاد المغرب لنشر الإسلام واللغة العربية فيها⁽²⁾.

الهجرة الثانية:

(1) 135. اقطار المغرب العربي ص 67، البربر ص

(2) ملامح المغرب العربي ص 26.

هجرة بني سليم وهلال ورياح إلى ليبيا والمغرب: وتمثل هذه الهجرة أكبر حدث في تاريخ ليبيا والشمال الإفريقي عامة بعد الفتح الإسلامي، وقد جاءت الهجرة بأمر المستنصر الفاطمي في منتصف القرن الخامس الهجري ومما ساعد في استيطان العرب للبييا لأنها تمتاز باتساعه أراضيها وكثرة خيراتها ومراعيها وقلة ساكنيها لذلك فضلت القبائل العربية المهاجر استيطانها، وكان من هذه القبائل مثلاً سليم وغسان ولخم وجذام والأزد ورياح وتجب وصدف من أهل اليمن وغيرهم من بطون العرب⁽¹⁾ يقول المقرئ عن سليم: "مساكنهم مما يلي مصر، وكانت في عالية نجد بالقرب من خيبر، ثم تحولوا إلى مصر وإفريقية، ولم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم، وصار لهم بإفريقية عدد عظيم"⁽²⁾ - وكان لاختلاط القبائل والبيوت العربية مع البربر اثر في تعريب هذه القبائل الأمازيغية التي أقام المهاجرون العرب بينها، وحصل تزاوج بين الأسر العربية والامازيغية بحكم الجوار، فنشأ جيل من المولدين يدين بالإسلام ويتكلم العربية.

الهجرة الثالثة: هاجرت فيها مجموعة من عرب تميم من القسم الشرقي من ليبيا، وقد تمت هذه الهجرة سنة 550 هـ على يد تميم حميد بن جارية، حيث نقل إلى تاجورة مجموعة من عرب تميم سكنوا أرض "عبد رب"⁽³⁾، ومن هذا السرد يتضح أن القبائل العربية المهاجرة انتشرت في القسم الشمالي من ليبيا انتشاراً واسعاً واستوطنته، واختلطت بالبربر اختلاطاً تاماً نتج عنه:

- فقدان البربر للغتهم البربرية، وزيمهم الخاص بهم وعاداتهم وتقاليدهم، وصاروا مثل العرب.
- ظهور جيل مختلط بالدماء (عرب بربر)⁽⁴⁾ بسبب التقارب بين العرب والبربر.

(1) معجم البلدان الليبية الزاوي مادة برقة.

(2) البيان والإعراب، مقتبس الزاوي مادة برقة ليبيا في كتاب التاريخ والسير ص24.

(3) معجم سكان ليبيا ص245، 152، 291.

(4) ص52.

- إن العنصر العربي أصبح هو العنصر الغالب على الحياة في ليبيا بعد هجرة القبائل العربية إليها.

- كان للغزوة الهلالية فضل كبير في تعريب البلاد، وتخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية.⁽¹⁾

فكان لهذه الهجرات الأثر الكبير في تثبيت الإسلام ونجاح عملية التعريب. ولقد جاءت اللغة العربية إلى موطنها الثاني مع القبائل العربية التي اندمجت مع البربر سكان البلاد الأصليين، وتعايشوا معهم، فتعرب البربر، وانتشرت بينهم اللغة العربية، وأصبحوا يتكلمونها بطلاقة، وأصبح من العسير تمييز العنصر البربري من العنصر العربي، ونسوا رطانتهم وعاداتهم وزيمهم، واستبدلوها بزي العرب وعاداتهم⁽²⁾، ولم يستن من ذلك إلا طائفة من البربر انعزلت في المرتفعات الوعرة، أو في الصحراء واحتفظت بنقاوة جنسها ولهجتها البربرية مكونين ما يشبه الجزيرة اللغوية⁽³⁾. ولقد وصف هذا الواقع اللغوي الذي آلت إليه البلاد بعد الفتح مجموعة كبيرة من المؤرخين والرحالة والمستشرقين نذكر منهم

ومن المستشرقين يقول جوستاف لوبون: "تمت تلك الهجرة ببطء، وملأ العرب شمال إفريقيا بالتدريج، فقد جاوز العرب طرابلس الغرب بعدما مكثوا بها سنتين، وزحفوا خطوة، وولجوا الأودية جماعات على مهل، واختلطوا بالسكان رويدا رويدا، وزاد عددهم شيئا فشيئا، وفرضوا، بفضل كثرتهم على البربر عاداتهم ودينهم ولغتهم بعد بضعة أجيال، ولم يتركوا لأمرأ البربر سوى سلطة وهمية، ولم ينفلت من نفوذهم إلا القبائل التي دحرت إلى الجبال، وبعض البقاع الجنوبية"⁽⁴⁾.

وأصبحت فصاحة سكان ليبيا وخصوصا برقة ماثار انتباه وإعجاب كبيرين من الرحالة المارين بأرض ليبيا، فهذا العبدري البلنسي يعجب بفصاحة عرب برقة، وراها ظاهرة تستحق التسجيل حيث يعلل ذلك بقلة ورود الناس عليهم، فيقول في

(1) البربر الامازيغ ص 140.

(2) ص 53.

(3) النشاط الثقافي في ليبيا ص 88.

(4) حضارة العرب ص 257.

رحلته⁽¹⁾: "وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضا فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم الان على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا مالا قَدَّرَ له، بالإضافة إلى ما يعربون، وقد سألت بدويا لقيته يسقي إبله على ماء يقال له أبو شمال: هل نمر عليه... فقال لي: نعم تطأون أبا شمال وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول، وليس في المغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك، ومررنا بأطفال منهم يلعبون، فقال لنا واحد منهم : يا حجاج معكم شيء تبيعونه، أثبت النون وسكن الهاء للوقف، ورأيت أعرابيا منهم قد ألحت عليه امرأه تسأله عن طعام معه فقال لها والله ما تذوقينه، فأتى بضمير المخاطبة على وجهه وأثبت النون وسكن الهاء، وسمعت شخص ينشد في الركب مكرياً راحلة يقول: من يكري زاملة؟ فسمعه بدوي فقال له أعندك الزاملة؟ فقال: نعم، قال فلا تقل من يكري، وقل من يستكري، وسمعت صبيا منهم ينادي في الركب يا حجاج من يشتري الصفيف؟⁽²⁾ فلم يفهم عنه أكثر الناس، فقلت له: اللحم معك؟ قال: نعم، وأبرز لحم طبي مقدد ... وسألت شخصا عن ماء هل هو معين⁽³⁾؟ فقال لي هو غدق⁽⁴⁾ ... وما يتكلمون به من الغريب أكثر من ان يحصى..."⁽⁵⁾ وكذلك الحشائشي التونسي يصف فصاحة سكان الجبل الأخضر فيقول: "أعراب بادية لسانهم طلق فصيح بالعربية"⁽⁶⁾، ويقول ابن خلدون متحدثا عن أثر العرب في البربر لغة وعادات وانتسابا: "وقد تبدؤا معهم -أي مع قبائل بني سليم- ونسوا رطانة الأعاجم، وتكلموا بلغة العرب، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم"⁽⁷⁾ وقال عن هوار

(1) بدأ العبدري رحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 688.

(2) ص 55.

(3) الماء السائل على وجه الأرض .

(4) الماء الغدق. الكثير.

(5) الرحلة المغربية ص 82.

(6) رحلة الحشائشي، ص 98.

(7) ابن خلدون، ج 6 ص 116 مقتبس من تاريخ ليبيا ص 152.

البربرية: "صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم وجبالهم، وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها فصاحة العرب فلا يعاد يفرق بينهم".⁽¹⁾

واستمر انتشار اللغة العربية في سائر المناطق الامازيغية من الزيريين والحماديين والزيانيين وغيرهم. وكان قمة الإنجاز الامازيغي العربي الفية زين الدين بن معطي الزواوي، فقد نظم قواعد اللغة العربية في ألف بيت بالقرن الثاني عشر الميلادي سابقا ابن مالك في الفية بقرن. وقد اعترف هذا الأخير بفضل ابن معطي، فقال:

وتقتضي رضا بغير سخط فائقة الفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

أما الوضع اللغوي الذي ساد منذ الفتح وحتى دخول الفرنسيين سنة 1830م فخير من يلخص ذلك هو المؤرخ التونسي عثمان الكعاك، يقول فقد حمل الفاتحين العرب معهم اللغة والدين ممثلين في القرآن الكريم، الذي هو قوام دين، ودستور وسياسة، وبحر اخلاق، وقاموس لغة، ديوان ثقافة لذلك بني الفتح علي الثقافة في يوم الفتح نفسه⁽²⁾

(1) (المنجد في اللغة، ص 792 مادة نجع) وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 104. ليبيا في كتاب التاريخ والسير، ص 136.

(2) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة بالمغرب العربي. القاهرة 1958 ص (14/12).

(6)

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على صاحب المعجزات فبعد هذا التطواف وصلنا بهذا البحث بفضل الله إلى النهاية لنسجل لكم أهم النتائج التي توصل لها وهي على النحو التالي:

• ليبيا اسم لرقعة من الأرض اختلفت مساحتها وامتدادها وتسمياتها عبر التاريخ.

• اختلف المؤرخون حول من هم سكان ليبيا الأصليون ولكن القول الراجح هم البربر الأمازيغ.

• كما اختلفوا في أصل لغتهم بين العربية القديمة والعروبية والكنعانية.

• قبائل البربر تتكلم لهجات مختلفة حتى يصل الأمر إلى عدم فهم بعضهم بعضا.

• الكنعانيون سكنوا ليبيا والبربر اختلطوا معهم وأتقنوا لغتهم وتكلموا بها زمنا طويلا.

• اللغة العربية دخلت ليبيا مع جيوش الفتح الإسلامي.

• إن اللغة العربية انتشرت بسرعة بالمغرب العرب لأنها وجدت الناس يتكلمون لهجات أمازيغية عربية عارية بالريف، ويتكلمون بالحضر اللغة الكنعانية التي هي عربية مكتوبة ويتعبدون بها، ويمارسون بها حياتهم الثقافية الرسمية.

• كان لتعاليم الدين السمحة والمعاملة الحسنة من قبل الفاتحين دور كبير في انتشار اللغة العربية وتعلمها.

• كان للمساجد والمدارس دور في نشر اللغة العربية بين الليبيين.

• اللغة العربية ما زالت شائعة في ليبيا بشموخ جبالها ولا زال سكان ليبيا يتكلمون بها إلا أن هناك لهجات ولغة دارجة فرضتها الظروف التي مرت بها البلاد من استعمار واختلاط بأجناس أخرى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أصول البربرية العربية. الهادي الزريبي. التعااضدية التونسية للطباعة والنشر. ط أولي 1987م
- أصول الحرف الليبي. عبدالعزيز الصويغي. ط أولي. مصراته. اعلام المغرب العربي.
- البحث اللغوي عند العرب. د. أحمد مختار عمر، دار المعارف 1971.
- البربر الامازيغ. عثمان السعدي. ط أولي. الملتقى. بيروت 1998
- البربر عرب قدامي. محمد مختار العرباوي. الرباط المغرب. 1993
- الحضارة الاسلامية في المغرب. الحسن السائح. دار الثقافة والنشر والتوزيع الدار البيضاء. ط. 2. 1986ف.
- الحضارة الفينيقية في ليبيا ز عبدالحفيظ الميار. ط أولي. دار الكتب بنغازي 2001ف
- النشاط الثقافي في ليبيا. د. أحمد مختار عمر. ط أولي. دار الكتب بيروت 1971م
- تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن خلدون. ط ثانية. دار الفكر بيروت 1998م
- تاريخ إفريقيا الشمالية. شارل اندري جوليان. ترجمة محمد امزالي واخر. الدار التونسية 1989م.
- تاريخ الفتح العربي في ليبيا. الطاهر أحمد الزاوي. ط ثانية. دار المعارف 1963م.
- تاريخ المغرب الكبير. محمد علي دبوز. ط أولي. الحلبي. 1963م. - تاريخ

ليبيا .من الفتح العربي حتي مطلع القرن التاسع الهجري . د إحسان عباس . دار ليبيا للنشر والتوزيع

- تاريخ ليبيا الاسلامي .. عبد اللطيف البرغوثي . ط اولي بيروت .1971م
- رحلة التجاني . تقديم حسن حسني عبد الوهاب . ط تونس 1958م
- رحلة الحشائشي . تحقيق علي مصطفى المصراقي . اولي . بيروت 1965.
- رحلة العبدري . تقديم أحمد بن جدو . قسنطينة الجزائر .
- رحلة ابن بطوطة . شمس الدين ابن بطوطة . دار صادر بيروت 1964م
- طرابلس الغرب . محمد ناجي . دار مكتبة الفك . طرابلس . 1973م .
- فتح مصر والمغرب . ت عبد المنعم عامر وغيره . ط لجنة البيان العربي .
- قادة فتح المغرب العربي . محمود شيت خطاب . ط أولى . 1966م .
- ليبيا في كتب التاريخ والسير . إحسان عباس . دار صادر . بيروت . ط . أولى 1968.
- ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات . محمد يوسف نجم . دار ليبيا للنشر .
- ليبيا في عهد الخلفاء الرشيديين . محمد مصطفى بازامة . دار الكتب . بيروت . 1979م .
- مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون . ط 2 . دار الكتاب . بيروت . 1961م .
- ملامح المغرب العربي . عبد المنعم الشرقاوي وغيره . ط 1 . الاسكندرية 1959م .
- نزوح العرب إلى شمال افريقيا . مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مايو . 1984
- نشأة الكتابات وأشكالها عند الشعوب . أحمد هبو . ط 1 سوريا . 1984.

الواقع اللغوي للجنوب الأدنى من ليبيا قبل الفتح الإسلامي

تأصيل لبعض الألفاظ المتداولة في المنطقة لغوياً

د. رجب علي رجب دومة (*)

(1)

أبعاد الدراسة

1-1: توطئة

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل وسيلته لذلك القلم، فقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١-٥]، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فإن من أهم ما أخذته المجامع اللغوية على عاتقها بعد العناية باللغة العربية، والمحافظة على سلامتها، والاهتمام بنشرها وتعليمها، هو البحث في جذور اللغات، والتأصيل اللغوي للهجات المنتشرة في الوطن العربي مما يضيف ثراء على اللغة العربية الفصحى، وقد يُصحح فرضيات يظنها بعض الناس نظريات علمية مكتملةً وصحيحة، ومجمع اللغة العربية في ليبيا أخذ زمام السبق في هذا المجال اللغوي الدقيق، فألقى على عاتقه الاهتمام باللغات السائدة في منطقة شمال أفريقيا بأسرها، فكان مبرزاً في هذا المضمار من بين مجامع اللغة العربية في الوطن العربي يقول أشرف فتحي: "وباستثناء الدكتور خشيم ومجمعكم الموقر، فإن المشتغلين باللغة العربية من مؤسسات وأفراد في الوطن العربي - بما في ذلك مصر - وفي غيرها لم يولوا هذا المجال لزمن طويل ما هو جدير به من اهتمام، فتصدر المعاجم العربية وهي تكاد تخلو من أي إشارات مقارنة إلى المصرية أو غيرها من الروافد اللغوية القديمة" (1)، ويظهر ما

(*) كلية التربية - جامعة الجفرة.

(1) أشرف محمد فتحي، محاولات التقريب بين المصرية القديمة والعربية (الاتجاهات والمناهج)، ليبيا، مجلة مجمع اللغة العربية - طرابلس، العدد (2)، 2004م، ص 183.

سجله فتحي جليا في كتب المرحوم الدكتور علي فهمي خشيم ودراساته المتوالية حول عروبية اللغات القديمة لشمال أفريقيا، ككتابه الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية،⁽¹⁾ وكتاب سيفر العرب الأمازيغ⁽²⁾.

ولم يكتف المجمع بإخراج الكتب فقط بل عقد الندوات التي تصب في هذا الاتجاه من اهتمامات المجمع باللغات المنطوقة والمكتوبة في المنطقة الليبية خصوصا، وشمال أفريقيا عموماً، فبادر إلى عقد ندوات متعددة كالندوة المعنونة — (النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب)⁽³⁾، والندوة التي نظمها مجمع اللغة العربية في ليبيا بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية بعنوان الجذور المشتركة للحضارات العروبية القديمة⁽⁴⁾.

وفي هذا السبيل مازال مجمع اللغة العربية في ليبيا يشق طريقه بكل ثقة ممارساً دوره العلمي والثقافي المناط به، فكان من مظاهر هذا الدور عقد هذه الندوة المهمة بتاريخ اللغة في ليبيا، وصار من ثمار التفاعل مع هذه الندوة ولادة هذا البحث الذي قد يكون رافداً من روافد هذه الندوة، حيث يسعى إلى تغطية جانب يغلب في ظن الباحث أهميته وارتباطه بالمحور الأول من هذه الندوة الحامل لعنوان: اللغة في ليبيا عبر العصور التاريخية، فكان عنوان هذه الدراسة مهتماً بالواقع اللغوي للجنوب الأدنى من ليبيا قبل الفتح الإسلامي تأصيل لبعض الألفاظ المتداولة في المنطقة لغوياً.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة المتواضعة تنبع من إحساس عميق بأهمية دراسة اللهجات المحلية المغرقة في التاريخ، وهذا العمل يتطلب جهداً ووقتاً، ولولا أنني ابن تلك المنطقة لما استطعت أن أسجل كثيراً من المسميات والألفاظ، وأجزم ببعض

(1) يُنظر علي فهمي خشيم، الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية، (الرباط، منشورات فكر، ط1، 2008م).

(2) علي فهمي خشيم، سيفر العرب الأمازيغ، كتاب الأعلام، ط2 قبرص، ليماسول، دار الملتقى للطباعة، 2004م.

(3) مجمع اللغة العربية، النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب، طرابلس، مجمع اللغة العربية، والقاهرة، مركز الحضارة العربية، 2007م.

(4) يُنظر الجذور المشتركة للحضارات العروبية القديمة، الندوة العلمية الثامنة، 14-17 يونيو-2009، (طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 2010م).

الأمر التي ربما يصعب على كثير من الباحثين الجزم بها فضلاً عن عموم الناس، ويتبين صدق ذلك في أنحاء البحث وثناياه.

إنّ جمع ودراسة المفردات القديمة في اللهجة الليبية يحتاج إلى عمل مؤسّساتي بدعم كبير تهيئة لدراسته وتصنيفه وتحليله، يقول إبراهيم أنيس (رحمه الله): "نرى من كل ما تقدم أن دراسة اللهجات القديمة، والكشف عن أسرارها ونسبتها إلى قبائلها ليس بالأمر الهين السهل، لأنه لا بد قبل البدء بها من جمع المادة لها، وهذا الجمع يتطلب جهوداً عظيمة يجب أن يقوم بها عددٌ من المشتغلين باللغات"⁽¹⁾.

إنّ الهدف من هذه الدراسة وصف بعض الألفاظ التي أطلقت على بعض المسميات في المكان المحدد بالدراسة، وتكمن مشكلة هذه الألفاظ في اللغة التي تعود إليها هذه الألفاظ المدروسة، وبناء على ما سبق فإن هذه الدراسة تتخذ من المنهج الوصفي والتاريخي سبيلاً لإنجاز هذه المقاربة المبدئية، وأحتاج في هذه التوطئة إلى بيان مصطلح الجنوب الأدنى مما يُعدّ بعداً مكانياً للدراسة، ومصطلح قبل الفتح الإسلامي مما يُعدّ بعداً زمنياً، ومصطلح التأصيل اللغوي مما يُعدّ بعداً لُغويّاً.

وتبع البحث منهجاً وصفيّاً في هذه الدراسة وربما استعمل المنهج التحليلي لتأصيل بعض الألفاظ الواردة في البحث، ولا بد في هذه السانحة من تسجيل الشكر أولاً لمجمع اللغة العربية الليبي على إتاحة هذه السانحة الطيبة للمشاركة بهذه الورقة العلمية، ثم الشكر والدعاء لكل من أسهم في إثراء هذا البحث بمده بكلمة أو تفسير لفظ.

1-2 البعد المكاني: الجنوب الأدنى في ليبيا

يُعدّ كتاب (ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات) للدكتور محمد يوسف نجم، والدكتور إحسان عباس من أهم الكتب التي جمعت ما يُحيط بليبيا جغرافياً، وما تناثر في كتب الرحلات المتعددة، غير أن هذا الكتاب تخصص في واقعه في فترة ما بعد

(1) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط8، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية، 1992م، ص14.

الفتح الإسلامي خلا بعض المعلومات التي يذكرها بعض العلماء عن اسم مدينة، أو من سكن هذه المدينة من الناس⁽¹⁾.

إنّ اسم ليبيا ليس غريباً على الدراسات التاريخية القديمة والحديثة، ولكن ما الذي تعنيه كلمة ليبيا، يقول المرحوم الدكتور علي فهمي خشيم: "يقول الباحثون إن كلمة (ليبيا) مشتقة من كلمة (ليبو) وأن المرة الأولى التي سُمع فيها بهذه الكلمة كانت في عهد الفرعون مرنبتاح Merneptah (حوالي 1220 ق م) حيث وردت في نقش هيروغليفي يمجّد انتصار ذلك الفرعون على (الليبو) الذين رأسوا غزاة لمصر وجاءوا من الغرب"⁽²⁾.

لقد نهج الدكتور خشيم نهجاً عربياً فهو يرى إن اسم ليبيا أو لوبيا، ليس إلا تحريفاً عن أربيا التي هي أيضاً تحريف معروف بسبب نضاعة العين وصعوبتها فغيرتها بعض الشعوب إلى الهمزة، وهذا إلى اليوم مسموع عند الشعوب الأعجمية المسلمة كالشعب المالوي في ماليزيا فهم لا يقولون (علي) ولكن يقولون (ألي) يبدلون العين همزا مسهلاً بين الهمز والهاء، يقول خشيم: "غير أن الحقيقة أنّ الأصل الأول للتسمية لم يكن (لوبيا) ولا (ليبيا) بل جاء في النقوش الهيروغليفيه المصرية في تسجيلاتها الكثيرة في صورة (ريبو) Rbw كتبت بتحريك الأحرف الساكنة في كتابات المحدثين (ريبو) Ribu Reb، أطلقت على مجموعة القبائل غربي وادي النيل. وأصل (ربو) ذاتها هو (أربو) سقطت الهمزة في بداية الكلمة في مرحلة متأخرة من تاريخ الكتابة المصرية. وهي تقابل الأكادية (أريبو) ولها صور أخرى (أربو، أربي، أربابا.. الخ) وإبدال العين همزة أمر معروف في هاتين اللغتين (المصرية والأكادية) كما هو معروف في العربية نفسها، فهي أساساً (عربو) (= غريبو) أي (عرب) أو (أعراب) بمعنى أهل

(1) يُنظر محمد يوسف نجم وإحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1388هـ/ 1968م، ص10.

(2) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ط4، مركز الحضارة العربية، مجمع اللغة العربية الليبي، القاهرة، 2010م، ص90.

البداءة"⁽¹⁾، فليبيا اسم يمثل البادية والأعراب ولعل منشأ هذا الاسم من الامتداد الصحراوي في البلاد الليبية، وهي على امتدادها تمثل حقلاً ميدانياً بَكراً للدراسات اللغوية التاريخية، ولكن مثل هذه الدراسات تحتاج إلى فِرَقٍ مدربةٍ تدريباً جيداً لتقوم بدراساتها على أسس علمية، فليس من اللائق، ولا هو من مباديء علم الحفريات أن يقوم العالم بحفر المكان المستهدف للدراسة بآلة ثقيلة تُدعى جَرّافة، فدراسة الحفريات أمر مشترك بين عالم الآثار واللغوي، عموماً نحن في ليبيا نفتقد للدعم الحقيقي لمثل هذه الدراسات في عمق الصحراء الليبية.

ومن باب المشاركة المتواضعة في هذه الندوة فقد جاء بُعدها المكاني أو الجغرافي محدداً في نطاق معين يمتد في وسط ليبيا وهو المعروف سابقاً بإقليم فزان، يقول محمد سليمان أيوب: "وتنقسم المملكة الليبية من الناحية الجغرافية إلى ثلاثة أقسام، وهي: برقة في الشرق، وطرابلس في الشمال الغربي، وفزان في الجنوب الغربي، وقد كان هذا التقسيم الجغرافي هو الأساس في التقسيم الإداري للمملكة إلى ثلاث ولايات قبل إدماج هذه الولايات في محافظات، وتتكون فزان اليوم من محافظتين الشمالية منهما وتسمى بمحافظة سبها، والجنوبية تسمى بمحافظة أوباري"⁽²⁾.

وهذا التقسيم الذي ذُكر آنفاً قد تخرج منه بعض المناطق المقصودة بالدراسة جغرافياً كمنطقة أبي نجيم التي تدخل ضمن بلدية سرت، ولعل أقرب التقسيمات للمنطقة المدروسة هو التقسيم القديم لمحافظة سبها الممتد حتى مناطق أبي نجيم ووادي زمزم شمالاً، وحتى منطقة زلة شرقاً، يقول أيوب: "ومن المعروف أن مساحة الجزء الذي كان يُسمى بفزان كان أوسع قديماً عن ما هو عليه اليوم، فقد كان يمتد من الناحية الشمالية على طول السفوح الجنوبية لجبل نفوسة ويدخل في منطقة فزان وادي زازمت ووحدات بو نجيم وجالو، وكانت منطقة غدامس إحدى المناطق المهمة من فزان"⁽³⁾.

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، كتاب الحجر، ط2، لبنان، بيروت، دار الملتقى، 2004م، ص233.

(2) محمد سليمان أيوب، جُرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ليبيا، طرابلس، دار المصراقي، دت، ص9.

(3) المرجع نفسه.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني خلال تجوالي في هذه الجبال والوديان شدّ انتباهي خلوها من النقوش والآثار فلم أرَ نقشاً على قبرٍ، أو رسماً على حجرٍ، خلا آثار ديار قوم وأطلال قديمة تبدو في رسوم بعض الديار، ولم يذكر لي أحد من سكان تلك المنطقة أن هناك نقشا أو رسماً في وادٍ أو في تلك المنطقة المعنية بالدراسة، ومما يلفت النظر ويشد الانتباه في تلك الجبال الشاهقة والوديان السحيقة كثرة الدروب العربية القديمة هكذا يسمونها (الدرب العربي) وهو مسرب ضيق جداً يمثل طريق القوافل العربية القديمة، وقد تكون هذه القوافل للحجّ، أو للتجارة، وتشدك آثار القبور المنتشرة في بلاط الجبال وسفوحها.

والمنطقة الوسطى منطقة شاسعة فبعض وديانها يأتي من أقصى الجهة الغربية كوادي زمزم⁽¹⁾، وبعضها يأتي من الشرق إلى الغربي كوادي بئ الحايب، ولذلك فهي تحتاج إلى فريق ليفتشها تفتيشاً جيداً، وما هذه الورقة إلا ومضة في تاريخ هذه المنطقة المترامية الأطراف.

1-2 البعد الزمني: قبل الفتح الإسلامي لليبيا

كما أسلفنا في البعد المكاني فإن ليبيا بلد موغل في التاريخ، فزمن حياة الإنسان على هذه الأرض بعيد جداً، فالمغرب العربي عموماً، وليبيا خصوصاً تمثل امتداداً طبيعياً من حيث الجغرافيا والبشر واللغة التي تعد وعاء الدين والهوية والثقافة⁽²⁾ فقد وجد العلماء تطابقاً ظاهراً بين فك إنسان وُجد في كهف (هوا أفتيح) في ليبيا، وجمجمة قديمة بفلسطين، وقُدِّر عمر هذه الجماجم بثلاثين أو أربعين ألف سنة،⁽³⁾ فزمن حياة الإنسان في ليبيا ممتدّ بعداً في التاريخ السحيق.

(1) يُنظر علي الصادق حسنين، يوميات قافلة طرابلسية إلى وادي زمزم (رحلة في عمق الصحراء الكبرى)، ندوة بعنوان:

ليبيا في الرحلات العربية والغربية (نحو رؤية تحليلية مقارنة)، ليبيا، مجمع اللغة العربية - طرابلس، 2009م، 636م.

(2) يُنظر عثمان سعدي، اللغة الكنعانية وتأديتها لدور الفصحى بالمغرب العربي قبل الفتح الإسلامي، ندوة النقوش

العربية القديمة في المشرق والمغرب، ليبيا، طرابلس، مجمع اللغة العربية، 2007م، ص 245.

(3) يُنظر المرجع السابق نفسه.

1-3 البعد اللساني: التأصيل اللغوي للألفاظ

الجذر (أ ص ل) يدل على أشياء ثلاثة ذكر ابن فارس في أولها معنى "أساس الشيء" ⁽¹⁾ فالأصل والأساس يمثلان معنى القاعدة التي يُبنى عليها البناء ليرتفع، ولذلك قال في التاج: "الأصل: مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ" ⁽²⁾، والتأصيل مصدر في الكلام للفعل الماضي أصل الشيء إذا رده إلى أصله، ⁽³⁾ ولم يرد مصطلح التأصيل علانية في معاجمنا القديمة، وربما أول إشارة إليه كانت في لسان العرب لابن منظور عندما قال: "وثل: وَثَلَ الشيءَ: أَصَلَهُ وَمَكَّنَهُ" ⁽⁴⁾.

وأما من حيث المصطلح فهو علم حديث نسبياً يعرف بعلم تأصيل الكلمات أي ردها إلى أصولها الآتية منها ⁽⁵⁾، فهو دراسة لأصول الكلمات من حيث "انحدارها من لغة أو دخولها بالاقتران بمعنى نشأة الكلمات وتطورها من أجل الوقوف على البيئة الأصلية لها، والصيغ التي تفرعت منها" ⁽⁶⁾، فالتأصيل اللغوي للألفاظ اللغوية هدف من أهداف دراسة اللغة، ولعله هو المقصود بالمصطلح الغربي (Etymology)، وترجم إلى علم أصول الكلمات، وهذه الدراسة تُعد ضمن الدراسات التأصيلية التي تحاول الغوص في تاريخ سحيق من خلال دراسة بعض المفردات المشهورة في منطقة الدراسة المحددة، وتراكيب اللغة محددة في مكان محدد لرد تلك اللغة المستعملة إلى عائلة لغوية مشابهة لها، وقد أشار العالم اللغوي محمود ياقوت إلى شيء من هذا فقال: "لذلك عرّف اللغويون هذا المصطلح - (Etymology) - بالإنجليزية قالوا: The study of the

(1) أحمد بن فارس، معجم المقاييس، دار الفكر، 1979م، ج1، ص109.

(2) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، مطبعة الكويت، 1965م، ج27، ص447.

(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م، ج1، ص101.

(4) محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، 1414هـ، بيروت، دار صادر، ج11، ص722.

(5) يُنظر أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص101.

(6) يُنظر عبد الكريم رابع وعاشور سرقمة، تأصيل اللهجات العامية العربية المعاصرة اللهجة العامية لسوف أنموذجاً، الجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد (13) العدد (02) السنة 2021م، ص396.

origins and history of form and meanings words. أي أنه يهتم بدراسة الصيغ وتاريخها ومعاني الكلمات⁽¹⁾ وهذا دليل آخر على عدم معرفة المعاجم اللغوية الأولى في اللغة العربية لمصطلح التأصيل بهذا المعنى بمعنى رد الكلمة إلى أصولها الأولى، وقد تناول بعض الباحثين الفرق بين التأصيل والتأثيل فقال إن التأصيل هو: "العودة إلى ينابيع الماضي وجذوره في الميراث العربي والحضارات السامية القديمة وذلك للخروج من نمط التقليد الجاهز إلى الأصالة التي تعبر عن الحاضر بشكل لافت ومتميز"⁽²⁾ وأمّا التأثيل فهو: "علم أصول الألفاظ يختص أحياناً بالبحث في أصول الكلمات وأخرى في الكلمة بعينها وهو مشتق من (الأثل) التي تعني الأصل وأثلة كل شيء أصله"⁽³⁾.

والتأصيل للألفاظ اللغوية المنطوقة قد يُعد من الأهمية بمكان "فهو امتداد طبيعي للهجاتنا العربية القديمة في مفرداتها وتراكيبها على الرغم مما اعتراها من تغير وتبدل بسبب الزمان والمكان والاختلاط بالألسن الأخرى"⁽⁴⁾، وفي ظل فقدان أوندرة المصادر المكتوبة عن تلك الفترة الموعلة في القدم سوى بعض الأحجار مثل حجر مسنن⁽⁵⁾ أو القبور والأضرحة الموجودة بمنطقة قرزة،⁽⁶⁾ وهي خارج الحدود للدراسة، فإن الرواية الشفهية المتوافرة في مسميات الأشياء من مدن، وأودية، ومُستعمَلات ستكون مادة لهذا البحث، وهذا الأمر شيء معروف عند علماء اللغة

(1) محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص393.

(2) يُنظر موضوع الفرق بين التأثيل والتأصيل على الرابط الآتي:

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=90877>

(3) يُنظر موضوع الفرق بين التأثيل والتأصيل على الرابط الآتي:

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=90877>

(4) اللهجة الليبية في فضائها العربي الأوسط بين المشرق والمغرب، ندوة الفصيح المتداول في لهجات البدو في ليبيا، الحلقة، مجمع اللغة العربية - طرابلس، الثاني (1375هـ، 2007م)، التقديم.

(5) عبد الحفيظ فضيل الميار، النقائش الفينيقية البونية في ليبيا دراسة تاريخية أثرية، مجمع اللغة العربية - طرابلس ليبيا، ندوة النقوش العروبية القديمة في المشرق، 2007، ص144.

(6) علي فهمي خشيم، سِفَر العرب الأمازيغ،

في الاستعانة بالألفاظ المنطوقة للتعرف على لغات المنطقة الموعلة في القدم يقول أحد علماء اللغات القديمة: "فبأسماء المدن والقرى والأماكن الجغرافية على امتداد الوطن العربي وفي جغرافية إمبراطورية اللهجة الآرمية الممتدة من السند إلى الأطلسي شرقا وغربا ومن طروادة وحتى أسوان شمالا وجنوبا نستطيع الحصول على لفظ سليم بهذه اللهجات بشرط أن نعرف معاني هذه الأسماء الجغرافية"⁽¹⁾.

(1) محمد بهجت القيسي، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، ص303.

(2)

التأصيل اللغوي لبعض الألفاظ اللغوية المستعملة

في الجنوب الأدنى من ليبيا

1-2 توطئة

قامت دراستي هذه في مقدمتها على مداورة أبعاد ثلاثة مرتبطة بها وهي البعد التاريخي، والبعد الجغرافي، والبعد اللغوي من حيث التأصيل⁽¹⁾، وليست مهمتي في هذه الدراسة حصر الألفاظ الغريبة أو ما يظن الناس أنها ليست عربية، وإنما الهدف من هذه الدراسة تأصيل بعض الألفاظ ذات الشهرة الذائعة في المنطقة المقصودة بالدراسة، ولذلك سأكتفي ببعض الأمثلة ثم أردفها بقائمة لبعض الألفاظ المستعملة مما يظن الباحث إنها ذات أصول عربية.

2-2 تأصيل بعض الأسماء في لغة سكان الجنوب الأدنى من ليبيا:

1-2-2 أسماء أعلام الأشخاص:

قرياس: وهو اسم لواد في جبل ودّان، رأسه يبعد عن ودان مسافة أربعين كيلومتر تقريبا، ويمتد لمسافة تتجاوز خمسة وثمانين كيلومتر شمالا ليدفع في وادي تامت، وقد ورد اسم قرياس عند الليبيين قديما في غير هذه المنطقة المحصورة بالدراسة قريبا من طرابلس عاصمة ليبيا، جاء في البيان المغرب: "وفي سنة 156 بعث يزيد بن حاتم العلاء بن سعيد المهلبى مددا لمخارق بمدينة طبة بالزاب، وقلعة حبحاب بجبل كتامة، وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها وقتل العلاء جماعة ممن أدرك فيها. ثم انصرف إلى القيروان، وثار على يزيد بن حاتم أبو يحيى بن قرياس الهواري بناحية طرابلس، واجتمع إليه كثير من البربر. وكان بها عبد الله بن السمط الكندي قائدا ليزيد، فالتقوا على شاطئ البحر، واقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم أبو يحيى وقتل

(1) يُنظر محمد بهجت القيسي، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعَدَنانية،

ط2، دمشق، دار الشمال، 2000م، ص2.

عامة أصحابه. وتهذنت أفريقية ليزيد بن حاتم وضبطها⁽¹⁾ فهذا أول ذكر لاسم قرياس كاسم لشخص ينتمي إلى قبيلة هواره المشهورة، وبهذا يمكننا الحكم مبدئياً على أن الاسم بربري، وتركيب الاسم تركيب عربي فهو على وزن فِعَال، إذا اعتبرنا أن السين أصلية، فبالنظر إلى حروف هذا الاسم نجد أن حروف الزيادة فيه هي الياء، والألف، والسين، وأقرب الحروف للأصالة في هذه الثلاثية هي السين، فقد يكون أصل المادة هي (ق ر س) وهو تركيب يدل على البرودة⁽²⁾، وأما (قريس) فهو بمعنى القديم⁽³⁾، ومما يرد في ألفاظ هذا الجذر (القُرَاسِيَّة) وهي الناقة الضخمة⁽⁴⁾، والملاحظ في لفظ قرياس أنه بارد وهذا يشعر به كل مَنْ يأتي من الواحات إلى هذا الوادي فهو من الوديان التي شحت شمالاً فتجدها أبرد مما سواها، وقد رصد سعدي لفظ (قَرَسَن) بمعنى جمد الماء⁽⁵⁾، وهي لهجة مغربية، ومن غريب ما شاهدته في هذا الوادي تحديداً عند بئر وهو ما يُعرف ببئر قرياس في شعبة من شعاب قرياس وما أكثر شعابه، تعرف بشعبة البير، هكذا بالإبدال، فيمكنك في هذا الوطن أن تستمع لأثير بعض الإذاعات المبتوثة من مدينة سرت، وأنت في بطن الوادي، ولست على قمة جبل مما يُعطي انطباعاً عن سرعة ولوج التيار الهوائي الآتي من الشمال فيه حتى في فصل القيظ، فيمكن أن يكون اسم قرياس مشتق من البرودة، ويمكن أن يكون مشتقاً من القدم، ولا أظن أن للقراسية علاقة به، اللهم إلا إذا كانت النوق التي ترعى في هذا الوادي قديماً تتمتع بالضخامة لخصب الوادي وتنوع نباته وأشجاره، وعلى أي حال فالاسم قديم في ليبيا عموماً، ومنطقة الجفرة خصوصاً، وبذلك فقد يكون لفظ قرياس في أصله عربي يدل على البرودة وهذا ما أرجحه، أو على الشيء القديم، أو

(1) محمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م، ج1، ص79.

(2) يُنظر الزبيدي، تاج العروس، ج16، ص363.

(3) يُنظر الزبيدي، تاج العروس، ج16، ص363.

(4) يُنظر الزبيدي، تاج العروس، ج16، ص363.

(5) يُنظر سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، ص63.

الضخامة والقوة، وكله قريب في مأخذه.

2-2-2 أسماء الأعلام على الأماكن:

تيتي: هذا اسم وادٍ معروف شمال غرب وِدَّان فيه شعبة تسمى تَنَقْمري، وفي المثال المشهور عند أهلنا في ودان: "ما أَيْقَرُّزُ تيتي من تنقمري" يُضرب لمن جهل الجليّ الواضح من الأمور المشهورة، فهو بذلك مرمي بالحمق والجهالة، فقولهم ما ايفرز أي يَفِرز من الفرز وهو التمييز، ينطقونها بلهجتهم، وتيتي ورد اسما للملك المؤسس للأسرة الفرعونية السادسة⁽¹⁾، وقد سمعتُ من بعضهم معاني مختلفة لتفسير هذا الاسم تيتي فبعضهم يراه اسما للدجاجة بالأمازيغي، ويستدلون على قولهم للدجاجة تيتي خصوصا عندما ينثرون له الطعام، ثم لا تعدم من يهمس في أذنك أن هذه التأويلات حديثة لا يعرفها أجدادنا، ولعله مصيب في شيء من ذلك فلم أقف على هذه الأسماء في الأمازيغية للفرس أو الدجاجة، فالفرس في الأمازيغية هي تيغالين⁽²⁾، وأما الدجاجة فهي في الشاوية وهي فرع من الأمازيغية تيازط⁽³⁾، والديك أكازيط أو أيازيط⁽⁴⁾، وعلى أي حال فالمثل تعبير للجاهل والأحمق الذي لا يميز بين شيئين جليّين، وتيتي هذه رأسها في الشمال الشرقي دون طريق الجفرة سرت المعبد فهي لا تقطعها، ولكنها تمتد من هناك في اتجاه الجنوب الغربي إلى أن تقطع الطريق المعبد لتدفع في الرمال المعروفة برمال تيتي⁽⁵⁾.

(1) يُنظر محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى من أقدم العصور إلى مجيء الأسكندر، المطبعة المصرية، 1968م، ص109.

(2) سعيد بن عبد الله الدارودي، الأصول العربية لكلمات أمازيغية أصيلة، مجلة مجمع اللغة العربية - طرابلس، العدد(2) 2004م، ص218.

(3) يُنظر هذه الرابط الذي جُمعت فيه أسماء الحيوانات بالأمازيغية:

http://www.amazighworld.org/arabic/studies/index_show.php?id=939

(4) عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، منشورات مجمع اللغة العربية - طرابلس - ليبيا، الجزائر، دار الأمة، 2007م، ص136.

(5) أقيم في السنوات الأخيرة مهرجان رياضي للعبة ترحلق السيارات على الرمال اسمه (رالي تيتي) لما تتميز به رمال تيتي من ارتفاع وامتداد، ويُقام هذا المهرجان في نوفمبر حيث ما تكون الجبال عادة قد أمطرت أو بلّلتها الطل فتتماسك =

ولفظ تيتي لم يرد في المعاجم اللغوية ولكن قال الأسدي في موسوعة حلب: "تي تي تي: يقولون لمن لا يحسن عملاً: تي تي تي مثل ما رحت جيتي، ويقولون للملتحي لدى التهكم به: أجا دقن التيتي، وكلها عبارة تهكم أصلها حكاية صوت البوق"⁽¹⁾، فالأسدي يُشعر القاريء بأن أصل التركيب تي تي يدل على التهكم والسخرية، وهذا قريب من مضمون مضرب المثل الذي ذكرته أنفا (ما ايفرز تيتي من تنقمري) سخرية وتهكما بالأحمق الجاهل، ثم يضيف: "وعلى ما تقدم لا نرى صواباً قوله في "الأمثال الدراجة في الكويت، ج 1، ص 91، تي الأولى بمعنى هذه، والثانية بمعنى أنت، أي هذه أنت"⁽²⁾، وبناء على ما سبق فإن أقرب التفسيرات لاسم (تيتي) هو اسم ذلك الملك الفرعوني القديم، فلعل هذا الاسم تسرب من الحضارة المصرية القديمة إلى ليبيا أو العكس، وعندنا في لهجتنا خصوصاً يقولون تي تي على الشيء المفخم يلفظونها مرتين، وأغلب الظن أن هذا الاسم تسرب إلى المنطقة منذ فترات موعلة في القدم، وحرى بالذكر أن وادي تيتي من الوديان ذات الطبيعة الصخرية الصعبة جداً، ولذلك قلما تجد أناساً يقتحمونها إلا بسيارات ذات دفع رباعي أو ما يشبهها قوة، فلعل لفظ تيتي فيه شيء من التصلب والقوة، والله أعلم.

وأما تنقمري وهي شعبة صغيرة تطارح شيئاً من تيتي، وبعض أهلنا في ودان خصوصاً يقول إن تنقمري شعبة افتراضية غير موجودة، ولكني سألت بعض الخبراء بالبر من أهلنا في ودان فأرانيها قبل وادي تيتي شعبة صغيرة تتجه صوب الغرب ولا تقطع الطريق المعبد كأنها تدفع في تيتي نفسها، ويفسرون معنى تنقمري بالفرس، ولم أجد من عرف هذا! ولكني وقفت على لفظ (اجمار) بمعنى الحصان في اللغة الشاوية⁽³⁾،

=ذراتها مما يُسهل على السيارات الصعود إليها والتزحلق منها، ولكنه توقف في السنوات الأخيرة نتيجة لانتشار الألغام في المنطقة بعد الحرب الأخيرة في ليبيا عام 2019م.

(1) محمد خير الدين الأسدي، موسوعة حلب المقارنة، 1970م (نسخة رقمية طبق الأصل عن الورقية بإشراف الأديب محمد كمال، 2009م)، ص 450.

(2) المرجع السابق.

(3) يُنظر عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، ص 307.

وقد يكون تنقمري محرفاً من اجمّار هذا بحيث قلبت الجيم قافاً فصار اقمّار، ثم أضيفت التاء والنون تنقمّر، ثم تطور إلى تنقمري، وهذا اجتهاد والله أعلم بالصواب.

3-2-2 الأفعال:

ليست الأفعال المستعملة في المنطقة من الكثرة بمكان، والمسموع منها قليل كقوله: نكّرْسَ الحبلَ نكرسَةً أي عقده عقدة غير مضرّة بمسيره على البكرة، هكذا فسروه لي، و"أكروس العقدة المكرسة"⁽¹⁾ وفسّر سعدي هذا المعنى بقوله: "المكرسة من القلائد ما نُظِمَ لؤلؤه في أكثر من خيط كرسّ الشيء ضم بعضه إلى بعض"⁽²⁾ وهذا قريب من استعمالهم فالرشاء إذا انقطع تفزّرت أجزاؤه التي قُتِلَ منها، فيُعاد قتله بتقسيمه ثلاثاً ثم تقتل هذه الأجزاء الثلاثة مداخلة بينها وهي طريقة عكسية لقتل الحبل تؤخذ بالمشاهدة بحيث يعود الرشاء بعدها معتدلاً يستطيع أن يدور مع البكرة من دون أن يعلّق فيها.

وسمعتهم كذلك يقولون: تومجّ يُتومجّ تومجة، يريدون جلس جلسة المتهياً لإطلاق النار مع رفاقه، هكذا وصفوه لي، ويقولون هذه الكلمة في سياق بلوغ الأمر مبلغاً عميقاً بين فرقتين قد اختلفتا على أمر معين كمكان حرث أو رعي أو ما أشبه ذلك فيقولون "وصل الأمر بينهم حتى تومجوا لبعضهم" فيُفهم أن الأمر غير بعيد من الصدام إن لم يتدخل الحكماء وأهل الرأي.

ومن الأفعال التي أسمعها بكثرة الفعل (دهكل) بمعنى مرهق جداً ومثقل، ويستعملون فيقولون رجعت من العمل مدّهكلاً، أي متعباً مثقلاً، وقد ذكر سعيد إن الفعل من اللغة الشاوية⁽³⁾، ورده في العربية إلى الهيكل بمعنى الضخم وهو تأويل بعيد جداً، خصوصاً وأن صاحب العين أورد هذا اللفظ فقال: "دهكل: دَهْكلٌ: من شدائد

(1) عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، 241.

(2) المرجع نفسه.

(3) يُنظر عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، ص 283.

الدَّهْر. قال: لَقَضَى عَلَيْهِمْ فِي اللَّقَاءِ مُدْهَكُلٌ" (1)

وزاد الصغاني: "الدَّهْكَلَةُ: وَطءُ الأَرْضِ بالأَرْجُلِ" (2) وما ذكره الصغاني قريب جدا من المعنى المستعمل لدينا بمعنى التعب الشديد أو فهو لَمَّا وُطِيءَ بالأرجل تدهكل واغبرّ، وبذلك يتبين عروبية هذا اللفظ، ويتبين كذلك أن تفسير الدكتور سعدي برد الفعل للهيكل الضخم بعيد جدا، وكأن الدكتور لم يقف على دهكل في العين أو التكملة.

وفي نهاية هذا المبحث أجزم تماما أن ما غاب عني قد يكون أكثر مما سمعتُ من ألفاظ وذلك لذهاب كبار السنّ الذين يعرفون أغلب هذه الألفاظ ويستعملونها، ومع هذا فإنني سأثبت مسردا يضم مجموعة من الألفاظ التي سمعتهم يذكرونها، وذكرها هنا من باب الرواية حتى تثبت وقد يأتي من يَرَفُدُها بمسموع لديه، أو تفسير يعلمه.

الخليل بن أحمد، العين، ط2، (طهران، دار الهجرة، 1409هـ)، (1)

(2) الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب التاج، (مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1979م)، ج5، ص357.

(3)

مسرد لبعض الألفاظ المسموعة

- وادي جاشلم: ويبعد عن ودان مسافة تقرب من ثمانين كيلومتر شمال غرب.
- وادي نينا: ويبعد عن سوكنة مسافة خمسة وثمانين كيلومتر غربا.
- وادي تامت: ويبعد عن ودان مسافة تسعين كيلومتر شمالا.
- وادي تافا: ويبعد عن ودان مسافة سبعين كيلومتر شرقا.
- تاقرفت: وهي منطقة مشهورة ومعروفة تقع شمال شرق ودان، وتبعد عن زلة مسافة خمسة وسبعين كيلومتر، وتنطق القاف مثل ما ينطقها الليبيون، ومعنى تاقرفت الغرفة، حيث أبدلت الغين إلى قاف فأصلها تاغرفت، وهي معروفة في الأمازيغية بمعنى الغرفة⁽¹⁾، فالعلاقة واضحة بين اللغتين في الاقتراض والاستعمال مع بعض التغيير الذي يدعو إلى التأمل والتروي، والمعروف أن تاقرفت قرارة شمال شرق ودان وهي مصيف قديم لأهالي ودان القدماء بحسب ما ذكره البكري في المسالك حيث قال: "ومن مدينة ودّان إلى مدينة تاجرقت ثلاثة أيّام، وهي مدينة أهلة بها جامع يسكنها أهل ودّان، والتمر بها كثير، وأكثر أجناسه البرني، ومنها يخرج إلى مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثني عشر يوما، وبينها وبين ودّان مثل ذلك، وهي متوسطة بينهما زويلة بغربيّها وودّان بشريقيّها"⁽²⁾، ويُلاحظ كيف كتبت تاقرفت بالجيم، فاجتمعت فيها ثلاثة حروف الغين، والقاف، والجيم.
- بير تاكوف: تقع شمال شرق ودان وبقرها اليوم مناطق سكنية، وتنطق مثل الكاف المعطشة كما يقول السعدي في معجمه⁽³⁾، وتاكوف بئر قديمة في ودان وقد

(1) يُنظر عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، ص 207.

(2) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي، 1992م)، ج 2، 659.

(3) يُنظر عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، ص 17.

دخلت إليها، وليس هذا مكان وصفها، لاهتمامي بالمعنى هنا، وقد فسّر السعدي معنى تاكوف بالحزانة في اللغة الشاوية التي هي فرع عن الأمازيغية كما أسلفنا⁽¹⁾، وقد وضع السعدس علامة (مهم) تحت هذه الكلمة للإشارة إلى عمق الأصالة بين الأمازيغية والعربية. وهذا المعنى مرتبط جدا بالأسطورة المنتشرة حول هذه البئر باحتوائها على كنز، مما حدا بالطليان إلى محاولة حفرها، واكتشافها وما زالت محاولتهم قائمة إلى اليوم بفتح كوة بجانب البئر مفضية إلى داخله، حين استقلت البئر يميناً، وصار في البئر مجموعة من الكهوف المصنوعة، لأنني وقفتُ على آثار فؤوس في الكهف، ولعل الله ييسر لي الكتابة عن هذه البئر في بحث مستقل.

• التافريتا: وهي نبتة تُطهى وتؤكل، وقد ذكر صاحب معجم الجذور العربية أن "تيفريت: مرقد الأرنب"⁽²⁾، ثم ردّ الكلمة إلى العربية مسوّغا ذلك بقوله: "فريثُ الأرَضْ شققتها أي حفرتها، وهو ما تفعله الأرنب لصنع مرقدها"⁽³⁾، ولعله يقصد بالمرقد مكان ولادتها، وفي تأويلها لديّ رأي مخالف وهو تشبيههم لهذه النبتة بنوم الأرنب من حيث إنّ من تناولها أصابه النعاس فنام، وهي نبتة مخدرة، والأرنب مغروقة عندنا بكثرة النوم، وقول المرحوم السعدس بأنها تحفر لمرقدها مخالف للواقع، وقد أشار السعدي لهذه الفظة بـ (مهم) إشارة منه إلى عمق الصلة بين الأمازيغية والعربية.⁽⁴⁾

- التاريوسة: وهي عشبة متطفلة على النبات والمزارعون يكافحونها.
- تاغيات: نوع من أنواع فسائل النخيل في الجفرة.
- تامج: نوع من أنواع فسائل النخيل في الجفرة.
- التابسرت: نوع من أنواع فسائل النخيل في الجفرة.

(1) المرجع السابق، ص 244.

(2) عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، ص 217.

(3) المرجع السابق، ص 217.

(4) يُنظر لمرجع السابق، ص 19.

- التاليس: نوع من أنواع فسائل النخيل في الجفرة، وقد ورد اسم التاليس في بعض المعاجم الأمازيغية وهو ما صُنِع من سعفه الخوص أو القفة، وينطق اثليس⁽¹⁾.
- تاقداف: وهو نوع من النخيل النادر جدا ذو ثمرة حمراء ثم إذا زهت اسودّت.
- تبروري: نوع من البرد، وقد ذكره دوزي في تكملة المعاجم⁽²⁾.
- ترتر: ويُطلق على القرط في أذن المرأة.
- كرموس: وهو التين المعروق، ولعله في الأصل العربي كرم، ثم أُضيفت إليه الواو والسين⁽³⁾.
- فكرونة: ويُقصد بها السلحفاة البرية خصوصا، ويرى بعض العلماء أنه قد يكون مقترضا من اليونانية⁽⁴⁾.
- فلالوسة: يعنون به طائر السنونو، وينطقونه في الأمازيغية تافليّست⁽⁵⁾.
- عيت فلان: يريدون به آل فلان.

(1) المرجع السابق، ص 49.

(2) يُنظر رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، (وزارة الأعلام والثقافة، الجمهورية العراقية، ط1، 2000م)، ج2، ص18.

(3) علي فهمي خشيم، الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية، ص170.

(4) علي فهمي خشيم، الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية، ص157.

(5) علي فهمي خشيم، الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية، ص60.

(4)

الخاتمة والنتائج والتوصيات

1-4 الخاتمة

في ختام هذه العجالة المتواضعة التي حرصتُ فيها على تأصيل بعض الألفاظ المسموعة في منطقة الجنوب الأدنى من ليبيا وهي المعروفة بالمنطقة الوسطى قد تكون في نشأتها قديمة جداً قبل الفتح الإسلامي لليبياء، وقد توصل البحث لعدد من النتائج أهمها:

2-4 النتائج:

- 1- إن الألفاظ المستعملة في أسماء الناس والأماكن تعود في أغلبها إلى تواريخ قديمة جداً قبل الميلاد.
- 2- بعض الألفاظ ترجع إلى الأسر الفرعونية القديمة مثل اسم (تيقي).
- 3- اسم الملك تيتي لم يرد في كتب علي فهمي خشيم (رحمه الله) مع حرصه على تتبع أسماء ملوك تلك الحقبة في كتبه.
- 4- بعض الألفاظ هي ألفاظ عربية مثل الفعل (دهكل)، وما ذكره بعض أهل العلم في تأويل بعض تلك الأسماء يحتاج إلى مراجعة ودراسة وتفتيش في المعاجم اللغوية لبيان معناه الصحيح، مثل ما رأينا في دهكل الذي فسره الدكتور عثمان سعدي بالهيكل! وهو موجود في التكملة بما يعطي نفس المعنى.
- 5- هناك بعض الحروف ذات القرب الشديد في المخرج تبدل بعضها من بعض وهي الغين، والقاف، والكاف، والجيم، مثل ما ينطقون تاقرفت، وتاجرقت، وتاغرفت، وتاكوف، وتاقوف، وهذه ظاهرة لغوية تحتاج إلى دراسة مستقلة.
- 6- كثير من الألفاظ الواردة في البحث هي ذات أصول عربية، ولكنها تغيرت ربما نتيجة اللهجات العربية الكثيرة.
- 7- بعض الألفاظ المدروسة في هذا البحث ذات أصول يونانية، وشاوية قديمة.

3-4 التوصيات

إن من أهم التوصيات التي ينبغي أن تذكر هي العمل على إعداد أطلس لغوي ليبي تُرصد فيه جميع الألفاظ الليبية المستعملة في ليبيا، وإصداره في أقرب وقت ممكن، ويمكن الاستعانة في إعداده بالرجوع إلى أرشيف سجلات المحاكم الموجودة في مركز الجهاد وفهرسة ما فيها من يوميات للاستفادة منها في إعداد هذا الأطلس اللغوي زمانا ومكانا، وحرّي بالذكر هنا إن مثل هذه الأعمال اللغوية تحتاج إلى بحث أكثر توسعا بإثارة الإحساس عند الباحثين اللغويين بأهمية مثل هذه الدراسات اللغوية العميقة، ولا يفوتني هنا أن أعيد تسجيل شكري وتقديري ودعائي لكل من أفادني بمعلومة في هذا البحث، فإن الوقوف على كثير من هذه الألفاظ يُعد صعبا لأنه ليس موجودا في مدونة أو دفتر ترجع إليه، وإنما الأمر موقوف فيه على الاستماع ومعايشة أولئك القوم وهذا يحتاج إلى وقت نحن في أمس الحاجة إليه.

المصادر

القرآن الكريم

- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط8، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية، 1992م.
- أحمد بن فارس، معجم المقاييس، دار الفكر، 1979م.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م.
- أشرف محمد فتحي، محاولات التقريب بين المصرية القديمة والعربية (الاتجاهات والمناهج)، ليبيا، مجلة مجمع اللغة العربية - طرابلس، العدد (2)، 2004م، ص183.
- الجذور المشتركة للحضارات العروبية القديمة، الندوة العلمية الثامنة، 14-17 يونيو-2009، (طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 2010م).
- الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب التاج، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1979م.
- الخليل بن أحمد، العين، ط2، طهران، دار الهجرة، 1409هـ.
- رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، ط1، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العراقية، 2000م.
- سعيد بن عبد الله الدارودي، الأصول العربية لكلمات أمازيغية أصيلة، مجلة مجمع اللغة العربية - طرابلس، العدد (2)، 2004م.
- عبد الحفيظ فضيل الميار، النقائش الفينيقية البونية في ليبيا دراسة تاريخية أثرية، مجمع اللغة العربية - طرابلس ليبيا، ندوة النقوش العروبية القديمة في المشرق، 2007م.

- عبد الكريم رابح وعاشور سرقمة، تأصيل اللهجات العامية العربية المعاصرة اللهجة العامية لسوف أنموذجا، الجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد (13) العدد (02) السنة 2021م.
- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- عثمان السعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، منشورات مجمع اللغة العربية - طرابلس - ليبيا، الجزائر، دار الأمة، 2007م.
- عثمان سعدي، اللغة الكنعانية وتأديتها لدور الفصحى بالمغرب العربي قبل الفتح الإسلامي، ندوة النقوش العربية القديمة في المشرق والمغرب، ليبيا، طرابلس، مجمع اللغة العربية، 2007م.
- علي الصادق حسنين، يوميات قافلة طرابلسية إلى وادي زمزم (رحلة في عمق الصحراء الكبرى)، ندوة بعنوان: ليبيا في الرحلات العربية والغربية (نحو رؤية تحليلية مقارنة)، ليبيا، مجمع اللغة العربية - طرابلس، 2009م.
- علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، كتاب الأعلام، ط2 قبرص، ليماسول، دار الملتقى للطباعة، 2004م.
- علي فهمي خشيم، الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية، الرباط، منشورات فكر، 2008م.
- علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ط4، مركز الحضارة العربية، مجمع اللغة العربية الليبي، القاهرة، 2010م. علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، كتاب الحجر، ط2، لبنان، بيروت، دار الملتقى، 2004م.
- اللهجة الليبية في فضاءها العربي الأوسط بين المشرق والمغرب، ندوة الفصحى المتداول في لهجات البدو في ليبيا، الحلقة، مجمع اللغة العربية - طرابلس، الثاني (1375 و.ر، 2007م).

- مجمع اللغة العربية، النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب، طرابلس، مجمع اللغة العربية، والقاهرة، مركز الحضارة العربية، 2007م.
- محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى من أقدم العصور إلى مجيء الأسكندر، المطبعة المصرية، 1968م.
- محمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م.
- محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ.
- محمد خير الدين الأسدي، موسوعة حلب المقارنة، 1970م (نسخة رقمية طبق الأصل عن الورقية بإشراف الأديب محمد كمال، 2009م).
- محمد سليمان أيوب، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية، ليبيا، طرابلس، دار المصري، د.ت.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، مطبعة الكويت، 1965م.
- محمد يوسف نجم وإحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1388هـ، 1968م.
- محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2002م.

الروابط على الشبكة:

1- الفرق بين التأثيل والتأصيل على الرابط الآتي:

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=90877>

2- رابط مُجمعت فيه أسماء الحيوانات بالأمازيغية:

http://www.amazighworld.org/arabic/studies/index_show.php?id=939

المؤلفات اللغوية الليبية

تصانيف الليبيين اللغوية

محمد سيدي الزروق الأنصاري (*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي نزل عليه وعلى أمته قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] الذي بعثته أمه آمنة إلى بني سعد في البادية حتى يكون أفصح العرب وأبينهم

أما بعد فيطيب لي أن أشارك مجمع اللغة العربية في ندوته الموسومة بـ "تاريخ اللغة العربية في ليبيا" من خلال المحور الثاني: المؤلفات اللغوية الليبية، في بحث أسميته: "تصانيف الليبيين اللغوية" أبين فيه تأليف علماء البلاد في علوم اللغة العربية، مع نبذة يسيرة عن كل مصنف ومصنفه.

واخترت هذا العنوان؛ لما فيه من التنويه بلغة كتاب الله عز وجل، والتنويه بإسهامات علماء ليبيا الكرام في هذا الجانب المعداد من حفظ لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، معتمدا على المنهجين الاستقرائي والوصفي في تقرير المراد من البحث...

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

(*) كلية اللغات - جامعة الجفارة.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

تزخر ليبيا - كغيرها من بلدان العالم الإسلامي - منذ دخول الفاتحين من الصحابة بكثير من أهل العلم في مختلف علوم الشريعة والعربية، غير أن بعضهم يسعد الزمان بذكره، وذكر مآثره العلمية، وبعضهم يندى الجبين بفقد سيرته في ركب الخالدين في العلوم، الوارثين علوم الأولين، السائرين في ظل دوحة الشريعة والعربية. وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم والرحلات شيئاً من مآثر ليبيا العلمية، من خلال ذكرها لأساطين العلم والعمل في البلاد الليبية، أو ذكر مصنفاتهم الدالة على ارتباط علمائها الأفاضل بالعلوم التي يُعقل بها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سواء كانت علوم آلة، أو علوم مقاصد.

وستقتصر الدراسة على ذكر مصنفات علماء البلاد الليبية اللغوية، بعد التعريف بأصحابها، من باب قولهم: "أثبت العرش ثم انقش"؛ لاقتضاء البحث ذلك.

• ابن الأجدابي:

هو الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن الأجدابي نسبة إلى أجدابيا، ولد بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ عصره؛ وكان من العلماء ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً، وفقهاً، ونحواً، ولغة، وعروضاً، ونظماً، ونثراً.

سئل مرة عن علمه وكيف اكتسبه، ولم تكن له رحلة - حيث كان للطلبة في الزمن القديم رحلة إلى أطراف العالم الإسلامي - فأجاب: "اكتسبته من بابي هواره وزناته"؟.. وهما بابان من أبواب طرابلس القديمة.. يريد أن ما حصل عليه من العلم إنما كان بقاء العلماء والشعراء والأدباء القادمين على المدينة من كل صوب، وعرف عنه إكرام وفود الحجاج والاعتناء بهم والقيام بضيافتهم.

وقد أثنى عليه المؤرخون والرحالة ومدحوه، وتحدثوا عن مناقبه كياقوت

الحموي، وأحمد النائب، والتجاني..⁽¹⁾

من تصانيفه اللغوية:

1. كفاية المتحفظ:

معدود من معجمات المعاني أو الموضوعات، وهي المعجمات التي تجمع الألفاظ التي تخص موضوعاً معيناً كالإبل أو الشياه، أو الحشرات أو أسماء السيف وصفاته أو أسماء الخيل وأسماء ألوانها وأصواتها، ومن هذه الكتب: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي، والمخصص لابن سيده وهو أوسعها.

2. الأزمنة والأنواع:

كتاب ابن الأجدابي هذا ثالث ثلاثة كتب في الأنواع وصلت إلينا مما ألفه علماؤنا القدامى في هذا الفن، والكتابان الآخران⁽²⁾ هما:

الأنواع لابن قتيبة ت 276هـ، الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي ت 421 هـ، وله قيمة لغوية وأدبية، أما القيمة الأدبية فالكتاب يفيدنا في فهم كلام العرب الذي ترد فيه أشياء عن الأزمنة والأنواع من أشعارهم وأسجاعهم وأمثالهم في الجاهلية والإسلام، وهي مبذولة مبثوثة في دواوين الشعراء وفي كتب الأدب واللغة.

وأما القيمة اللغوية فالكتاب يفيض بالألفاظ الدائرة في موضوع الأزمنة والأنواع كثيراً، ومعظم هذه الألفاظ قد أصبحت من اصطلاحات هذا الفن مع الزمن، ومن استقرأ هذه الألفاظ في كتب الأزمنة والأنواع التي وصلت إلينا، وفي كتب اللغة معاً، ثم من قياس بعضها ببعض بعد ذلك، يمكن لنا كشف التطور الذي طرأ على مدلولات هذه الألفاظ خلال العصور⁽³⁾.

(1) ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (1 / 51)، ورحلة التجاني (ص 264)، والأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص 153).

(2) ينظر: ابن الأجدابي، إبراهيم، الأزمنة والأنواع، تحقيق: عزة حس، (ص 23).

(3) ينظر: ابن الأجدابي، إبراهيم، الأزمنة والأنواع، تحقيق: عزة حس، (ص 24).

3. كتابان في العروض، صغير، وكبير⁽¹⁾:

علم العروض هو علم يعرف به صحيح أوزان الشعر العربي من فاسدها وما يعتريها من الزحافات والعلل، هو ميزان الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه، ابتكره الخليل العبكري بين حوانيت الحدادين، لله دره.

4. مختصر نسب قريش:

اختصر فيه ابن الأجدابي نسب قريش⁽²⁾ لمصعب الزبيري⁽³⁾، وهو أول تصانيف هذا الفن، وأعرقها في معرفة نسب قبيلة قريش، وكتب الأنساب وإن كانت علما مستقلاً إلا أنها معدودة من معارف اللغة والأدب؛ لما تحويه من أمهات المعاني والمباني المذكورات في تصانيف المعاجم

5. شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء:

وهو فن خاص في التأليف يتتبع فيه المؤلف ظاهرة ما فيجمعها في مؤلف ثم يشرحها.

ومن ذلك ما فعله ابن الأجدابي ههنا حيث جمع الأسماء المشددة الآخر فشرحها⁽⁴⁾، مثل العصي، والسوي، والشقي، والولي، وهلم جرا.

6. الرد على أبي حفص بن مكي في تثقيف اللسان:

رد فيه ابن الأجدابي على بعض تصويبات ابن مكي في تثقيف اللسان وتلقيح

(1) التجاني، محمد، رحلة التجاني (ص262).

(2) التجاني، محمد، رحلة التجاني (ص263).

(3) قال عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك (3/ 170): "مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدي، كذا نسبه البخاري وغيره، هو عم الزبير بن بكار. روى عن مالك الموطأ وغير شيء وعرف بصحبته، وروايته في الموطأ معروفة. سمع أباه ومالك بن أنس ونمطهم من أهل المدينة، وكتب عنه أبو خيثمة وابنه، ويحيى بن معين. وكان علامة قريش في النسب والشعر والخبر، شريفاً معظماً عند الخاصة والعامة. شاعراً ظريفاً"

(4) ينظر: رحلة التجاني (ص262).

الجنان⁽¹⁾ في تخطيطته العوام والعلماء في المفردات والتراكيب اللغوية. وهو نوع من التأليف قصده به العلماء الحفاظ على لغة القرآن والسنة من التصحيف والتحريف، ومن ذلك درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي، وإصلاح غلط المحدثين الخطابي، وتقويم اللسان لابن الجوزي.

غير أن فئة من العلماء رأوا أن هذه الفئة المصححة غلت في نقدها فطفقت ترد عليها بتصحيح ما غلطوه، من ذلك المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي رد فيه على ابن مكي في تثقيف اللسان كما فعل ابن الأجدابي في كتابه المفقود حتى الآن، ومثله بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي، ورد الخفاجي وابن بري والجواليقي على الحريري في تعليقاتهم على درة الغواص، في أجلة يطول سردهم أجمعوا على إصلاح لسان العوام والخواص، واختلفوا فيما تمليه عليهم ظنون علوم الخواص.

7. رسالة في الحول:

سبب تأليفها، أنه حضر يوماً مجلس قاضى طرابلس، فحكم بحكم أخطأ فيه، فراجعه إبراهيم الأجدابي وردّ عليه، فانتهره القاضي وقال له: "اسكت يا أحول... فما استُدعيت ولا استُفتيت"... فألف رسالته إثر هذه الحادثة، يقول عنها التيجاني: "رسالة في الحول تعرب عن أدب كثير، وحفظ غزير.. وكان الفقيه أبو إسحاق أحول"⁽²⁾

• الخطاب صاحب مواهب الجليل:

الإمام العلامة، ولد ليلة الثامن عشر من رمضان سنة 902 هـ، كان من سادات العلماء، محصلاً متقناً محققاً للفقه وأصوله ومسائله، مستنبطاً لها، يقيس على المنصوص غيره، حافظاً للحديث وعلومه أخذه عن حفاظه، كابن حجر والسيوطي، والسخاوي، وناهيك بذلك. عالماً باللغة وغريبها، متبحراً في النحو والصرف، فرضية،

(1) ينظر: رحلة التجاني (ص 262).

(2) التجاني، محمد، رحلة التجاني (ص 263).

حسابية، وهو إمام في كل ذلك، ومحيط بسائر الفنون⁽¹⁾، يدل على إمامته تأليفه في جميع العلوم التي برع في إتقانها وتحريرها، ودلت أيضًا على سعة اطلاعه وكثرة حفظه، ورفعت منزلته إلى مصاف فحول العلماء، كابن عبد السلام، وابن عرفة وغيرهما. أخذ الفقه وغيره عن والده الخطاب الكبير، وعن أحمد بن عبد الغفار ومحمد بن عراق.

وأخذ عنه عبد الرحمن التاجوري، ومحمد الفيش وولده يحيى الخطاب، وغيرهم⁽²⁾.

قال في المنهل العذب: توفي تاسع ربيع الثاني، 954هـ بطرابلس، وضريحه بالشجر مشهور معظم⁽³⁾.

ألف الخطاب تأليف حسناً أجاد فيها ما شاء، تدل على إمامته في جميع العلوم التي برع في إتقانها وتحريرها، ودلت أيضاً على سعة اطلاعه وحفظه، ورفعت منزلته إلى مصاف فحول العلماء، كابن عبد السلام، وابن عرفة وغيرهما. ولذا في الأعصر المتأخرة إذا أُطلق "الخطاب" فالمقصود به صاحب مواهب الجليل، ومتممة الأجرومية؛ لما له من مزية فاق بها آل الخطاب جميعاً.

1. متممة الأجرومية:

تمم فيه الخطاب بعض مسائل متن الأجرومية⁽⁴⁾ الشهير في النحو؛ لما له من أهمية في الولوج إلى علوم اللغة والشرعية اختصر فيها أكثر أبواب الألفية وجعله مقدمة للمطولات، ومتممة للأجرومية؛ لأنها أول المتون العلمية تدريساً بعد حفظ القرآن الكريم في غالب أمصار المسلمين ليوم الناس هذا والله الحمد. وهي مغنية عن الأجرومية وشذور ابن هشام وقطره، وباب إلى ألفية ابن مالك.

(1) التنبكي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص150).

(2) التنبكي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص150).

(3) الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص197).

(4) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج (ص593).

تميز الخطاب رحمه الله في متممة الأجرومية بدقة العبارة، وحسن الإيجاز، سار فيها على مشهور مذهب البصريين، وصفها أحمد بابا بـ (المقدمة التي بسط فيها مسائل الأجرومية)⁽¹⁾، أي وسّع فيها المسائل، واستطرد فيما اقتضيه ابن أجيروم.

2. مختصر إعراب الألفية لخالد الأزهري:

اختصر فيها إعراب خالد الأزهري لألفية ابن مالك⁽²⁾ طلباً للإفادة والاستفادة. قال خالد: "معرفة الإعراب من الواجبات التي لا بد لكل طالب علم منها ومن المهمات التي لا يستغني الفقيه عنها وإن من أنفع المسالك وأقرب المدارك إلى هذا النحو ألفية ابن مالك غير أن شارحها أتعبوا الفكر في فهم معانيها ولم يُمعنوا النظر في إعراب مبانيها إلا مواضع اقتصروا عليها لمسيس حاجتهم إليها فانقدح في خاطري أن أعرب جميع أبياتها. وأشرح غريب لغاتها. وأضبط ما أشكل من ألفاظها"⁽³⁾ ثم إن الخطاب وإن كان ظاهر تأليفه الاختصار على الاختصار، غير أن كلام التنبكي عنه يفيد⁽⁴⁾ أنه أضاف إليه فوائد وفرائد كعادة المتبحرين في العلوم.

3. حاشية على تصريح خالد الأزهري⁽⁵⁾:

وتصريح خالد الأزهري مسماه المشهور: التصريح بمضمون التوضيح، صرح فيه خالد بما لم يصرح به ابن هشام الانصاري في شرحه على الألفية المسمى: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، فجاء تصريحه كالشرح لتوضيح ابن هشام؛ لأنه صرح بمفهومه ولازمه ومضمونه.

وقد عمل العلماء على تصريح خالد حواشي، أشهرها حاشية يس الحمصي، وهي متداولة بين طلاب العلم، والظن بحاشية الخطاب أن تكون مثلها في الجودة أو فوقها

(1) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج (ص593).

(2) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج (ص593).

(3) الوقاد، خالد الأزهري، إعراب الألفية (ص: 7).

(4) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج (ص593).

(5) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج (ص593).

في الإتقان؛ لكونه من المتبحرين في الفنون كما صرح بذلك أحمد بابا في نيل الابتهاج، وكفاية المحتاج.

هذا وقد سمّت بعض الدور تصريح خالد بـ (شرح التصريح)، وهو خطأ ظاهر.

4. حاشية على قطر الندى :

أما قطر الندى فمتن ألفه ابن هشام الأنصاري للمبتدئين يناسب الطلبة بعد متن الأجرومية، وعمل عليه شرحه الموسوم بشرح قطر الندى، الذي حظي باهتمام العلماء من لدن تأليفه ليوم الناس هذا، حتى جعلوه واسطة العقد بين الأجرومية والألفية.

ويحتمل أن تكون الحاشية المذكورة في كلام أحمد بابا ⁽¹⁾ على قطر الندى، ويحتمل أن تكون على شرح ابن هشام عليه، وكلاهما بمعنى.

5. تعليق على بعض ألفاظ الصحاح التي فسرّها الجوهري بنقيضها:

كقولهم الجذب نقيض الخصب، والخفض نقيض الرفع، وهلم جرا. والصحاح للجوهري، غني عن التعريف؛ لأنه معدود في أمهات متون اللغة مع التهذيب واللسان والتاج والمحكم، وقد تعقبه أقوام، ولخصه فثام، وشرح بعض مسأله جماعات كالخطاب في هذا التعليق ⁽²⁾ المفقود.

• ابن منظور الأنصاري الإفريقي، صاحب لسان العرب :

محمد بن مكرم، بتشديد الراء، ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفي الإفريقي، ثم المصري، القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل، من ولد رُويع بن ثابت الصحابي رضي الله عنه ⁽³⁾.

اختلف الناس في أصله ومولده؛ لعادتهم في إلحاق كل شريف وفاضل وعالم بهم؛ لأدنى مناسبة، على أنه يمكن للإنسان أن يُنسب لأكثر من موضع، على حسب

(1) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص228)، ونيل الابتهاج(ص594).

(2) التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص228)، ونيل الابتهاج(ص594).

(3) الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر (5/269).

مراحل حياته، كما هو معروف في كتب التراجم والأخبار.

فنص أحمد بن عبدالرحمن الأنصاري صاحب نفحة النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ⁽¹⁾، وأحمد بك الأنصاري في المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ⁽²⁾، على أن ابن منظور طرابلسي، نزيل مصر بعد، وانتصر الطاهر الزاوي لذلك في أعلام ليبيا ⁽³⁾.

ولعل من شواهد هذا الرأي أن رويغ الأنصاري رضي الله عنه، الذي ينتهي إليه نسبه كان أميراً على طرابلس الغرب أيام معاوية رضي الله عنه ⁽⁴⁾، فقد يكون نسله سكنها حتى أيام ابن منظور.

ثم لما شبّ رحل إلى حاضرة العالم الإسلامي حينها، القاهرة ومصر، التي ولاه ولايتها قضاء طرابلس مدة، وللكلمة (الإفريقي ثمّ المصريّ) في ترجمته ⁽⁵⁾ إشارة لهذا. ولكل وجهة هو موليتها، والمسألة محل بحث، وهي كغيرها من ظنيات العلوم، تتجاذبها الأدلة والنقول والعقول.

قال عنه ابن حجر: "كان مغرى باختصار كتب الأدب المطوّلة، اختصر الأغاني والعقد والذخيرة ونشوار المحاضرة ومفردات ابن البيطار والتواريخ الكبار" ⁽⁶⁾. بل نقل عن الصفدي قوله: "لا أعرف في الأدب كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره، وقد أخبرني ولده قطب الدين أنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة".

(1) ينظر: الأنصاري، أحمد بن عبدالرحمن، نفحة النسرین (ص125).

(2) ينظر: الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص156).

(3) ينظر: الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص359).

(4) في ابن عبدالبر، أبوعمر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 504): "رويغ بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، من بني مالك ابن النجار. سكن مصر واختط بها داراً. وأمره معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين...".

(5) ينظر: الصفدي، صلاح الدين، نكت الهميان في نكت العيان (ص 261)، وابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15).

(6) ينظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15).

أشهر أعماله وأكبرها لسان العرب، جمع فيها أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً؛ لأنه حواها جميعاً بدءاً بأمهاتها، من العين والتهذيب والأساس والصاح والمحكم والمخصص، وانتهاءً بأجزائها كالإبل والشاهد والخيل والجمال⁽¹⁾.

• التائب الأنصاري:

أحمد بن عبد الرحمن بن عيسى الأوسي الأنصاري، النائب: فاضل من أهل طرابلس الغرب، مولدا ووفاة. أندلسي الأصل. صاحب نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، توفي عام 1155هـ⁽²⁾.

له: قراضة الذهب في علمي النحو والأدب، أظنه لا زال مفقوداً، ويبدو من عنوانه أن موضوعه مسائل النحو، ومسائل الأدب.

• شرح على الأجرومية:

أي شرح على متن الأجرومية الشهير، الذي اعتاد العلماء شرحه للمبتدئين كسلم لعلوم العربية والشريعة.

• الشيخ عlish:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عlish الطرابلسي الدار، المصري القرار، شيخ السادات المالكية بها ومفتيها أستاذ الأساتذة وخاتمة الأعلام، وامتنح بالسجن لما احتلت دولة الإنكليز مصر ومات بأثر ذلك سنة 1299هـ.

له في الفقه: فتح العليّ المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ومنح الجليل على مختصر خليل، وهداية السالك حاشية على الشرح الصغير للدردير⁽³⁾. ومن تصانيفه اللغوية:

1. حاشية على رسالة الصبان، في البلاغة:

الرسالة البيانية، تناول فيها الشيخ محمد بن علي الصبان⁽⁴⁾ المجاز وعلاقاته

(1) ينظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15).

(2) ينظر: الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص324)، والزركي، خير الدين، الأعلام للزركلي (1/ 148).

(3) ابن مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (1/ 551).

(4) صاحب الحاشية المشهورة على شرح الأشموني، وغيرها من الحواشي الشهيرة المنيفة.

وأنواعه، واشتغل العلماء بشرحها كالشيخ مخلوف والشيخ الأنباني، والشيخ عlish، قال في أول شرحها: "... وبعد فهذه حاشية على رسالة شمس المتأخرين أبي العرفان، العلامة الفاضل والأستاذ الكامل محمد الصبان،... التي ألفها في المجاز وما يتعلق به اختصرتها من حاشيني عليها وسيلة الإخوان ومغنيهم عن مراجعة الشيوخ ومشاركة الأقران" (1)

2. حل المعقود من نظم المقصود :

شرح فيه الشيخ عlish نظم المقصود في علم الصرف لأحمد الطهطاوي (2)، وسماه حل المقصود من نظم المقصود، وأبدأه بقوله: "...أما بعد: فيقول عبد الله محمد عlish: قد التمس من الأخ الفاضل الشيخ أحمد بن عبد الرحيم شرحاً لطيفاً على منظومته للمقصود في الصرف فأجبتة معتمداً على فضل الله تعالى". (3)

3. موصل الطلاب لمنح الوهاب:

شرح فيه الشيخ عlish نظم منح الوهاب في قواعد الاعراب ليوسف البرماوي (4)، تضمن تعريف الجملة وأنواعها وأقسامها. ابتدأه بقوله: "... أما بعد: فيقول عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الشهير بعlish بكسر العين المهملة واللام المالكي الأزهري: هذا شرح نافع إن شاء الله تعالى للمبتدئ يشهد بمجودته كل ذي لب سليم وعقل مستقيم، على منح الوهاب في قواعد الإعراب، للشيخ يوسف ابن الشيخ عبد القادر البرناوي وسميته: موصل الطلاب لمنح

(1) عlish، محمد، حاشية عlish على الرسالة البيانية للصبان (ص11).

(2) أحمد الطهطاوي (1233 - 1302 هـ) الشافعي عالم، اديب تعلم بالأزهر، واحترف التعليم، من مؤلفاته: الأسئلة النحوية المفيدة والاجوبة العربية السديدة في النحو، النقطة الذهبية في علم العربية، حل العقود من نظم المقصود في الصرف. ينظر: كحالة، رضا، معجم المؤلفين (1/ 271).

(3) عlish، محمد، حل المعقود من نظم المقصود، (ص7).

(4) من علماء القرن الثالث عشر الهجري، نحوي، ناظم. من آثاره: منظومة منح الوهاب في قواعد الاعراب. ينظر: كحالة، رضا، معجم المؤلفين (13/ 280).

• عبدالرحمن البوصيري الغدامسي:

ابن محمد، بن قاسم، يلقب بالأخضري، الأستاذ العلامة، الفقيه، الأصولي، المحدث الأديب ولد بمدينة غدامس 22 من ذي القعدة سنة 1258 هـ. تلقى دروسه الأولية بغدامس، ثم انتقل إلى طرابلس، وأخذ في إكمال دراسته على شيوخ عصره، ولازم شيخه العلامة الأستاذ محمد كامل بن مصطفى في الدروس، وفي المطالعة، وفي مراجعة الفتاوى، وله مؤلفات في غالب فنون العربية والشريعة، توفي بطرابلس، الجمعة 15 محرم، 1354 هـ.⁽²⁾

من تصانيفه اللغوية، فاكهة اللب المصون شرح الجواهر المكنون⁽³⁾، شرح فيه منظومة الأخضري الشهيرة في البلاغة، التي نظم فيها تلخيص القزويني، كتب الله لناظمها القبول في تأليفه، فهو صاحب متن الأخضري في الفقه المالكي، وصاحب نظم السلم المنورق في المنطق، وصاحب نظم الجواهر المكنون الذي شرحه الشيخ البوصيري في فاكهة اللب المصون.

• الشيخ حسن العطار، شيخ الأزهر:

ذكره صاحب كتاب قصة الأدب في ليبيا⁽⁴⁾، ضمن علماء البلاد الليبية؛ لأن أصله من طرابلس الغرب. توفي 1250 هـ، له الحواشي الشهيرة والتقارير المنيفة على متون العربية والأصول⁽⁵⁾، من ذلك:

1. حاشيته على السمرقندية في البيان في مسائل التشبيه والمجاز والكناية.
2. حاشيته على شرح الأزهرية: لخالد الأزهري في النحو، وهو شرح مشهور

(1) عيش، محمد، موصل الطلاب لمنح الوهاب في قواعد الإعراب (ص224).

(2) الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص213)، وخفاجي، عبد المنعم، قصة الأدب في ليبيا (ص275).

(3) الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص214).

(4) خفاجي، عبد المنعم، قصة الأدب في ليبيا (ص240).

(5) ينظر: كحالة، رضا، معجم المؤلفين (3/ 285).

على نسق الأجرومية ومتممتها.

3. حاشيته على شرح المقولات: لأحمد السجاعي في المنطق، وله أيضاً منظومة خاصة في مبادئ النحو مشهورة بمنظومة العطار في النحو، متداولة مشهورة بين أهل العلم.

• إبراهيم باكير:

إبراهيم باكير: فقيه حنفي، له نظم واشتغال بالأدب. من أهل طرابلس الغرب، مولداً ووفاته. (1273 - 1362 هـ)، كان ينعت بشيخ مشايخ القطر الطرابلسي، له تأليف منها (فتاوى) على المذهب الحنفي، و(منظومة) في الحكمة والأدب⁽¹⁾.

من تصانيفه اللغوية، منظومة⁽²⁾ في علاقات المجاز المرسل، كالكلية والجزئية.

• الشيخ رحومة الصاري:

من علماء زليتن، ولد بزليتن بقرية الباز ليلة الثاني عشر من شعبان سنة 1283 هـ. وحفظ القرآن في سن مبكرة، وأخذ العلم عن عمه الشيخ علي الصاري، والشيخ عبد الحفيظ بن محسن، والشيخ مفتاح بن زاهية، وغيرهم من علماء بلده الأجلاء.

جاور في المدينة المنورة مدة من الزمن أخذ فيها الحديث والتفسير عن علمائها الأفاضل وأجازوه في ذلك. له مشاركة في العلوم العربية، والشرعية أصولها وفروعها، وحديثها وتفسيرها.

وقد انتفع به خلق كثير، توفي ليلة الاثنين الخامس من ربيع الأول سنة 1366 هـ⁽³⁾.

من تأليفه اللغوية:

1. تدريب المتعلم على منطق السلم، شرح فيه الشيخ الفاضل منظومة

(1) ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام للزركلي (1/ 33)، والزواوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص 60).

(2) الزواوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص 58).

(3) الزواوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص 159).

الأخضري في المنطق، المسماة بـ (السلم)

2. نظم رسالة الدردير في البيان⁽¹⁾، التي شرحها الدردير بعد في تحفة الإخوان في علم البيان، وَقَدْ بَحَثَ فِيهَا الْمَجَازُ بِنَوْعَيْهِ: اللَّغَوِيِّ، وَالْعَقْلِيِّ. ثُمَّ اللَّغَوِيُّ بِشَقَائِهِ: الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، وَالِاسْتِعَارَةِ. وَالتَّشْبِيهِ وَالْكَنَايَةِ.

3. شرح منظومة السجاعي في البيان، المختصة بعلاقات المجاز وأنواعه.

4. مجموع لطيف في بعض الحقائق والقواعد النحوية، نثر فيه بعض الحدود والتعارف والتقسيم النحوية.

• محمد بن عبد الرحمن بن قنونو:

العالم الفاضل، المؤلف المتقن، ولد ببلدة زليت في عشرة الثمانين بعد المائة والألف هـ، وأخذ العلم عن علماء بلده الأجلاء، وله تأليف ما زالت مخطوطة لم يطبع منها شيء، وتوفي تقريباً في عشرة الخمسين بعد الألف والمائتين.

له: منظومة في الألف الثابتة والمحدوفة في رسم القرآن على طريقة الداني⁽²⁾ جمع فيه مواضع الألفات الثابتة والمحدوفة في القرآن.

• محمد كامل بن مصطفى:

ابن محمود الطرابلسي الحنفي: فقيه، من أهل طرابلس الغرب، ولد بالزاوية 1244هـ، رحل إلى الأزهر وتعمق في دراسة الفقه المالكي إلى جانب فقه أبي حنيفة والشافعي، ولي الإفتاء بطرابلس عام 1311 إلى أن توفي. من كتبه "الفتاوى الكاملية، في الحوادث الطرابلسية" على الفقه الحنفي، و"تعليق على تفسير البيضاوي"، وتوفي عام

(1) ولعل سائلاً يسأل ما بال العلماء يكثر من التصنيف في مسائل البيان؟ والجواب أن البيان يعد لب علم البلاغة (البلاغة وخصائصه؛ لأنه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة، وفيه يتفاوت الناس في الإجابة، ولذا سعى العلماء علم البلاغة بالبيان وسماوا العالم به بياناً، والله تحدى العرب في بيانهم، وامتن على الإنسان بتعليمه البيان، فقال عز من قائل: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)، وهو إن كان عاماً بلام الاستغراق إلا أنه من خصائصه معنى البيان الاصطلاحي.

(2) - الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص383).

1315 هـ، وكانت له عناية بالعربية حتى لُقّب بـ (سيبويه زمانه)⁽¹⁾.

له: **حواش على السعد**، وهو مختصر سعد الدين التفتازاني على متن تلخيص المفتاح للقزويني، الذي تبارى العلماء في شرحه، والتحشية على شروح، من أشهر شروحاته: شرح السعد، وشرح البهاء السبكي، وشرح يعقوب المغربي. وأكثر حواشي العلماء على شرح السعد، كحاشية الدسوقي، وحاشية يس الحمصي، وحاشية محمد كامل الطرابلسي.

• الشيخ الطاهر أحمد الزاوي:

ولد بمدينة الزاوية الغربية سنة 1890، وتلقى مبادئ تعليمه بها، وفي أوائل سنة 1912 رحل إلى الأزهر لإتمام دراسته، فأخذ عن جماعة من العلماء ثم رجع إلى طرابلس سنة 1919، وعاصر حركة الجهاد الليبي، وتوفي يوم الأربعاء (5 - 3 - 1986) بعد مسيرة حافلة بالعطاء الوطني والعلمي، فقد جمع الشيخ الطاهر كأبناء جيله من علماء الأزهر، وفي إطار الحياة الثقافية الثرية بمصر في النصف الأول من القرن العشرين، بين عدة ألوان من التراث العربي الإسلامي.

فاشتغل (موضوعياً) بالتاريخ، واللغة، والفقه، وتوزعت جهوده في هذه الحقول المعرفية بين التأليف، والتحقيق، والترتيب، والاختصار، والتحرير، وانقسمت أعماله إلى شقي التراث العربي الإسلامي، والمكتبة الليبية التي استأثرت بكل آثاره التاريخية، وقد أعطى الشيخ الطاهر كل وقته الذي عاشه في مصر، أي نحو أربعة عقود، للدراسة والكتابة. وكان صبوراً لا يكل ولا يمل من التعلم والتعليم والبحث والكتابة، وكان موسوعياً في علمه.⁽²⁾

ألّف ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة،

(1) الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص384)، والمصراقي، مصطفى، أعلام من طرابلس (ص175).

(2) ينظر:

ومختار القاموس: مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير.
وحقق: الكشكول، تأليف بهاء الدين العاملي، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، وديوان البهلول، ومثلثات قطرب، نظم الأستاذ إبراهيم الأزهرى، ومنظومة الفروخي في الكلمات التي تنطق بالطاء والضاد، والدرر المبتثة في الغرر المثلثة، للفيروزآبادي.

ترتيب القاموس المحيط ومختاره، أجل أعمال الشيخ اللغوية:

القاموس المحيط اشتغل الناس به شرحاً وتحشية ونقداً واختصاراً، غير أنه لم يزل عصياً على أكثر الطلاب؛ لاعتماد ترتيبه على أواخر الكلم، واعتبار الأصلي دون الزائد⁽¹⁾، حتى انبرى له الشيخ الطاهر الزاوي فرتبه وقربه، وهذبه بعد في مختار القاموس فألحقه عمله الجليل بركب الأولي، وصيّر ترتيب القاموس ومختاره قرين صاحب القاموس، وإنها لمنقبة أي منقبة.

وبما أن صفحات البحث لا تتسع لأكثر مما تقدم فسيذكر الباحث طائفة من علماء ليبيا المعاصرين مع نبذة يسيرة عنهم مشفوعة بذكر مصنفاتهم اللغوية، معتمداً في ذلك على صفحات النت والفيس كصفحة سير أعلام ليبيا (2)، ومشايخ وعلماء ليبيا.

• محمد إبراهيم المحروق:

ولد الشيخ سنة 1950م، بمدينة مصراتة، درس بالمدارس التابعة للمعارف، ثم أكمل دراسته بالمعهد الزروقي التابع لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي، وبها حفظ القرآن ودرس مبادئ العلوم. ثم شد الرحال لمدينة البيضاء، والتحق بمعهد القراءات هناك، وتخرج فيه بتفوق سنة 1972م، وتحصل على الإجازة في علم التجويد والقراءات العشر. له: نسيم السحر في نظم القطر، وفصل الخطاب في نظم قواعد

(1) الزاوي، الطاهر، ترتيب القاموس (3/1).

(2) موقع سير أعلام ليبيا، ومشايخ علماء ليبيا، وعلماء ليبيا في الأزهر.

الإعراب.

• محمد رمضان الجري:

ولد في مدينة القصبات سنة 1940 م وتربى في كنف أسرة معروفة بالعلم، التحق بمعهد سيدي عبد السلام الأسمرى الدينى بزلتين، وواصل تعليمه في العلوم اللغوية والشرعية إلى أن نال درجة الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) في البلاغة، والنقد بمرتبة الشرف الأولى، في جامعة الأزهر سنة: 1978، وواصل العطاء في كليات البلاد ومساجدها معلما ومشرفا ومشاركا إلى أن توفاه العلي القدير فجر يوم الثلاثاء 2008/12/23 م الموافق 25/محرم/1430 هـ بمسلة. له: جامع العبارات في تحقيق الاستعارات تأليف: أحمد مصطفى الطرودي، تحقيق، وابن قتيبة الدينوري ومقاييسه البلاغية، والنقدية، كتاب في (معاني القرآن الكريم- تفسير لغوي موجز، بالاشتراك مع ثلة من العلماء، والبلاغة التطبيقية دراسة تحليلية في علوم البلاغة، والأدب المقارن، والأسلوب والأسلوبية.

• محمد مسعود جبراني:

ولد في مدينة طرابلس الغرب مسقط رأس آبائه وأجداده، بتاريخ 21 جمادى الآخرة 1946/5/23، ودرس فيها مراحل تعليمه المختلفة بدءًا من مرحلة التعليم الابتدائية والإعدادية، وانتهاء إلى الشهادة الجامعية الماجستير، واستفاد من مجالس أساتذته وشيوخه: علي الفقيه حسن، وأحمد أحمد قنابة، وعمر العربي الجنزوري، ومحمد مسعود فشيكة، وغيرهم من علماء طرابلس، ونال بعد درجة أطروحة دكتوراه الدولة في المغرب في الأدب الأندلسي عام 1997.

من كتبه وتحقيقاته المطبوعة: أحمد الفقيه حسن الحفيد، حياته وأدبه، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا طرابلس الغرب، مصطفى بن زكري في إطار حياته وملاحم أدبه مع تحقيق ديوانه، وسبك المقال في فك العقال، لعبد الواحد بن الطواح، تحقيق، وأديب العدوتين مالك بن المرحل، دراسة تحليلية في

أخباره، وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، وديوان الجوالات، لمالك بن المرحل، وفنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، المضامين والخصائص الأسلوبية، وعبد الواحد بن الطواح من أعلام الغرب الإسلامي المغمورين في القرن الثامن الهجري، واللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب، وإيضاح المبهم من لامية العجم، لأبي جمعة الماغوسي، دراسة وتحقيق، ومصطفى بن زكري في أطوار حياته وملاحم أدبه وتحقيق ديوانه، وأبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي.

• مصطفى العربي:

ولد بقرية بني ليث بمدينة مسلاتة 1936م، درس أولاً في زاوية الفاسي، ثم زاوية سيدي الدوكالي ثم معهد أحمد باشا، سافر لاستكمال دراسته العليا بالأزهر الشريف، حيث نال في ثلاثين أغسطس سنة 1973 م درجة الماجستير والدكتوراه عام 979 م من قسم اللغويات بمرتبة الشرف الأولى، وكان يحاضر في غالب جامعات البلاد وأشرف وناقش عدة بحوث.

له: تفسير لغوي للقرآن الكريم مع نخبة من أعلام ليبيا، و"نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل" لمحمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلائي، تحقيق.

• أحمد عبدالسلام محمد أحمد أبو مزريق:

ولد الشيخ سنة 1927م تقريبا، ابتداء في طلب العلم بتوجيه من عائلته في سن مبكرة، فالتحق بالكتاتيب في بداية نشأته، ثم التحق بالتعليم النظامي، فحصل على الابتدائية الأزهرية، والثانوية الأزهرية من معهد القويري الديني الأزهرية، ثم التحق بجامعة البيضاء كلية أصول الدين إلى أن تخرج منها عام 1968م، من تصانيفه اللغوية:

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، جله مباحثه لغوية وبيانية وإعرابية، ومختارات من جمع الحديث المرتب من كتاب لسان العرب، واقتباس الشعر الحكيم من آي الذكر العظيم.

• علي مصطفى المصراقي :

ولد في الإسكندرية سنة 1926 م وتلقى تعليمه بالجلادين ببولاق سنة 1933م ثم التحق بالأزهر الشريف - نال الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام 1946م. ثم شهادة التدريس العالية من كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية سنة 1946م.

من مؤلفاته اللغوية: أعلام من طرابلس، ولمحات أدبية عن ليبيا، وشاعر من ليبيا، وجحا في ليبيا دراسة في الأدب الشعبي، والمجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، ومرسال وقصص ليبية أخرى، وابن حمديس الصقلي، والشرع الممزق، ومجمع الجهلة، والشمس والغربال، وخمسون قصة، والأمثال الشعبية.

• عبد المولى البغدادي :

ولد في (7 مارس 1938، طرابلس)، تلقى تعليمه الأول في معهد أحمد باشا الديني حيث نال منه الشهادة الثانوية، ثم حصل على درجة الليسانس من كلية اللغة العربية بالبيضاء عام 1965. وفي عام 1971 حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر، توفي 20 نوفمبر 2020 بطرابلس بداء (كورونا).

له: من وحي الثمانين، عودة الحب، الراية البيضاء، على جناح نورس، ومولاي عبدك بين اليأس والأمل، والشاعر الليبي أحمد رفيق المهدي (رسالة ماجستير)، والأدب الليبي: أهدافه ومذاهبه (رسالة دكتوراه).

• خليفة محمد التليسي :

ولد 9 مايو 1930، ودرس مراحله الأولى والثانوية في طرابلس، وتوجه إلى إيطاليا عام 1960 في بعثة أدبية للتعرف على الأدب الإيطالي وكتابه المعاصرين، ليتحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة نابولي، تنقل بعد في وظائف علمية وإدارية إلى أن توفي 13 يناير 2010م.

من مؤلفاته اللغوية: الشابي وجبران. رفيق شاعر الوطن. مُعجم معارك الجهاد في ليبيا. بعد القرضابية. رحلة عبر الكلمات. كراسات أدبية. رفيق شاعر الوطن.

الفنان والتمثال (ترجمة). مختارات من روائع الشعر العربي. قاموس التليسي.

• علي فهمي خشيم :

وُلد علي فهمي خشيم بمصرارة بليبيا عام 1936 م حصل على ليسانس آداب تخصص فلسفة بكلية الآداب، الجامعة الليبية - بنغازي 1962م، وعلى ماجستير فلسفة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1966م. وعلى دكتوراه فلسفة، كلية الدراسات الشرقية جامعة درم - بريطانيا 1971م، وتوفي يوم الخميس 09 يونيو 2011 في ألمانيا.

من تأليفه اللغوية: مرّ السحاب: مقالات قصيرة في السياسة والأدب والاجتماع. رحلة الكلمات الأولى: مقارنات بين العربية واللغات الأوربية. هل في القرآن أعجبي؟ رحلة الكلمات. القبطية العربية: دراسة لغوية مقارنة. الأكديّة العربية: دراسة لغوية مقارنة.

• محمد مفتاح قريو :

ولد في مدينة مصرارة 1914م ألحق بالمدرسة القرآنية في قرية الغيران، ثم ألحق بالمعهد الزروقي، ثم انتقل للمعهد الأسمرى، ثم الجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء، وتخرج فيها محرزاً للشهادة العالمية، واصل مسيرته العلمية إلى أن توفي عام 2002 م. من تأليفه اللغوي: الكشكول في الفوائد وضبط الفنون، وشرح نظم سلم الإنشاء.

• إبراهيم عبد الله رفيده :

ولد بمصرارة 1931م، بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاوية البي (المنتصر)، وتلقى بعد ذلك دروساً في مبادئ بعض العلوم العربية والشرعية كالنحو والفقه، ثم التحق بمعهد أحمد باشا الديني بطرابلس، ثم التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وتحصل في سنة 1976م على الدكتوراه واصل عمله الأكاديمي حتى توفي بطرابلس سنة 1999م.

من تأليفه اللغوية: القرآن واللغة العربية. أصالة اللغة العربية وعلومها. الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي الأول. النحو وكتب التفسير. معاني القرآن، وهو تفسير لغوي موجز اشترك في كتابته مع أساتذته آخرين.

• محمد مصطفى صوفية :

من مواليد 1939م بزلتين، بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم، فالمعاهد الدينية، ثم التحق بالدراسة في كلية اللغة العربية بجامعة السنوسي الإسلامية التي تخرج منها عام 1968م، ثم التحق بالدراسة العليا في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بمصر إلى أن تحصل على الدكتوراه في البلاغة والنقد 1980م، وأسهم في الجامعات الليبية محاضراً ومشرفاً ومؤسساً، توفي في شهر أغسطس 2008م.

من تأليفه اللغوية: المباحث البيانية بين ابن الأثير والعلوي، وشرح التلخيص للشيخ أكمل الدين البابرتي- دراسة وتحقيق - وتأليف معاني القرآن الكريم مع آخرين

هذا وفي الأحياء من علماء البلد مشاهير، لهم إسهامات معروفة في علوم اللغة العربية من أمثال الشيخ عبداللطيف الشويرف في جمع كريم لا يزال على درب الأولين في مسيرة خالدة إلى ما شاء الله.

الخاتمة

- لا يزال علماء البلاد الليبية يساهمون في مسيرة الركب الحضاري الخالدة في حفظ لغة القرآن الكريم في جل الفنون والقرون، من لدن دخول الفاتحين شمال إفريقيا وليبيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- أثناء البحث عن تصانيف اللغويين الليبيين وُجد نفرٌ ليس بالقليل ممن سميت مصنفتهم في علوم العربية.
- يغلب على الظن أن المغومرين في هذا المجال أكثر من المذكورين في كتب التراجم والسير والرحلات؛ لأن هذه البقعة لم تحظ بكثرة وافرة تهتم بحفظ إنتاج علماء البلاد الليبية العلمي.
- لعل بعد البلاد الليبية عن حاضرة العالم الإسلامي في مصر والشام في القرون الماضية يُعزى إليه قلة المدون من مآثرها العلمية.
- من يتصفح الكتب التي حُصصت للحديث عن علماء ليبيا - مع قلتها- يتفاجأ بهذه الشلة العظيمة الفخمة التي حافظت على ميراث الأمة اللغوي والشرعي.
- من علامة نبوغ أهل البلد في العلوم الشريفة أنّ جمعا ممن طلبوا العلوم في الأزهر والزيتونة بز أقرانه، وأشير إليه بالبنان، من أمثال الخطاب، وابن منظور، والطاهر الزاوي، ومصطفى المصري في جمع كريم يطول عددهم وتعدددهم.
- يلاحظ في مسميات فنون اللغة المذكورة في البحث أنها من جنس ما يتفاخر به المشاركة والمغاربة في العلوم، وهذه منقبة أي منقبة لعلماء اللغة الليبيين.
- من مصنفات علماء البلاد الليبية السائرة: لسان العرب، ومواهب الجليل، وكفاية المتحفظ، ومنح الجليل، والضياء اللامع، وترتيب القاموس ومختاره.
- لما اختير عنوان البحث خيف من عدم كفاية الموروث العلمي اللغوي الليبي لصفحات البحث، فإذا بالبحث يُخرج دررًا ومآثر لا يكفيها ضعف أوراق البحث.
- من الملاحظ اهتمام علمائنا المعاصرين بلغتهم العربية دراسة وتأليفًا وتحقيقًا استمرارًا لمسيرة علماء البلاد في الحفاظ على لغة القرآن المحفوظة بحفظه.

فهرس المصادر والمراجع

1. ابن الأجدابي، إبراهيم، الأزمنة والأنواء، تحقيق: عزة حسن، وزارة الأوقاف المغربية، ط/2، 2006م.
2. الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، د.ت.ط.
3. الأنصاري، أحمد بن عبدالرحمن، نفحة النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.
5. ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد، الهند، ط/2، 1392هـ-1972م
6. ابن عبدالبر، أبو عمر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط/1، 1412هـ - 1992م.
7. ابن مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/1، 1424هـ - 2003م.
8. التجاني، محمد، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، د.ت.ط.
9. التنبكي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط/2، 2000م.
10. التنبكي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف، الرباط، ط/1، 1420هـ، 2000م.
11. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،

- بيروت، ط/1، 1414 هـ - 1993 م
12. خفاجي، عبد المنعم، قصة الأدب في ليبيا، دار الجيل، بيروت، ط/1، 1992 م
13. الزاوي، الطاهر، ترتيب القاموس المحيط، دار الفكر، ليبيا، د.ت.ط.
14. الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/3، 2004 م.
15. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط/15، 2002 م
16. الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط/1، 1418 هـ - 1998 م
17. الصفدي، صلاح الدين، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1428 هـ - 2007 م
18. عlish، محمد، حاشية على الرسالة البيانية للصبان، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.
19. عlish، محمد، موصل الطلاب لمنح الوهاب في قواعد الإعراب، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.
20. عlish، محمد، حل المعقود من نظم المقصود، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.
21. القاضي عياض، أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.
22. كحالة، رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.ط.
23. المصراحي، مصطفى، أعلام من طرابلس، الدار الجماهيرية، ط/4، بنغازي، 1986 م.
24. الوقاد، خالد الأزهرى، إعراب الألفية، المكتبة العصرية، ط/1، 1430 هـ.

- موقع سير أعلام ليبيا، <https://bit.ly/3S6738R>
- موقع علماء ليبيا في الأزهر، <https://bit.ly/3qHq0ml>
- موقع مشايخ وعلماء ليبيا، <https://bit.ly/3QJUO0l>

مدونة اللهجة الليبية، أو مقارنة حول مصادرها

أ.د. عبد الله الزيات (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح المرسلين سيدنا محمد

وبعد:

فإن الفرق بين الأجيال سنة من السنن التي بثها الله في الكون وظاهرة من الظواهر التي تستلفت نظر المتفكرين والمعتبرين المتخصصين في جميع الفنون والعلوم، ومن ضمن ذلك علوم اللغة التي تدرس الخاصية الكبرى التي ميز الله بها الإنسان الذي خلقه وعلمه البيان، وأرسل إليه الرسل عنه مبلغين، مبشرين ومنذرين؛ كلا بلسان قومه، وكانت العربية اللسان الذي ختم الله به الرسالات، فجد فيها الجادون واستنبط قواعدها المقعدون محافظة على لغة الوحي واهتماما بمفتاح الهداية وصارت خدمتها والمحافظة عليها ركناً أصيلاً من أركان الدين تشتغل به الأمة وينهض بمسؤوليته ذوو الهمم وأصحاب العقول الذين يتعاطون أمور اللسان ويتناولون لغة الشعب؛ فيعالجون قضايا كثيرة، ومسائل عديدة في هذا اللسان، ومن بين ذلك أن الألفاظ التي يستعملها جيل ما، وكذلك التراكيب والصور، كثير منها أو بعض منها، غير التي استعملها الجيل الذي قبله، وكذلك غير التي سيستعملها الجيل الذي بعده، " ولغة الأولاد دائماً بنت المحيط والبيئة بتركيبها " (1) وهكذا ففرق الأجيال يوجد في مظاهر كثيرة ومن بينها اللغة، وكلما تقدمت الأجيال في الزمن تغيرت ألفاظها نوعاً من التغيير؛ كبيراً أو صغيراً، وقديماً قال ابن خلدون: "اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضار ليس بلغة مضر القديمة، ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى

(*) أستاذ بكلية اللغات وعضو مجمع اللغة العربية.

(1) المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ، نجيب محمد البهيتي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1980، القسم الأول

قائمة بنفسها، بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد، فأما إنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي يعد عند صناعة أهل النحو لحنا . . . " ⁽¹⁾ وصار هذا التغير أسرع في عصر العولة وعصر المعلوماتية المنتشرة والمتطورة ، فساعد ذلك على تجديد ألفاظ وهجران أخرى وإبداع ثالثة، وتطور في تركيب العبارة ودلالات تركيبها ، وهذا كله لا شك ظاهرة لغوية بل ظواهر لغوية تحدث في العامية كما تحدث في الفصحى ، والمعالجات التي يقوم بها المختصون في العامية ليس من باب هجر الفصحى وتهميشها بل من أجل تقويم ما يمكن تقويمه من العامية وإصلاح ما يمكن أن يرى فاسداً وبالتالي الإفادة من هذه الخروقات التي تحدثها العامية دون قصد الإفساد ولا استهداف تهमيش العربية بل القصد المحافظة على العربية والتذكير بأنها القاعدة العامة التي يجب أن يحافظ عليها مهما بعدنا في دراسة صور اختلال اللسان العامي أو انحرافه عن العربية الفصحى أو المضرية كما قال ابن خلدون، ومن ثم ليس من حرج على من قام بدراسة العامية بصور مختلفة طالما كان ديدنه المحافظة على هذا اللسان الشريف الذي شرفه الله بأن يجعله لسان الرسالة العامة إلى جميع البشرية والخاتمة لكل الرسائل المبشرة عن الله .

واللهجة الليبية لهجة أو ظاهرة لغوية تكونت مثل أي ظاهرة لغوية يصعب تحديد تاريخ فاصل لبدايتها ولكن استطاع تقريب ذلك ، وذلك التقريب هو ما افتقدناه في اللهجة الليبية .

والدراس للعامية الليبية في هذا الإطار ربما استوقفه أول ما يستوقفه البحث عن مصادرها والعثور عن مظانها وخصوصاً أنّ كثيراً منها لم يسجل في كتب ولم يحفظ بقصد الرواية، وحتى النصوص التي من المتوقع أن تستعمل فيها الرواية وهي الشعر لم يصل إلينا الجزء الكبير منها، فلقد ضاع الكثير من الشعر الشعبي بموت أصحابه، نظراً لأنّ اعتماد حفظ ذلك الشعر على الذاكرة، وعدم كتابته؛ لانتشار

(1) المقدمة ط4 دار القلم ، بيروت لبنان 1981 ، ص: 558 .

الأمية التي عادة ما تكون ظاهرة في الوسط الذي يوجد به الشعر الشعبي حتى صارت كمية الشعر الشعبي الذي ضاع أكثر مما حفظ ووصل إلى الأجيال المتعاقبة حتى إنّ بعض الشعراء لم يصل من شعرهم إلا قصيدة أو بعض أبيات فقط، وهم شعراء مشهورون وبالتالي فإن أقل نصوص التراث هو المكتوب الذي وصل، وأغلبه هو ما التقط من أفواه الرواة والحفاظ⁽¹⁾.

ولطبيعة تكون الشعر الشعبي الذي لا ينتشر إلا في بيئة أمية فإن الشعر الشعبي الليبي كان غالباً وليد بيئة بدوية صحراوية، لا نعرف دقائق الحياة فيها لأننا لم نعيشها أو لم نخط بمعايشة أصحابها أو من عاش فيها، ولذلك أحتج إلى تسجيل ذلك الشعر الذي يمثل نوعاً من الحياة، بل تاريخاً متعدد الجوانب على جزء مهم من رقعة في البلاد، ومهما كان فأبعد دواوين اللهجة الليبية هو ديوان الشريف بوقنانة الزيداني الذي يرجع إلى آخر القرن التاسع عشر.

يمكن أن يرجع إلى الرواية الشفهية للقصة الهلالية وأبي زيد الهلالي، ولكن لا نجد لها مسجلة حتى اليوم باللهجة الليبية، وإنما هي مروية شفوية تتغير الرواية فيها من مكان إلى آخر.

وإنّ وجدنا بعض الإشارات إلى تكون لهجة يمكن أن تكون مفيدة فيما يسمى لهجة ليبية فهي قليلة؛ فالتيجاني صاحب الرحلة إلى الديار الليبية في أوائل العقد الأول من القرن الثامن للهجرة، أوقفنا على استعمال كلمة كرامة في اللهجة الليبية أو بالأحرى الطرابلسية⁽²⁾ منذ ذلك الحين إلى اليوم ولكننا لا ندري بداية استعمالها عند الليبيين بذلك المعنى.

والدارس للهجة الليبية قد يلتفت إلى بعض المصادر التي ربما اعتقدنا أنها مفيدة في هذا المجال الذي نقف فيه على قمة سامقة في المجال اللغوي وهي من أبناء هذا البلد، ألا وهو ابن الأجدابي الطرابلسي اللّغوي الذي اهتم بالفصح، ولا نجد له

(1) انظر ديوان الشعر الشعبي، لجنة جمع التراث بكلية الآداب ج 1 / ص: 1، 2.

(2) الرحلة ص: 246.

ذكرًا للعامية من اللغة في ليبيا أو غيرها إلا قليلًا .

ويمكن أن نفترض أن كفاية المتحفظ يعد قاعدة أساسية في التاريخ للهجة الليبية ، وهذه محاولة للوقوف على إشارات خاطفة لما وجد من تلك الألفاظ وما هو مستمر منها في الوجود اليوم باللهجة الليبية :

فباب صفات الرجال المحمودة المتضمن لـ 17 مفردة لا نجد مستعملًا منها في اللهجة الليبية اليوم إلا اثنين وهما الجَوَاد والصنديد ⁽¹⁾ .

وباب صفات البطولة المشتغل على تسعة ألفاظ لا نجد مستعملًا منها اليوم سوى ثلاثة وهي البطل والشهم والباسل ⁽²⁾، وفي باب معرفة حلي النساء ⁽³⁾ نجد من الأسماء التي ما زالت مستعملة في اللهجة الليبية العقد والسوار والخلخال وإن نطقت ببعض التحريف .

وقد نمر بأبواب وضع ألفاظها لا نجد شيئًا منها مستعملًا اليوم .
في باب الحب والموصوف به نجد لفظين فقط وهما الجوى واللوعة، أما باب ما يحتاج إليه من خلق الإنسان فلا نجد من الألفاظ إلا جثة الإنسان وجثمانه والبشرة بفتح الباء والشين التي نجدها عند الليبيين بضم الباء وتسكين الشين وكذلك الوجنة والهُدب المحرف نطقًا إلى الهُدَب والمحجر والعرنين والأسنان بأقسامها ومسمياتها المختلفة كما هي اليوم ⁽⁴⁾ كما نجد أيضًا في هذه الألفاظ مما زال يستعمل حتى اليوم في اللهجة الليبية الوريد والأوداج والزند والترقوتان التي يوجد مفردها محرفًا في العامية إلى الترقوة بدل الترقوة ، كما نجد أيضًا الشاكلة والسرة ⁽⁵⁾ ، والنفساء ⁽⁶⁾ التي صارت

(1) ص: 38، 39.

(2) ص: 42، 43.

(3) ص: 56.

(4) ص: 63.

(5) ص: 67.

(6) ص: 70.

في الليبية نافسًا، وهو استعمال فصيح بدليل عدم إلحاق التاء له نظرًا لأنه خاص بالمرأة كما قالوا في امرأة حامل ولم يلحقوا التاء بذلك لأن الحمل من طبيعتها وخصوصيتها أي التي من شأنها أن تحمل⁽¹⁾ وكذلك امرأة نافس أي التي من طبيعتها امرأة أن تكون نفساء في بعض عمرها جاء في شرح المفصل بعد أن ذكر الشارح : امرأة طالق وحائض وطامث : " ذهب الكوفيون إلى أن سقوط التاء من هذه الأشياء لأنها معان مخصوص بها المؤنث فاستغني عن علامة التأنيث إذ العلامة إنما يوثق بها عند الاشتراك في المعنى للفصل ، فأما إذا لم يكن هناك اشتراك فلا علامة "⁽²⁾، كما بقي مستعملًا من الألفاظ الفصيحة في هذا الباب العانس والكهل والأشيب وهذا الأخير صار شائبًا أو شيبانيًا ولعل الأصل فيها نسبة غير قياسية وغير فصيحة إلى الشيب ، كذلك الحرف⁽³⁾ الذي يستعمل في العربية منه اسم الفاعل المخرف ، والأصلع والأفلاج والأرث والتتمام والألثغ⁽⁴⁾.

أما في باب الإبل ومسمياتها فمن الأسماء التي ما زالت مستمرة في العامية الليبية وذكرها ابن الأجدابي في الفصح الناقة ومن أسمائها العُشراء إذا بلغت في حملها عشرة أشهر ولكن العامية تطلق هذه الصفة وتحول الألف الممدودة إلى تاء تأنيث وتسكن الشين فيقولون العُشرة، وليست هي التي بلغت في حملها عشرة أشهر وإنما كل ناقة أو شاة أو بقرة بان حملها، بغض النظر عن عدد الأشهر ، كما يستمر اليوم في اللهجة الليبية من مسميات الإبل وأوصافها الثني والرّباع والسديس مستعملة في الدلالة على أعمارها وعلى أعمار الغنم والبقر أيضا كما يستمر من الأسماء المستعملة البعير والجمال، وهذا الأخير بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة كما قال ابن الأجدابي⁽⁵⁾ وكذلك القعود وهو بمنزلة الفتى ، والبكر والبكرة ، والشارف في الناقة

(1) انظر النحو الوافي لعباس حسن ، ج 3/ص: 246 ، ج 4/ص: 595 .

(2) شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت المجلد الأول 5/ ص: 101-102 .

(3) ص: 77 .

(4) انظر على التوالي ص: 77 ، 80 .

(5) ص: 86 .

المسنة، وهي في الليبية معممة على سائر المسنات من الإبل والبقر والغنم بل حتى الدواب الأخرى.

ومن أسماء الخيل التي أحصاها ابن الإجدابي في كفايته الحصان والجواد ، أما الأسماء الدالة على ألوانها فما بقي منها هي الأدهم والورد والأغر والمُحَجَّل أو الأَحَجَل⁽¹⁾ .

ومن صفات الرماح المزراق ، وهو الرمح الخفيف ، وفي الليبية هي عصاة من خشب يشبه أحد طرفيها الرمح تستعمل جزءًا من آلة الحرث على الحيوان الجمل أو غيره ، ولم يوجد من أسماء الحمر الوحشية في اللهجة الليبية شيء لأن أصحاب هذه اللهجة لم يعرفوا في أرضهم حمرا وحشية إلا الجحش الذي أطلقته اللهجة الليبية على ولد الحمر الإنسية .

وأسماء الطيور التي ساقها ابن الأجدابي فلم يبق منها مستعملًا اليوم إلا الحمام واليمام والبوم والغراب والنسر والصقر والعُقاب والحبارى وهي في الليبية بتاء التانيث وليس بألف التانيث.

كما بقي الديك والوطواط والخطاف والبلبل، ويفيدنا ابن الأجدابي أن البلبل يسميه أهل الحجاز الشرشور، وهذه اللفظة تدل في العامية الليبية على نوع من الحجارة الصغيرة المفتتة ، ويصف ابن الأجدابي هذا الطائر بأنه طائر صغير يلعب⁽²⁾ وربما يخطر ببالنا هنا سؤال مفاده لماذا لم يشر ابن الأجدابي إلى أن كلمة شرشور تفيد معنى في اللهجة الليبية أو أن هذا المعنى لم يعرف به اللفظ زمن ابن الأجدابي؟

أما في باب النحل والجراد والهوام وصغار الدواب فالذي ما زال مستمرًا من أسمائها حتى اليوم النحل والجراد والأفاعي والحية والصل والثعبان والعقربان وهو في الليبية بفتح الراء ، والذباب الذي صار ذبانا في الليبية، والنمل والقراد والخنفساء التي

(1) ص: 108، 109.

(2) ص: 141.

صارت خنفوسة بإضافة تاء التأنيث بدل الألف الممدودة ، وإضافة الواو بعد مد حركة الفاء، كما بقي اسم الضب واليربوع الذي صار جربوعاً في العامية الليبية والقنفذ الذي صار قنفوذاً في الليبية.

وفي باب نعوت القفار والأرضين مازال يستعمل اليوم الفيا في الصحراء والبرية، والجلهة من جانب الوادي ، والتربة والرمل والقوز الذي ينطق بالقاف الليبية، وفي باب الجبال: الشَّعب وهو في الليبية الشعبة ، والشعاف رؤوس الجبال واحدها شعفة ⁽¹⁾ ، ولعل الواضع الأول الذي سمى منطقة بذلك في مسلاتة كان لذلك فهي شعافيين ، ربما كان القصد جمع شعفة جمعاً مذكراً؛ أي الإنسان المنسوب إلى هذه المنطقة التي تقع على رؤوس الجبال ، حيث ينتهي جبل نفوسة في جبل مسلاتة ، ويبدأ الساحل بعد تلك الشعفة ، ولعل التسمية جاءت من كون الولي الموجود في هذه المنطقة فوق شعفة أو يجاورها إذ يسمى سيدي بو شعفة ، وجاء في قول الشاعر الشعبي رجب بوحويش يذكر ما أصابه من معتقل العقيلة ⁽²⁾:

ما بي مرض غير طولة ريافي ووثقة كتافي

وصبري بلا كسب ميل الشعافي

فسرت الشعافي بأنها: جمع شعفة وهي وبر زائد في ذروة الجمل ⁽³⁾ ولعل هذه استعارة من تلك .

كذلك أيضاً الفجاج وهي الطرق بين الجبال واحدها فج ⁽⁴⁾، ولعل اسم منطقة في وادي الآجال فجيج تصغير فج جاء من هذا الاشتقاق للدلالة على طبيعة تلك المنطقة . كذلك لازال مستعملاً حتى اليوم لفظ السند ، وهو ما ارتفع من الأرض في أصل الجبل . والثنية والقارة، وهذه الأخيرة الجبل الصغير ⁽⁵⁾ ولعل القارة في سبها جاء

(1) ص: 163.

(2) ديوان الشعر الشعبي ج 1 / ص: 231 .

(3) السابق الصفحة نفسها.

(4) ص: 164.

(5) ص: 165.

اسمها من هنا ، وليس لها علاقة بالقاهرة ، بل إن اسمها قارة أصل في العربية والاعتزاز بالوطن ، كما أن الصَّوَّان من الألفاظ المستمرة منذ عصر ابن الأجدابي ، والسَّلام: الحجارة ، واحدتها سِلْمة ، ولعل إطلاق هذا الاسم على قرية في جبل مسلاتة جاء من هنا فهي في العامية الليبية سِلْمة إذ هي قرية كان نواتها حصن يقع فوق جبل ذكر التيجاني أنه يذكر بجبلي أجاً وسلمى⁽¹⁾.

وفي باب المحال والأبنية لم يبق مستعملاً في الليبية سوى الرِّبع والخيمة والعُرصة غير أن هذه الأخيرة تطورت دلالتها من المكان المتسع الذي لا بناء فيه⁽²⁾ إلى العمود الذي يبنى من الخرسانة المسلحة ليقف عليه بناء وغير ذلك ، كما بقي أيضاً العقار الذي حرف إلى العِقار، والبهو للفضاء المتسع وهو مصطلح مستعمل خاصة في المجال العسكري ، والقصر والمحراب والغرفة ، والبناء الذي صار : البَني، والقرية والمدينة اللتين تنطقان مختلفتين عن نطقهما الفصح . وإن كان نطق القرية بالقاف المتوسطة بين القاف والكاف وهي لغة مضر كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون⁽³⁾.

أما الكُفور وهي القرى الخارجة عن المصر واحداً كَفَر: بفتح الكاف فلعل الكُفرة اسم بلاد ليبية جاء منها ، وفي مصر أكثر من كفر من بينها كفر الزيات ، كما بقيت الصفتان أو النسبتان القروي والبدوي⁽⁴⁾ وفي أسماء الأسر الليبية هاتان الصفتان بنطق عامي محرف قليلاً عن الفصح .

ومن أسماء الرياح التي أوردها ابن الإجدابي وهي موجودة اليوم في اللهجة الليبية : السوافي ، والعاصف والنسيم والسموم⁽⁵⁾ ، أما أسماء السحاب والغمام فنجد منها هذين الاسمين ، والمُرْزَم أي المصوت بالرعد؛ ومنه الفعل يُرْزم يستعمله

(1) انظر الرحلة ص: 318 .

(2) ص: 168 .

(3) المقدمة ص: 557 .

(4) ص: 172 .

(5) ص: 176 .

الليبيون في الرد وغيره مما يصوت صوتًا قويًا⁽¹⁾ ، والشؤبوب الذي حرفته اللهجة الليبية إلى الشوب بحذف همزته المتوسطة ، وكذلك هطلت السماء⁽²⁾ . والسيل وسائل الماء الغدير ، والقلت التي حرفتها اللهجة الليبية إلى القلته بإعطائها التانيث بإضافة التاء ، والبحر والّز والشاطئ⁽³⁾ الذي صار في العامية الشط ، وهو في العربية الفصحى بهذا الشكل يعني: البعد .

و أسماء النبات والشجر الفصيحة التي ذكرها ابن الأجدابي وما زالت مستعملة حتى اليوم الشجر والحشيش ، وذكر أنّ الحمض ما ملّح من النبات وفي اللهجة الليبية توجد عشبة حامضة تسمى حُمِيضة ، إضافة إلى الخنزاب والرمان والأقحوان - الذي حرف إلى القيقحوان - والزعفران والعرار الذي صار في العامية الليبية العرعار ، والسدر البري وعنب الثعلب وفي الليبية عنب الذئبة والأراك والأغصان والورق والبُهمى وهي في الليبية البهمة وهو نبت كما قال يشبه السنبُل ، إضافة إلى الحسك والحنظل والجِراء⁽⁴⁾ : أي صغار الحنظل، وفي الليبية واحدها جرو يستعمل أيضًا في البطيخ الصغير ، ويذكر الحُبلة، وهي الكرمة؛ بمعنى شجرة العنب، ولا يشير هنا إلى أن الكرمة يطلقها الليبيون على شجرة التين، وقال بعدها البلس التين ولم يذكر الكرموس ، بينما شجر التين هو الضرف ، كذلك الجلبان والفلول والكزبرة التي حرفت في الليبية إلى الكسير والإبزار الذي حرف إلى ليزار⁽⁵⁾ .

كما ذكر من أسماء محيط النخيل الجبّارة والعَدَق والعُرجون والكِرنافة والجُمّار والإبّار الذي يستعمل الليبيون فعله أبرّ يؤبر بتحريف قليل فيقولون وبر يوبر بجعل الهمزة واوًا وهو موجود في الفصحى . كما يذكر أيضًا من الألفاظ التي ما زالت

(1) انظر لسان العرب ، رزم ، ج: 12/ص: 238، 239 .

(2) ص: 185 .

(3) ص: 189، 190 .

(4) ص: 200 .

(5) ص: 205 .

مستعملة في هذا الميدان الطَّلَع والبُسْر، وفي الزيتون يوجد نوع يسمى بسري نسبة إلى البُسْر وهو ذلك الزيتون الذي يعطي ثمرًا شبيهًا بالبلح في حجمه وفي لونه قبيل النضوج التام . ويذكر الوليمة والعصيدة والحساء والرغيدة والأدم والوجبة ⁽¹⁾ ، والرغيدة التي ذكرها يضاف إليها في الليبية وصف الحليب فيقال رغيدة حليب ، بينما الرغيدة مطلقًا هي دقيق أو سويق يخلط بالماء.

ويذكر من أسماء اللبن أوصافه القارص والرائب والخائر ورغوة اللبن ⁽²⁾ . كما يذكر أن الدَّبس عسل التمر، ويسميه أهل الحجاز الصقر ⁽³⁾ ولم يذكر ما إذا كان الليبيون يسمونه في وقته الرُب .

أما ما ذكره من أسماء الأواني وهو مازال مستعملًا في العامية الليبية فهو الصحن والقَدَح والقِصاع جمع قصعة، والصفحة ⁽⁴⁾ التي هي في الليبية الصفحة . وأسماء اللباس التي ذكرها لا يزال مستعملًا منها حتى اليوم العمامة والوسائد والسرراويل ، والريطة والجرد ، غير أنَّ الريطة في اللهجة الليبية تطلق على الثوب الخَلَق ، كما أن الجرد في العامية الليبية قد لا يعني الثوب الخَلَق، وإنما يعني نوعًا من الثياب الذي من أسمائه أيضًا العباءة : العبي والحوالي .

وذكر أيضًا من أسماء اللباس وأحوالها النقاب والاشتمال والسدل ⁽⁵⁾ التي استعملت في العامية في غير ما استعملت له في الفصحى فالنقاب في اللهجة الليبية صفة لوضع الرجل للجرد بطريقة معينة والاشتمال منه الشملة وهي طرف الرداء أو الجرد الليبيين والسدل تستعمله الليبية كما يستعمل في الفصحى وهو أن يلقي ثوبه عليه ولا يجمعه تحت يده .

(1) ص: 211.

(2) ص: 217.

(3) ص: 220.

(4) ص: 223.

(5) ص: 230.

وفي أسماء الطيب التي ذكرها لم يبق إلا المسك والحناء وعود القماري والزعفران⁽¹⁾.

وأسماء الآلات ما زال مستعملاً منها حتى اليوم القربة والفأس والقداحة والدلو والقدر وهرأوة الفأس والشكوة، والعُكة أصغروعاءً للسمن، والرّشاء⁽²⁾ وهو في الليبية الرشي؛ يجعل الاسم الممدود منقوصاً، والغرارة والمحراث والفتيلة.

وذكر اسماً حُرّف اليوم في اللهجة الليبية ذلك هو المِقْطُ: الحبل وجمعه مُقْط⁽³⁾ وتدعوه اللهجة الليبية المَقْط كما ذكر السّنة : الحديدية التي تشق بها الأرض تجعل في رأس المحراث وقال : وتسميها العامة السكة⁽⁴⁾، وهي كذلك ما زالت حتى اليوم، وهذه هي المرة الوحيدة التي أشار فيها إلى استعمال العامة، كما ذكر المحرك والمِسْعَر وهو العود الذي تحرك به النار⁽⁵⁾ وهو ما زال بالتسمية نفسها بضم الميم بدل كسرهما المُحرك .

ونستطيع أن نقول إنّ الألفاظ التي تجاوزت 770 لفظاً ذكرها ابن الأجدابي لا نجد منها اليوم مستعملاً في اللهجة الليبية سوى حوالي مائة لفظ فقط .

وربما بدراسة مشابهة أو أكثر تركيزاً لمعجم أو معاجم أخرى نستطيع أن نميز تغيراً في اللهجة الليبية أو غيرها، أو ثبوت بعض الألفاظ وتطور أخرى، أو نمو بعض الألفاظ وموت أخرى أيضاً، وما دراسات الغريب والدخيل في العربية الفصحى عنا ببعيدة؛ فلقد كانوا يسجلون ما هو قليل الاستعمال أو نادره من حيث اللفظ نفسه أو اشتقاقه أو وروده بمعنى معين أو في لغة أو لهجة معينة؛ وكذلك ما طرأ على العربية من لغات أخرى فأصبح داخلاً فيها أو معرباً إليها، أما دراسات لحن العوام أو العامة فهي

(1) ص: 233.

(2) ص: 238.

(3) ص: 238.

(4) ص: 240.

(5) ص: 242.

أوضح من أن يُذكر بها أو يوقف عندها في هذه العجالة.

وهناك من الألفاظ ما انقرض في اللهجة الليبية لانقراض مسمياتها مثل مسميات حيوان الصحارى التي يصفها محمد عبد الجليل سيف النصر التي شاهدها في رحلته وكانت موجودة بالصحراء الليبية مثل بقر الوحش والكركدان والودان والفهد ويصف ذلك المصراتي بأنه "انقرض من الصحراء في ليبيا الآن" ⁽¹⁾ كما هو الشأن في ملابس انقرضت هي الأخرى ، ولكن السوربة بقيت فذكرها عبد الجليل بهذا الاسم وهي عبارة عن القميص ⁽²⁾ بل إنّ كثيراً من الأسماء والألفاظ قد انقرض اليوم كما انقرضت المسميات لتطور الحياة وغلبة التمدن والتحضّر على اللهجة الليبية فصرنا نلاحظ فرقاً في الخطاب في الألفاظ ودلالاتها بين الأجيال أي بين الجيل والجيل الذي يعقبه، بين جيل الابن والوالد، ولاشك أن الأمر كذلك كان بين خطاب وألفاظ جيل الوالد وجيل الجد ، وهكذا إلى ما لا نهاية ومن ثم وضع النحاة واللغويون العرب الأوائل شروطاً لما يقبل من العربية دليلاً على قواعدها وألفاظها ، وكانت البداوة في كثير من الأحيان عنصراً حاضراً فيما يقبل من اللغة ، ومن الدليل على قواعدها وبالعكس كان التحضر ومجاورة الأمم الأجنبية مما يبعد الألفاظ عن الأخذ بها في تأصيل قواعد اللغة العربية ومعجمها .

وفي اللهجة الليبية أيضاً تجديد وتطوير وتغير وتبدل وذلك لتغير الزمان والمكان؛ الزمان من حيث الحوادث والمستجدات، والمكان أيضاً من حيث المفاهيم وما يحل في هذا المكان أو يرحل منه؛ ولذلك رأينا كاتباً أو باحثاً في اللهجة الليبية يقول مبرراً لتأليف كتابه: " إنّ المادة التي أقدمها الآن لم يعد لأكثرها وجود في الوقت الحاضر وذلك لتطور المجتمع وتطور الحياة " ⁽³⁾، والتطور مقصود به في غالب الأحيان التغير في الإنسان والزمان والمكان، ومن ثم تغير في لغة هذا الإنسان المعبر بها عن هذا

(1) مؤرخون من ليبيا ص: 207 .

(2) مؤرخون ص: 209 .

(3) من أدب الرعاة ، محمد سعيد القشاط ص: 6.

الزمان الذي يعيشه، والمكان الذي يعيش فيه، وشيء طبيعي أن تنقرض ألفاظ وتولد ألفاظ، وتموت تعابير وتنشأ تعابير أخرى، وتموت حقائق ومجازات، وتنشأ حقائق ومجازات أخرى، كما هو الشأن في الإنسان تموت أجيال وتعيش أجيال، وتموت هذه أيضًا لتخلفها أخرى، إلى أن يشاء الله، ومن ثم لا نستغرب بأن أكثر ما يسجله كتاب القشاطر من لهجة في ألفاظها وتعابيرها قد انقرض لأن "الرعاة أنفسهم انقرضوا ولم يعد لهم وجود" بالمفهوم القديم الذي تناوله الكتاب فأصبح الراعي اليوم عاملاً يتقاضى راتباً شهرياً بدلاً من المقايضة والنصيب من المنتج⁽¹⁾ إضافة إلى ذلك أنه في كثير من الأحيان أعجمي أو لا يعرف العربية ولا لهجاتها.

والأشعار التي يرويها البرموني عن عبد السلام الأسمر، سواء صحت نسبتها إليه أم لم تصح، هي أزجال ليبية كما وصفها محقق روضة الأزهار⁽²⁾ وكما يصفها الأستاذ على المصراقي، وهذا الأخير يصفها بكونها شعراً دارجاً أقرب إلى الزجل⁽³⁾ وهي على أية حال منسوبة إليه، سواء قالها أو قيلت له، وقد بلغ مجموعها حوالي 319 بيتاً كلها في العامية الليبية الأقرب إلى الفصحى، ولعل قربها من الفصحى جاءها من كون من قالها أو نسبت إليه عالم يحيط بكثير من أسس العلوم العربية فأبى أسلوبه العامي إلا أن يتفصح نوعاً من الفصاحة، ولعل قربها أيضًا من الفصحى يجعلنا نظن أنها الأولى في بابها أي بداية تحول الشعر من العربية الفصحى إلى العامية⁽⁴⁾ الليبية، خصوصاً أنّ عبد السلام الأسمر صوفي لا بد أنه عرف الصوفي والزجال الأندلسي الكبير أبو الحسن الششتري في أزجاله الصوفية المنتشرة في الوسط الصوفي الليبي وغيره، والفترة الزمنية التي عاشها عبد السلام ومن ثم وجد فيها زجله تتفق مع ما أشار به

(1) من أدب الرعاة، محمد سعيد القشاطر ص: 6.

(2) كلما روى له البرموني نصاً عامياً أسبقه المحقق بقوله زجل في كل مرة يروي له شعراً عامياً

(3) انظر مؤرخون من ليبيا ص: 59.

(4) انظر الشعر النبطي ح ذائقة الشعب وسلطة النص، سعد العبد الله الصويان، ط 1 دار الساقى بيروت 2000 م، ص: 188.

ابن خلدون قبل ذلك بقليل إلى اتخاذ الناس في مختلف الأقاليم العربية شعراً يعبرون فيه بلسانهم الدارج .

ومهما كانت هذه الأشعار الزجلية الموجودة في روضة الأزهار فهي قليلة من مجموع شعره الزجلي، الذي يفترض أنه أكثر من ذلك بكثير، لأن البرموني لا يروي كل الزجلية التي يستشهد بها ، وإنما يذكر بعضاً منها مكتفياً بعده بقوله "إلى آخر ما قال"⁽¹⁾

وإضافة إلى هذه الأشعار رويت له أشعار أخرى فصيحة وخليلية، وهي أكثر من مائة بيت، قالها في قصائد عديدة إحداها في بيتين تردداً أكثر من مرة، وثانيهما قصيدة على بحر الطويل في حوالي 41 بيتاً⁽²⁾، وأشعار ينسبها إليه البرموني في زعمه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ عدا هذه الأشعار فإن أشعاراً أخرى فصيحة حواها روضة الأزهار نسبت إلى الحلاج أو غيره أو إلى بعض من رثى الشيخ الأسمر جاءت بالفصح ، نسبها البرموني إلى نفسه أو أحمد زروق أو أحمد بن مدين أو عمر بن جحا وغيره من الليبيين⁽⁴⁾.

بل إنَّ عبد السلام ينسب إليه أزجال فصيحة لم يلتزم فيها بعمود الشعر العربي، مثل قصيدة له جاءت في 22 بيتاً بين قافيتي الباء والتاء والتنويع في حركة هاتين القافيتين⁽⁵⁾ .، وبالجمع بين الزجل والفصح من الشعر وبين التصوف يصير عبد السلام صنواً للصوفي السابق عليه وهو أبو الحسن الششتري .

والناظر في أمثال كتاب "بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوام" لابن الحنبلي⁽⁶⁾

(1) انظر مثلاً - ص: 262، 405، 555 .

(2) ص: 744، 743 .

(3) انظر ص: 598، 599 .

(4) ص: 738، 739 .

(5) انظر ص: 408، 409 .

(6) تحقيق ودراسة د. شعبان صلاح ، ط 1 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1410/1990 .

الذي عاش تقريباً في الزمن نفسه الذي عاش فيه عبد السلام الأسمر - حيث توفي ابن الحنبلي عام 971 هـ - يجد كل أشعار عبد السلام الزجلية فصيحة طبقا لإصابات العوام، كما يقول ابن الحنبلي الذي لم يترك تقريباً لحناً لغوياً أو نحوياً إلا التمس له لغة شاذة أو نادرة، كان يتكلمها بعض العرب ، وسجلها بعض اللغويين أو النحاة ، بل إن اتخاذ هذا الكتاب مقياساً يجعل العامية الليبية كلها فصيحة .

واليوميات الليبية مهما كان شكلها ومصدرها هي مدونة مهمة من مدونات اللهجة الليبية، سواء تلك اليوميات التي حققها د عمار جحيدر⁽¹⁾، أو يوميات الجهاد الليبي ورواياته التي سُجلت صوتياً باللهجة الليبية العامية، كما سمعت من المجاهدين أو ممن له علاقة بالجهاد، ثم حول الكثير منها إلى الفصحى ، ونشر في سلسلة فاخرة الطباعة ، وعلى وجه الخصوص ومما فيه العامية مباشرة من أعمال صدرت عن مركز الجهاد الكتاب الذي يحمل عنوان " موسوعة روايات الجهاد ؛ جزء خاص بالمنفيين " من إعداد مجموعة من باحثي المركز الصادر عام 1988 م وهو كله نصوص مقابلات مع المنفيين باللسان الدارج.

وقد وضع محمد سعيد البوجديدي كتاباً بعنوان " المصطلحات الجغرافية الليبية بين الفصحى والعامية رصد فيه ما رآه من مصطلحات جغرافية موجودة في العامية الليبية ولها أصل في الفصحى⁽²⁾ .

أية يوميات ليبية مثل يوميات محمد عبد الجليل سيف النصر التي وسمها بالعنوان " ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل " التي يذكر المصراقي أن محمد عبد الجليل أورد في هذا المؤلف قصيدة من شعره الشعبي يصف فيها غربته ومغامراته وحكاية فراره وفراق أهله ووطنه⁽³⁾ ، ومثل الأزهر الزنتاني في كناشه الذي يكتب فيه عبارات باللهجة الليبية مثل الأفعال : ولى ، وطاح ، وظهر، والاسم رقریق ، التي

(1) وقد سهل الدكتور عمار على الباحث مهمة العثور على أغلب ما يتطلبه الباحث من مصطلحات أو عبارات ليبية خاصة فجمع الكثير من هذه في كتاب بعنوان " معجم اليوميات الليبية " صدر منه الجزء الأول ط 1 مجمع اللغة العربية طرابلس ليبيا 2021/1442 .

(2) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ط 1 ، طرابلس 2006 .

(3) مؤرخون من ليبيا ص: 209 .

تعني على التوالي رجع وأطاح وطلع ، ويونان أو إغريق⁽¹⁾.

كما أنّ من مصادر اللهجة الليبية دواوين شعر مثل ديوان الشعر الشعبي الذي أصدرته جامعة بنغازي بإعداد وإشراف نخبة من العلماء في جزأيه الأول والثاني، وديوان ضو العساس، وكذلك ديوان فضيل حسين الشلماني، وديوان قصائد الجهاد الذي أصدره مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، وكذلك قصائد العشرة الأوائل الذين فازوا في مهرجان للشعر الشعبي طبعتها وزارة الثقافة عام 2000 م . وكذلك كتاب الشعر الشعبي الذي أصدره المركز الوطني للمأثورات الشعبية، وغير ذلك من إصداراته المكتبية مثل ذاكرة قرية بجزأيه؛ حيث ساق بل شرح فيهما المرحوم الأستاذ الدكتور محمد سعيد الكثير من العبارات والجمل الشعبية التي تقال في سياقات مختلفة⁽²⁾.

وكذلك مما أصدره هذا المركز للمأثورات الشعبية كتاب يحمل عنوان "حكومة العراسة" ط 1 1988 م ، من جمع وتحقيق محمد سعيد القشاط المعروف بإنتاجه للشعر الشعبي ودراساته للهجة الليبية ، مثل الكتاب الحامل للعنوان " من أدب الرعاة الصادر عام 1999 م.

وكل مأثورات شعبية سجلت كيفما سجلت ووصلت إلينا اليوم مثل كتاب أحمد النويري " حضور المرأة في المأثور الشعبي " وكتابه " من تراث الشعب " بل إن كتابه الأهم في ذلك هو " التعابير الشعبية دلالات نفسية واجتماعية " الذي يشبه معجماً موضوعياً أو معجماً حسب الحقول الدلالية ؛ حيث يأتي بالتعابير والألفاظ الليبية المستعملة في كل ميدان على حدة، مثل " الكناية في التعابير الشعبية " و" أثر البحر والبحرية في التعابير الشعبية " و" أسماء وحوادث من التاريخ ".

بل إنّ بعض الكتاب الليبيين عرفوا بأنهم يكتبون عادة بالفصحى، ولكننا قد

(1) انظر مؤرخون من ليبيا للمصراقي ص: 177 .

(2) ذاكرة قرية ، محمد سعيد محمد الجزء الأول ط 1 منشورات المركز الوطني للمأثورات الشعبية ، سبها 1998، الجزء الثاني 2001 م.

نجد لهم عناوين أو جملاً بالعامية مثل حسن كامل المقهور⁽¹⁾ ومثل علي مصطفى المصراقي⁽²⁾.

أما تجريدة حبيب⁽³⁾ فهي نصوص أدبية أغلبها شعري، تمثل جميعها مصدرا ثرا للهِجَة الليبية قبل أكثر من قرن من الزمان، بألفاظ وتراكيب في استعمالات وسياقات مختلفة.

كذلك أيضا من مصادر اللهجة الليبية ومصادر دراستها كتب لحن العوام في الفصحى سواء في المشرق أو في المغرب؛ إذ كثيراً ما نجد استعمالات في اللهجة الليبية متطابقة مع ما في هذه الكتب التي تعالج اللحن، وتصحح بعض ما اعتبر لحناً وهو موجود في بعض اللهجات، وكذلك كتب الأمثال العربية القديمة أو المولدة التي كثيراً ما نجد فيها بعض الأمثال مصادر للمثل الليبي.

أما الدراسات والندوات التي خصصها مجمع اللغة العربية للهجة الليبية فهي مصدر ثري لا غنى عنه لمن أراد أن يؤثّل اللهجة الليبية أو يكتب عما حدث فيها من تحريف وانحراف على اللغة العربية الفصحى؛ ونحن في هذا الإطار نتحدث عن "اللهجة الليبية في فضاءها العربي الأوسط بين المشرق والمغرب" الجزأين الأول والثاني و"اللهجة الليبية في فضاءها العربي الأوسط بين المشرق والمغرب" الفصحح المتداول في لهجات البدو في ليبيا؛ الحلقتان الأولى والثانية 2007/1375.

أما الدكتور علي فهمي خشيم فإن له في هذا السياق القِدْح المعلن كما يقال في تقديماته لأعمال عربية شاملة في اللهجات مثل "الوحدة والتنوع في اللهجات العروبية القديمة"⁽⁴⁾ أو أعماله العلمية المؤثّلة للهجة الليبية مثل "الدارجة المغربية

(1) من بين ذلك عنوان مجموعته القصصية "يا سمي صبي العي" أي يا سماء صبي الماء

(2) انظر المثل الذي ساقه: ريدي لي من غير أودان "مجمع الجهلة، دار مكتبة الفكر بيروت 1972، ص: 73..

(3) انظر: تجريدة حبيب؛ مع كتاب خليل وقصائد غزلية، تحقيق صلاح الدين محمد جبريل، ط2 دار إبل للنشر والتوزيع ودار الكتاب الليبي بنغازي ليبيا 1995/1424.

(4) الصادر عن مجمع اللغة العربية الليبي ط1 2005 م.

بين العربية والأمازيغية " (1) ومثل رحلاته عبر الكلمات ؛ أي الرحلة الأولى ورحلة الكلمات الثانية (2) وكتابه "سفر العرب الأمازيغ" (3) ومعلوم أنّ اللهجة البربرية أو اللهجات البربرية ومصادرها هي مصادر ثرة للهجة الليبية العربية؛ إذ إنّ التداخل والتجاور والاحتكاك معروف بين العربية واللهجات الأخرى، وقدّمّا كتب السيوطي كتابًا بعنوان: "المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنَّبَطِيَّة والقبطية والتركية والزنجية والبربرية" (4) فما بالنا نحن اليوم وقد عايشنا اللهجات البربرية وتأثرت بها وأثرت فيها كما هو قانون التدافع والتأثر والتأثير.

وفي مجال مقارنة اللهجات لا يستغني الدارس للهجة الليبية عن مصادر ومراجع تقارنها بأخواتها المغاربيات، وأختهن جميعًا الأندلسية، فيجد ضالته في كتاب العقد لابن عبد ربه (ت 329 هـ)، وكتاب لحن العامة للزبيدي (ت 379 هـ) والمدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي (ت 577 هـ) وكتاب "أمثال العوام في الأندلس" لأبي يحيى الزجاجي القرطبي (ت 694 هـ)، وكتاب معجم إيراد اللآل من إنشاد الضوال وإرشاد السؤال لابن خاتمة الأندلسي (ت 770 هـ)، وفي كتاب حقائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي (ت 830 هـ) ، وكتب الموشحات والأزجال وهذه الأخيرة خاصة وعلى الأخص ديواني أبي الحسن الششتري وابن قرمان القرطبي، وقد حمل تحقيق كتاب أبي يحيى الزجاجي الذي قام به محمد بن شريفة إشارات عديدة إلى مقارنة اللهجة الأندلسية وأمثالها بغيرها من اللهجات العربية ومن بينها الليبية .

ومن الأعمال المعجمية القليلة التي تحققت في العامية الليبية - وفق علمي -

(1) منشورات فكر الرباط المملكة المغربية ، يناير 2008 م .

(2) صدرتا على التوالي عن مركز الحضارة العربية القاهرة 2001 ، ط 2 الدار الجماهيرية مصراتة ، ليبيا 1428 (تاريخ ليبي خاص وضعه القذافي) .

(3) ط 1 ، 1424 .

(4) حققه وعلق عليه د عبد الكريم الزبيدي ، منشورات جامعة سبها ، ليبيا 1986 .

الدلالة والمعجم كما يقول واضعا المؤلف الدكتور عبد الله عبد الحميد بن سويد والأستاذ محمود سلمان الموسوم بـ "الأصول العربية الفصيحة في ألفاظ اللهجة الليبية" ويبدو أنه كان أثارة مما تركته الدراسة الأكاديمية التي تلقاها د عبد الله في دراساته العليا في أمريكا، وهو كتاب مؤثر للألفاظ العربية في اللهجة الليبية، وقد صدر في أول عطاء الدكتور العلمي، إذ صدر عام 1999 عن الدار الجماهيرية للنشر.

كذلك من هذه الأعمال المعجمية القليلة وهو يختلف عن السابق في أنه جعل هدفه كل الكلام المنشور مما صح أن يطلق عليه مثل في رأي الجامعتين لهذه الأمثال، وهما رحيل عمر الشلطي وربيعة عثمان القلال - كتاب بعنوان "الأمثال الشعبية الليبية"، الصادر عن مجلس الثقافة العام في ليبيا عام 2008 م.

والكتاب الثالث في هذه المجموعة المعجمية وإن خص منطقة محدودة في ليبيا فهو تأصيل لمفردات اللهجة الليبية في منطقة الجبل الأخضر كما سماه صاحبه "معجم الأصول العربية للهجة أهل الجبل الأخضر" لمؤلفه مفتاح بريك الغرياني وهو جزء أول يحمل الرقم 4 في مجموعة المعجمات الصادرة عن مجمع اللغة في طرابلس في دار المنار في مصراتة عام 2008 م.

لا أنسى أن أذكر دراسة وصلتني قريبا وإن حملت تاريخ صدور قديم يعود إلى العام 2015 وهذه الدراسة من وضع أ. د. محمد محمد بن طاهر عنوانها "ألفاظ الفصح المتداول في لهجة مصراتة"⁽¹⁾ وهي مختارات من لهجة أهالي مصراتة اهتم مؤلف الكتاب بتأصيلها في العربية الفصحى.

ومن أعلام الباحثين الليبيين في تراث الأمثال العربي الأستاذ الدكتور فيصل مفتاح الحداد الذي تعامل مع المثل منذ تحقيقه لكتاب في الأمثال للحجي اليمني في رسالة الماجستير، ثم اتجه إلى الأمثال المولدة في العصر العباسي وغيره في أطروحته للدكتوراه، وكتب العديد من الأبحاث والكتب في الأمثال وأعتقد أن الدارس للهجة

(1) دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2015.

الليبية لا يستغني عن مثل هذه الدراسات وقد صدر له من بين ما صدر " الأمثال المولدة في العصر العباسي " و "أنواع الأمثال والحكم في نماذجها المختارة" ⁽¹⁾.

هل يمكن أن يتحدث عن أثر إيطالي في اللهجة الليبية ؟ بلا شك فإن الإجابة بنعم إذ أن كثيرا من أسماء الآلة وألفاظ الحضارة الحديثة دخلت اللهجة الليبية عن طريق الاستعمار أولا، ثم عن طريق التجارة وما أشبهها ثانيا، وأعتقد أن أول من وضع كتابا عن اللهجة الليبية هو كاتب إيطالي يدعى أوخينيو غريفييني Eugenio Griffini بعنوان العربية المتحدثة في ليبيا L Arabo parlato della Libia وذلك عام 1978 م .

الأثر الإسباني في اللهجة الليبية لم يعرض أحد فيما اطلعت عليه لهذا الموضوع إلا إشارات من قبل الأستاذ عمار في اليوميات الليبية أو إشارات كذلك عند الدكتور علي فهمي خشيم في أحاديثه الإذاعية وكتبه المختلفة ومقارناته الواسعة. خمسة وعشرون عامًا في العاصمة فقط ما عساها أن تؤثر في اللغة، خصوصًا وأن أهل العاصمة كثير منهم قد تركها وهاجر إلى مدن ومناطق أخرى من ليبيا بعيدًا عن الاحتلال الإسباني الصليبي الغاصب، لكن رغم ذلك يوجد الكثير مما يمكن أن يقال في التأثير والتأثير بين اللهجة الليبية واللغة الإسبانية .

إلى غير هذا مما يمكن أن يكون سيرًا حثيثا نحو تلمس اللهجة الليبية في مصادر تأثيلها المختلفة، عربية أو غيرها، وليعذرني صاحب كل مؤلف أدلى بدلوه في هذا السياق لم أعرف إنتاجه أو نسيت أن أذكره، والله من وراء القصد.

(1) كلاهما صدر عن جامعة قاربنوس الأول عام 1998 م والثاني عام 2008 م .

المصادر والمراجع:

- الأصول العربية الفصحى في ألفاظ اللهجة الليبية عبد الله عبد الحميد بن سويد ومحمود سلمان، ط1 الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1990.
- ألفاظ الفصحى المتداول في لهجة مصراتة ، محمد إحمد بن طاهر دار أمجد للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 2015.
- الأمثال الشعبية الليبية ، رحيل عمر الشلطي وربيعة عثمان القلال، مجلس الثقافة العام في ليبيا 2008 م .
- أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجال ، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة مطبعة محمد الخامس فاس 1975 .
- بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي ، تحقيق ودراسة د. شعبان صلاح ، ط1 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1410هـ 1990م .
- تجريدة حبيب ؛ مع كتاب خليل وقصائد غزلية ، تحقيق صلاح الدين محمد جبريل ، ط2 دار إبل للنشر والتوزيع ودار الكتاب الليبي بنغازي ليبيا 1424هـ / 1995م .
- الداريجة المغربية بين العربية والأمازيغية، علي فهمي خشيم ، ط1 منشورات فكر ، الرباط ، يناير 2008 .
- ديوان الشعر الشعبي، المجلد الأول كلية الآداب جامعة قاريونس 1397هـ / 1377 م .
- ديوان الشعر الشعبي المجلد الثاني إعداد علي سليمان الساحلي وسالم حسين الكبتي ، ط2 منشورات جامعة قاريونس بنغازي 1998 .
- ذاكرة قرية ، محمد سعيد محمد الجزء الأول ط1 منشورات المركز الوطني

- للمأثورات الشعبية ، سبها 1998 ، الجزء الثاني 2001 م.
- رحلة التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ، قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا-تونس 1981 .
- رحلة الكلمات "الأولى" علي فهمي خشيم ، ط 2 مركز الحضارة العربية ، القاهرة 2001 م.
- رحلة الكلمات الثانية ، علي فهمي خشيم ، ط 2 الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراتة 1428 ميلادية (تاريخ خاص)
- روضة الأزهار، كريم الدين البرموني، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد عبد الله الهرامة ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 2009 م.
- سفر العرب الأمازيغ علي فهمي خشيم ، ط 1 مطابع الفاتح مصراتة 1424 ميلادية (تاريخ خاص).
- شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت .
- الشعر النبطي ذائقة الشعب وسلطة النص ، سعد العبد الله الصويان ، ط 1 دار الساقى بيروت 2000 م
- كفاية المتحفظ لابن الأجدابي تحقيق وتعليق السائح علي حسين ، منشورات إقرأ ، طرابلس ، ليبيا .
- مؤرخون من ليبيا؛ مؤلفاتهم ومناهجهم ، علي مصطفى المصراحي ط 1 الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ليبيا 1398هـ/1977م .
- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية " حقه وعلق عليه د عبد الكريم الزبيدي ، منشورات جامعة سبها ، ليبيا 1986.
- المصطلحات الجغرافية الليبية بين الفصحى والعامية محمد سعيد البوجديدي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ط 1 ، طرابلس 2006.

- مجمع الجهالة ، علي مصطفى المصراقي ، دار مكتبة الفكر بيروت 1972 .
- معجم الأصول العربية اللهجة أهل الجبل الأخضر ، مفتاح بريك الغرياني مجمع اللغة ، طرابلس ، دار المنار مصراتة 2008 م .
- معجم اليوميات الليبية ، عمار محمد جحيدر ، الجزء الأول ، مجمع اللغة العربية طرابلس ليبيا 1442/2021 .
- المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ ، نجيب محمد البهيتي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب 1980 .
- مقدمة ابن خلدون ط4 دار القلم ، بيروت لبنان 1981 .
- من أدب الرعاة ، محمد سعيد القشاط ، المركز الوطني للمأثورات الشعبية ، سبها ، ليبيا 1999 م .
- موسوعة روايات الجهاد ؛ جزء خاص بالمنفيين من إعداد مجموعة من باحثي مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ليبيا 1988 م .
- النحو الوافي ، عباس حسن ، ط4 دار المعارف بمصر .

من أعلام اللغة في ليبيا

أبو سيف مقرب حدوث البرعصي: الشاعر واللغوي

(1840-1896م)

د. أحمد محمد جاد الله (*)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُعَدُّ العلامة اللغويُّ، والشاعر الأديب: أبو سيف بن مقرب بن حدوث البرعصي (1840-1896م)، من أشهر العلماء والأدباء الذين أنجبتهم الزوايا السنوسية؛ بل هو أوَّل عالم وأديب ينبغ من أبناء هذه البيئة البدوية بالجل الجبل الأخضر؛ فقد وُلِدَ عام نزول الأستاذ الأكبر السيّد محمّد بن عليّ السنوسيّ ﷺ بأرضهم؛ فنشأ منذ نعومة أظفاره في الزوايا السنوسية، فتعلّم القراءة والكتابة في كُتّاب الزاوية البيضاء، ثمّ تلمذ للأستاذ الأكبر في زاوية العزّيّات، ثمّ في زاوية الجغبوب، وتدرّج في سلّم التعليم حتّى بلغ الدرجات العليا، وتفوّق في علوم اللغة خاصّة، ونبغ في قرض الشعر حتّى حُلّي بـ«أديب زمانه»، ولُقّب بـ«شاعر الحضرة السنوسية».

وتأتي هذه الدراسة لتعرّف بهذا العالم اللغويّ، والشاعر الأديب، وتميط اللثام عن آثاره الأدبيّة واللغويّة، وذلك في مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأوّل: أبو سيف: حياته، ودراسة اللغة في عصره

المطلب الأوّل: ترجمة أبي سيف

المطلب الثاني: دراسة اللغة في الزوايا السنوسية

المبحث الثاني: شعر أبي سيف، وأغراضه

(*) أستاذ اللغة العربيّة المشارك بجامعة عمر المختار.

المطلب الأول: عرض لشعر أبي سيف

المطلب الثاني: مواضيع شعره، وأغراضه

المبحث الثالث: مؤلفات أبي سيف، وأنظمه

المطلب الأول: مؤلفات أبي سيف

المطلب الثاني: أنظام أبي سيف

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول

أبو سيف: حياته، ودراسة اللغة في عصره

المطلب الأول: ترجمة أبي سيف⁽¹⁾

1- أَوْلَيْتِهِ (اسمه، ونسبته):

هو أبو سيف بُنْ مَقْرَبْ بُنْ حُدُوْثٍ، البرعصي؛ نسبة إلى جدّه الثامن الملقَّب ببرعاص، القادم من المغرب، قال السيّد أحمد الشريف في ترجمته: «والسيّد أبو سيف شريف الحسب والنسب، مَشِيْشِيّ إدريسيّ»⁽²⁾.

2- مولده، ونشأته، وتعليمه، وشيوخه:

وُلد أبو سيف في الجبل الأخضر، سنة (1256هـ/1840م)، ولمّا ترعرع ألحقه والده بمكتب الزاوية البيضاء، ولمّا شرّق الأستاذ الأكبر ﷺ إلى الحجاز سنة (1262هـ/1846م) تركه مع الإخوان الذين تخلّفوا بالجبل، ومنهم: محمّد بن أحمد الفيلائيّ شيخ الزاوية، وعمران بن بركة الفيتوريّ، ومحمّد بن إبراهيم الغماريّ الكبير، ولم يزل معهم حتّى رجع الأستاذ من الحجاز سنة (1271هـ/1854م)، فأقَى الحاجّ مقربّ بولده إلى زاوية العزّيّات ليتّم حفظ القرآن، وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة.

ولمّا انتقل الأستاذ ﷺ إلى الجغبوب سنة (1273هـ/1856م) خلفه بالعزّيّات مع الإخوان، ثمّ طلبه فقدم عليه بالجغبوب، وتذكر المصادر أنّه ﷺ صافحه وشابكه مرّتين، مرّة في العزّيّات ومرّة في الجغبوب، وسمع منه الأحاديث المسلسلة. وفي الجغبوب نضج، واتّضحت معالم شخصيّته، وبرزت ملكاته، وفيها اتّصل بالعلماء والأدباء، وجلس إليهم، فأثّاروا في نفسه جذوة الشعر، فلم تلبث ملكته

(1) مختصرة من كتاب: شعر أبي سيف مقربّ حُدُوْث البرعصيّ (شاعر الحضرة السنوسيّة): 24-42.

(2) الشمس النورانيّة العرفانيّة الإشرافيّة، في بيان أعلام الطريقة السنوسيّة الإدرسيّة المحمّديّة (مخطوط): 261/1 -

الأدبية أن ظهرت، ولاسيما في أيام السيد محمد المهدي، فما من مناسبة تهيج الخواطر إلا كان شعره تعبيراً صادقاً عن تلك الخواطر المهتاجة.

ولمّا توفي الأستاذ الأكبر ﷺ سنة (1276هـ/1859م) كان قد انتهى من الطلب، ولكن ذلك لم يمنعه من الازدياد من العلم، فشارك الأستاذ السيد محمداً المهدي، وصنوه العلامة السيد محمداً الشريف، والشيخ فالحا الظاهري، وغيرهم، في التلقي عن العلامة أحمد بن عبد القادر الريفي، والعلامة عمران بن بركة الفيتوري، والعلامة أحمد التواقي، والعلامة عبد الرحيم المحبوب، حتى حصل التحصيل التام، وصار من أكابر العلماء الأعلام، وضمّ إلى (مجلس الإخوان) في عهد السيد محمد المهدي.

3- رحلته، ووفاته:

لم يزل أبو سيف ﷺ مقيماً بالجغبوب يعلم العلوم ويصلح بين الناس، وبعد هجرة السيد المهدي إلى الكفرة بسنة ونصف لحق به أبو سيف، وما إن اجتمعا في يوم الحادي عشر من جمادى الثانية سنة 1314هـ/17 نوفمبر 1896م، حتى أصابه ما أصابه، فاشتد عليه المرض، وفي اليوم التالي توفي، عند قرب الزوال، وصلى عليه الأستاذ السيد محمد المهدي، وكان ذلك غاية مناه، ودُفن خلف روضة بنات الأستاذ، وقبره معروف يُزار.

4- حليته:

حلاه السيد أحمد الشريف فقال: «وليّ الله، العالم العلامة، والبحر الفهامة، الشريف الجليل، الباذخ الأصيل، الأديب اللبيب، الشاعر الكاتب النجيب، السيد: أبو سيف بن مقرّب البرعصي الحدوثي»⁽¹⁾.

ولقبه الرحالة الأديب محمد بن عثمان الحشائشي بـ «أديب زمانه»⁽²⁾، وفي

(1) الشمس النورانيّة: 259/1.

(2) رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب): 159.

مناسبة أخرى حلّاه بقوله: «أديب عصره»⁽¹⁾. وذكر غير واحد ممّن ترجموا له أنّه كان يُلقَّب بـ «شاعر الحضرة السنوسية»⁽²⁾، قال الحاجريّ: «وبه بلغ الشعر السنوسيّ ذروة عالية، وأصبح له مكانه المرموق، حتّى كانوا يصفونه بأنّه (شاعر الحضرة السنوسية) قياساً على شعراء البلاط في الإمارات والممالك، ولعلّه من أجل هذا كان ما بلغنا من شعره أكثر ممّا بلغنا من شعر غيره»⁽³⁾.

(1) نفسه: 168.

(2) برقة العربية أمس واليوم: 153، وأعلام ليبيا: 401، وموسوعة القطعانيّ: 564/2.

(3) دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبيّة في المغرب العربيّ: 313.

المطلب الثاني: دراسة اللغة في الزوايا السنوسية

1- تأسيس الزوايا السنوسية:

وُلد أبو سيف في مضارب قبيلته بالجلب الأخضر، وكانت حينها بيئة بدويّة تغلب عليها الأميّة، ويندر فيها من يعرف القراءة والكتابة، فضلاً عمّن يدرس العلم ويتدارسه، ولكنّ القدر ابتسم لأبي سيف وأبناء جيله عندما نزل السنوسيّ الكبير بأرضهم، وبذلك دخلت برقة عمومًا والجلب الأخضر خصوصًا مرحلة جديدة، حيث أسّس الأستاذ أولًا الزاوية البيضاء، ثمّ أسّس ما يزيد عن عشرين زاوية في أقلّ من خمسة أعوام (1841-1846)، حين أخذت القبائل تتوافد عليه وتسلمّ له، فكان ﷺ في هذه المرحلة يصلح ما فسد من عقائدهم، ويأخذ عليهم العهد بطاعة مشايخ الزوايا، وتعليم أبنائهم القراءة والكتابة، وتحفيظهم كتاب الله ⁽¹⁾، قبل أن يرجع إلى الحجاز المركز الأوّل للسنوسية حيث زاوية أبي قبيس بمكة المشرفة.

وبعد ثمانية أعوام غرّب الأستاذ تغريبته الثانية لينزل بالعزّيات التي أسّس فيها زاوية أقام فيها سنتين، لم يزل الإخوان خلاهما في جدّ واجتهاد في القراءة والبناء، وفي تلك المدّة شرع في تأسيس الجغبوب -التي كانت واحة مقفرة يأوي إليها الغزاة والخارجون عن القانون- فصارت مهد أمان ومعلم هداية؛ حيث كان الطلاب يتأسسون في الزوايا الصغيرة (المرحلة الابتدائية)، ومن يتميّز منهم، أو يرغب في مواصلة دراسته، ينتقل إلى زاوية الجغبوب ⁽²⁾.

2- المقررات اللغوية في الجغبوب:

لم يكن البرنامج التعليمي في زاوية الجغبوب يقتصر على حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الوجيزة، بل كان الطلاب يدرسون أهمّ العلوم العقلية والنقلية، امتثالاً لتوجيه أستاذهم: «إياكم ومن يزهدكم في العلم ممن لا خبرة له بما عليه أمائل

(1) يُنظر: الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية: 58/1، 59.

(2) يُنظر: دراسات وصور: 297، والمهدي السنوسي: 44.

القوم من اقتباس العلوم الأربعة، التي هي علوم: الذات والصفات، والحديث، والفقه، والآلات، حسبما هو مبين عند الشاذلي وزروق⁽¹⁾، وعلوم العربيّة تدخل تحت القسم الأخير من تلك العلوم، وهو علم الآلات.

والحقُّ أنَّ المعلومات عن تفاصيل النظام التعليمي في تلك الحقبة شحيحة جدًّا، فلم أقف على نصٍّ يصف المقررات التي كانت تُدرّس في زاوية الجغبوب، إلّا ما ذكره السيّد أحمد الشريف في مخطوطة (الشموس النورانيّة)، وفي إجازته للحسين بن عليّ السوسيّ، شيخ زاوية الجغبوب، مبينًا ما تلقّاه عن عمّه السيّد محمّد المهديّ، حيث قال: «أخذت عنه (القرآن الكريم) وقرأته عليه، وقال لي بلسانه الشريف: (ما حصّلت القرآن إلّا عليّ) ولله الحمد والمثّة، وسمعت منه أوّل (البخاريّ)، وقرأت عليه (بلوغ المرام من أدلّة الأحكام) من أوّله إلى آخره، وقرأت عليه الجزء الأوّل من (الدردير الكبير على خليل)، و(ابن تركيّ مجاشية الصفتيّ)، وقرأت عليه —أيضًا— (ابن عقيل على الألفيّة)، و(الآجروميّة)، و(الجوهر المكنون)، وسمعت منه (البردة) و(بانت سعاد) و(الزينيّة) و(منظومة الأستاذ في النفوس) وغيرها من القصائد التصوّفيّة... وسيّدنا الوالد⁽²⁾ كذلك أخذت عنه وقرأت عليه (القرآن)، وسمعت منه أوّل (البخاريّ)، وقرأت عليه (الآجروميّة)، و(الألفيّة)، و(الأزهرية)، و(الصفتيّ)، و(العزّيّة)»⁽²⁾.

ومن خلال هذين النصّين يتبيّن أنَّ المناهج اللغويّة المقرّرة التي كان يدرسها الإخوان في تلك الحقبة وذلك المكان هي:

- أ- متن الآجروميّة في علم النحو، لمحمّد بن آجرؤم الصنهاجيّ (ت: 723هـ).
- ب- متن الأزهرية في النحو، لخالد الأزهريّ (ت: 905هـ).
- ت- متن ألفيّة ابن مالك في النحو والصرف، بشرح ابن عقيل (ت: 769هـ).
- ث- متن الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون (المعاني والبيان والبدیع)،

(1) الأنوار القدسيّة في مقدّمة الطريقة السنوسيّة: 56.

(2) إجازة السيّد أحمد الشريف للحسين بن عليّ السوسيّ، وثيقة لدى الباحث نسخة مصوّرة منها.

للأخضريّ (ت: 983هـ).

ويغلب على الظن أنّ من الكتب اللغويّة المقرّرة آنذاك:

ج- شرح بحرق اليمينيّ للاميّة الأفعال لابن مالك، في الصرف.

ح- شرح المكوديّ على ألفيّة ابن مالك، في النحو والصرف.

فإنّ عناية أبي سيف بها، وتديبجه الحواشي عليها، قد يستدلّ به على أنّه كان

يشرحها لطلّابه في الجغبوب.

وهي المناهج نفسها التي كانت مقرّرة في جلّ الزوايا العلميّة في طرابلس وفزان،

وفي الأزهر، في تلك الحقبة، وإلى اليوم.

3- الكتاب اللغويّ في مكتبة الجغبوب:

حرص السنوسيّون على توفير كلّ أسباب النشاط العلميّ في زاوية الجغبوب، ومن

أهمّ الوسائل التعليميّة (الكتاب)، ويتحدّث بريتشارد عن ذلك فيقول: «لم يكن

السنوسيّ الكبير عالماً كبيراً ومؤلفاً بارزاً فحسب، بل كان مغرماً بالكتب أيضاً، لذا

نجدّه يمتلك مكتبة طيّبة تحوي ثمانية آلاف مجلّد، معظمها تصانيف في الشريعة

الإسلاميّة والفقه والصوفيّة والفلسفة والتاريخ والتفسير والشعر والفلك والتنجيم»،

إلى أن يقول: «وكان حواليه عدد من الرجال الأكفأ الذين ينتفعون بهذه المكتبة الحقّة،

والواقع أنّه كان من العسير على المرء أن يجد في العالم الإسلاميّ آنذاك عدا القاهرة

حلقة من متدارسي العلم خيراً من هذه»⁽¹⁾.

وقال الحشائشيّ عن هذه المكتبة التي استغرق جمعها قرناً من الزمان، والتي

زارها شخصياً في عهد السيّد المهديّ: «أمّا الكتب الموجودة في خزائنها فقد نيّفت على

الثمانية آلاف مجلّد، من تفسير وأحاديث وأصول وتوحيد وفقه، وغير ذلك من كتب

العلوم المعقولة والعلوم الطبيعيّة وغير ذلك، ولا يُطبع في العالم كتاب باللغة العربيّة

إلّا ويبحثون عنه ويظفرون به»⁽²⁾.

(1) السنوسيّون في برقة: 36-39.

(2) رحلة الحشائشيّ إلى ليبيا: 152.

ولا شك أنَّ هذه المكتبة قد احتوت أهمَّ مصادر اللغة ومراجعها، وفي مرثاته للأستاذ الأكبر وثَّق العَلَّامة عبد الرحيم المحبوب (ت: 1888م) أسماء عدد من الكتب التي كانت متداولة في زاوية الجغبوب، وكيف أنَّ تلك الكتب تبكي الأستاذ، فيقول [من البسيط]:

يَرْوِي (الْجَوَامِعُ) مَعَ مَا سَارَهُ (الْمَثَلُ)	يَنْكِهُهُمْ، مَا حَوَى (كَشَفُ الظُّنُونِ) وَمَا
أَوْ (لِللِّسَانِ) وَ(لِلْقَامُوسِ) يَحْتَفِلُ؟	مَنْ (لِلصَّحَاحِ) وَ(شَمْسِ الْعِلْمِ) بَعْدَهُمْ
وَ (الْبَحْرِ) وَ(النَّهْرِ) وَ(الْأَنْوَارِ) يَنْتَحِلُ؟	مَنْ (لِلجَلَالَيْنِ) وَ(الْكُشَافِ) يَنْقُذُهُ
أَوْ (لِلْفُتُوحَاتِ) وَ(الْأَسْرَارِ) يَنْتَفِلُ؟	مَنْ (لِلشِّفَاءَاتِ) وَ(الْمِنْهَاجِ) يُوضِّحُهَا

ومن هذه الأبيات يمكننا التعرف على عَيِّنة من الكتب اللغويَّة والأدبيَّة التي كانت تحتفظ بها زاوية الجغبوب في خزانة كتبها، وهي:

أ- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت: 637هـ).

ب- الصحاح (صاح اللغة وتاج العربيَّة)، لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت: 393هـ).

ت- شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم، لأبي سعيد نشوان بن سعيد (ت: 573هـ).

ث- لسان العرب، لابن منظور الطرابلسي (ت: 711هـ).

ج- القاموس المحيط، لمجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي (ت: 816هـ).

المبحث الثاني: شعر أبي سيف، وأغراض

المطلب الأول: عرض لشعر أبي سيف

نبغ في الزوايا السنوسية عدد لا بأس به من الشعراء والأدباء، ولا عجب؛ فأهل هذه الطريقة - كما يقول المؤرخ التركي أحمد حلمي -: «كلهم علماء أدباء فضلاء، أهل دين وقرآن، ميالون للرقى والتمدن، أولو إحساس نزيه وشعور لطيف»⁽¹⁾، بل إن «غالب العلماء الذين أنجبهم المعهد الجغبوبي يجيدون الشعر بصفة تجعلهم في صفوف الأدباء المعروفين في مختلف العصور الإسلامية، ولكن الذي يؤسف له هو ضياع ما جادت به قرائحهم»⁽²⁾؛ فالحروب والأزمات التي عصفت بالبلاد أتت على كثير مما كان قد قُيّد من تلك الثروة الأدبية.

ويقف في مقدمة أولئك الشعراء شاعر الحضرة السنوسية، أبو سيف مقرب حدث، الذي ظلّ شعره مبعثراً لأكثر من قرن، وقد قام الباحث - بمشاركة د. عبد الغني عبد الله محمود - بجمعه وتحقيقه ونشره، وصدر عن مؤسسة كلام للبحوث والإعلام عام 2017، واحتوى تسع قصائد:

1- بائية في مدح الأستاذ الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي، وابنه الأستاذ السيد محمد المهدي ﷺ من أربعة وثلاثين بيتاً، أنشدها بمناسبة زواجه، وكان عمر الشاعر يومها ثمانية عشر عاماً، افتتحها بقوله:

حَمَدْتُ إِلَهِي، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاةً بِهَا يَرْجُو الْفَتْى نَيْلَ مَأْرَبٍ

2- مقطوعة من ستة أبيات في سفره لزيارة السيد المهدي في زاوية التاج

بالكفرة، قال في مطلعها:

أَلَا يَا حُدَاةَ الْعَيْسِ حُثُوا إِلَى التَّاجِ لِنَغْنَمَ مَرَأَى مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَالنَّجَاجِ

(1) التحفة السنية في المشايخ السنوسية: 17.

(2) برقة العربية: 569.

3- دالية من خمسة عشر بيتاً، في رثاء العلامة أحمد التواتي، التزم في كلِّ أوَّل بيت منها حرفاً من حروف اسمه مع زيادة لفظة (سيدي)، استهلَّها بقوله:
سَلِ الدَّهْرَ هَلْ يُبْقِي سَعِيدًا مُخَلِّدًا وَلَوْ كَانَ أَبْقَاهُ لَأَبْقَى مُحَمَّدًا

4- قصيدة رائية في رثاء العلامة عمران بن بركة الفيتوري، مكوَّنة من أربعة وثلاثين بيتاً، قال في مطلعها:
سَمَا نَعُشُهُ فَوْقَ الرَّقَابِ يَسِيرُ فَشَقُّ قُلُوبٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَسِيرُ
لَقَدْ سِرْتُ يَا مَوْلَايَ لِلْقَبْرِ نَيْرًا وَلَا عَجَبٌ، فَالْتَّيْرَاتُ تَسِيرُ

5- قصيدة في التهنية بولادة السيّد محمد إدريس السنوسي، وهي عينية من تسعة أبيات، افتتحها بقوله:
هُنْتُ بِالْكُوكِبِ الدُّرِّيِّ إِذْ سَطَعَا وَأَرَجَّ الْأَفَقُ وَالْأَرْجَاءُ، وَارْتَفَعَا

6- قصيدة في رثاء العلامة السيّد محمد الشريف، وهي قافية من خمسة وثلاثين بيتاً، إذا أخذت الحرف الأوَّل من كلِّ بيت خرج لك ما نصُّه: (سيدي ومولاي السيّد محمد الشريف، رضي الله عنه)، قال في مطلعها:
سِرْنَا بِنَعْشِكَ خُضَّعَ الْأَعْنَاقِ سَيْرًا دُوَيْنَ الْعُدُوِّ وَالْإِعْنَاقِ

وقد خَمَّسَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ الْحِشَائِشِيُّ فَقَالَ:
لَمَّا أَرَادَتْ حِكْمَةُ الْخَلْقِ إِنْقَادَ خَطْبٍ وَاجِبِ الْإِطْرَاقِ
وَأَنْثَلَ عَرْشُ الْعِلْمِ وَالْإِشْرَاقِ سِرْنَا بِنَعْشِكَ خُضَّعَ الْأَعْنَاقِ
(سَيْرًا دُوَيْنَ الْعُدُوِّ وَالْإِعْنَاقِ)

7- لامية من اثنين وعشرين بيتاً، في التهنية بمناسبة زواج السيّد أحمد الشريف، وقد تحصَّلنا على مخطوطتها بعد طباعة الديوان، يقول في مطلعها:
بُشْرَى لِحُجُوبٍ بِسَعْدٍ مُقْبِلٍ وَبِسُغَى أَرْبَابِ الْعُلَى الْمُتَقَبِّلِ

إلى أن يقول:

وَلَأَحْمَدٍ نَجْلُ السَّيَادَةِ، هَنَّهُ بِدُخُولِ حَضْرَتِهِ لِأَحْمَدِ مَنَزِلِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَنَزِلِ ذِي بَهْجَةٍ وَبَدِيعِ حُسْنِ بِالْجَلَالِ مُكَلَّلِ
تُسَلِّ ابْنَ حُجْرٍ لَوْ رَأَى عَرَصَاتِهَا عَنْ ذِكْرِ مَاسِلَ وَالِدِّخُولِ وَحَوْمَلِ

8- نونية من خمسة وثلاثين بيتاً، في ارتحال السادة من الجغبوب إلى

التاج، قال في مطلعها:

هُمُ هَيَّجُوا يَوْمَ التَّوَى بَرْحَ أَشْجَانِي وَحَادِيَهُمْ لَمَّا تَرَنَّمَ أَشْجَانِي

9- قصيدة في ارتحاله من الجغبوب إلى التاج، وهي يائية من خمسة وستين

بيتاً، قال فيها:

أَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ تَفْلِي الْفَيَافِيَا وَتُورِدُهَُا آلَ الْمَفَاوِزِ صَافِيَا

وشطر مصطفى بن زكري الطرابلسي هذه القصيدة فقال:

(أَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ تَطْوِي الْفَيَافِيَا) وَقَدْ لَاحَ نُورُ التَّاجِ لِلْعَيْسِ هَادِيَا
فَتُنْهَلُهَا مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ أَدْمُعَا (وَتُورِدُهَُا آلَ الْمَفَاوِزِ صَافِيَا)

المطلب الثاني: مواضيع شعره وأغراضه

لعلَّ أوَّل ما يلفت انتباه المتصفِّح لشعر أبي سيف، إهماله لبعض الأغراض الشعرية؛ «فلم ينظم في الغزل، ولعلَّ ذلك لأنَّه عالم وقور، يجلُّ سادته، فغلب عليه طابع الجدِّيَّة في القول، ولم يلتفت إلى ما يهبط إليه الشعراء.

ولم ينظم في الهجاء، ويمكن أن نلتمس له العذر، بأنَّه لم يكره أحدًا، ولم يدخل في زحام ولا منافسة مع أحد، كما أنَّه لم يكن يسعى بشعره وراء مصلحة، ولا عطاء من أحد، بحيث يهجوهُ إن قصَّر في حقِّه، على غرار ما كان يصنع ابن الروميِّ وأضرابه من الشعراء مثلًا»⁽¹⁾.

«ولا نجد له شعرًا في الأساطير، وهي نهر تُرْتُّ يتعاقب عليه الشعراء، فينهلون منه فكرًا وتعبيرًا، كما لم ينظم في مظاهر الطبيعة، والشاعر عادة يحسُّ بأنَّ مظاهر الطبيعة من رياح وأمطار، ورعود وبروق، وصحارى واسعة، وجبال راسية، وأنهار متدفِّقة، وحدائق غنَّاء، وأزهار فيحاء - يحسُّ بأنَّها تتجاوب معه، وتناجيهِ وتوحي إليه، وتشاركه أحزانه وأفراحه، فيعبِّر عنها وينطق على لسانها، ويتبادل المشاعر معها، والشعر عادة زاهر بأمثلة لذلك، ولا نجد لشاعرنا قصائد في هذه الأغراض، عدا ما ورد منها ضمن الأغراض الأخرى»⁽²⁾.

ويمكننا القول بأنَّ أغراض شعر أبي سيف تدور حول السنوسية ورجالها؛ فكلُّه مدح لهم، وتهانٍ بزواجهم ومواليدهم، ورثاء للموتى منهم ومن إخوانهم، ووصف لأسفارهم والشوق والرحلة إليهم.

يقول أستاذنا د. إدريس فضيل: «ويبدو الرجل شديد الحبِّ لرجال السنوسية، تطغى عليه عاطفة الحبِّ للدعوة ورجالها، وإيمانه بها عميق، فهم ملكوا عليه أقطار نفسه وكلَّ قلبه، فلم يعد في نفسه متَّسع لسواهم، ولا غرض آخر غير مدحهم

(1) نظرات في شعر أبي سيف (مخطوط): 21.

(2) نظرات في شعر أبي سيف: 22.

والحديث عنهم، ولسنا ندري من يقاربه من الشعراء سوى الكميت بن زيد الأسدي، المتوفى عام 126 هجرية، الذي كان يحب آل البيت ويتشيع لهم، فسخر شاعريته لمدهم ونشر فضائلهم، وأحقيتهم للخلافة، وذم أعدائهم المعتصبيين لها، غير أن الكميت كان أحياناً يتسع ذرعه، فيتطرق إلى أغراض أخرى، أسوة بشعراء زمانه، أما شاعرنا فلم يعد الحديث عن السنوسيين، والإشادة بمكارمهم، وكأنه بذلك يمثل اللسان الداعم لدعوتهم، والساعي لنشرها⁽¹⁾.

«هذا، ويعد الشعر خير مؤرخ -ولاسيما في الزمن القديم- حين لم يكن هناك صحافة ولا مجلات ولا كتب، فالشاعر أصدق من يسجل الأحداث، ويعبر عن شعوره تجاهها، وهو شعور لا يبعد كثيراً عن شعور المثقفين من معاصريه، إلا بقدر اختلاف الطبائع البشرية»⁽²⁾.

وشعر أبي سيف «يعد سجلاً أميناً للأحداث التي مرت، والمؤثرات التي عرضت للشاعر فأثرت في نفسه، فعمد إلى القلم والقرطاس، يودعها صفحته كما اتفق له، فهو تأريخ صادق واكب الأحداث، ولاسيما الأحداث المزلزلة؛ كالوفيات، والرحلات، ومواقف الوداع، حيث تنهل الدموع وتفيض العبرات. وتكتسب تلك المواقف أهميّة خاصة حين يتصدى لرصدها والتعبير عنها شاعر محب إلى حدّ العشق لرجال السنوسية، شديد التعلق بهم، يرى فيهم دعوة مجددة للدين، مصلحة لشؤون هذه الدنيا»⁽³⁾.

ومن مظاهر التأريخ في شعر أبي سيف «المهارة في التوثيق التاريخي بحساب الجمل، على ما فيه من تكلف وجفاف، ولكنه يعبر عن تقليد القدماء، وكشف عن مهارة نادرة؛ كقوله في رحلة السنوسيين من الجغبوب إلى التاج:

وَلَمَّا ارْتَحَلْتُمْ صُغْتُ نَظْمِي مُؤَرَّخًا: (لِرَحَلَتِكُمْ بَنَدٌ بِتَمْهِيدِ أَوْطَانِ)

(1) نفسه: 44.

(2) شعر أبي سيف: 7.

(3) نفسه: 8، 9.

يقصد سنة 1312، وهناك طبعاً تكلف وضعف في المعنى، ولكنه يدل على مهارة لفظية وعقلية.

ويقول في رثاء السيد الشريف، مؤرخاً سنة وفاته:
هَمْ هَمْ هَمْ بِالْعَمِّ فِي تَارِيخِهِ (يَجْلُوهُ فَطَرُ الْقَدْرِ بِالْإِشْرَاقِ)

ففي هذا البيت يؤرخ لوفاته بحساب الجمل، فقد توفي ليلة القدر، عام 1313 هجرية⁽¹⁾.

وقال في مرثية عمران بن بركة
لَمَّا عَدَا لِلْخُلْدِ قُلْتُ - مُؤَرِّخًا -: (لِعِمْرَانَ فِيهَا مَا يَشَاوِسُ رُؤُوسَ)

فبحساب الجمل يكون مجموع الأرقام المقابلة لقوله: (لِعِمْرَانَ فِيهَا مَا يَشَاوِسُ رُؤُوسَ) مساوياً 1311، وهي سنة وفاة عمران بن بركة.

(1) نظرات في شعر أبي سيف: 42، 43.

المبحث الثالث: مؤلفات أبي سيف، وأنظامه

المطلب الأول: مؤلفات أبي سيف

أولاً: رسالته في البسملة

لم تخل كتب التراث من الكلام على (البسملة) بما يناسبها من الفن المبدوء فيه، فقد كان العلماء يستحبون الحديث عنها في مستهل مؤلفاتهم؛ يقول الباجوري (1198-1277هـ): «واعلم أنه ينبغي لكل شارح في فن أن يتكلم على (البسملة) بطرف مما يناسب ذلك الفن؛ وفاء بحق (البسملة)، وهو ألا يترك الكلام عليها رأساً»⁽¹⁾.

وقد أراد البرعصي لرسالته في (البسملة) - كما يقول هو - أن تكون سيمًا لجيد حاشية شرع فيها على شرح المكودي للألفية، فأودع هذه الرسالة (النحوية) خلاصة ما وقف عليه مما كتب عن هذه الجملة من شروح نحوية، ورصعها بـ«فوائد سرية، وفوائد سنية» من بنات أفكاره، ونتاج قريحته.

ومخطوطة هذه الرسالة هي إحدى (900) مخطوطة من مخطوطات الجغوب التي كانت محفوظة في مكتبة جامعة بنغازي⁽²⁾، تحصلت على مصورتها من أختنا الفاضلة د. نجة سعد البكوش، وشرفت بتحقيقها ودراستها، ونشرها مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة عام 2021م.

وقد قسم أبو سيف رسالته هذه على خمسة مطالب، أجب في كل منها عن عدد من الأسئلة:

فأجاب في المطلب الأول عن عشرة أسئلة تتعلق بالباء من ﴿بسم﴾ وبمتعلقها: الأول: هل هي زائدة أو أصلية؟ الثاني: هل متعلقها اسم فيه رائحة الفعل أو فعل؟ الثالث: هل هو خاص أو عام؟ الرابع: هل هو مقدم أو مؤخر؟ الخامس: هل حذفه

(1) حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري على متن السلم: 4.

(2) يُنظر: فهرس مخطوطات جامعة قار يونس المركزية بنغازي: 6.

جائز أو واجب؟ السادس: ما معنى هذه الباء؟ السابع: هل هي ضرب لغو أو مستقرّ، وما الفرق بينهما؟ الثامن: لم حُرِّكت والأصل في المبنيّ أن يُسكَّن؟ التاسع: لم حُرِّكت بالكسر؟ العاشر: لم طُوِّلت؟

وفي المطلب الثاني أجب عن ستّة أسئلة متعلّقة بلفظ (اسم): الأوّل: ما معناه؟ الثاني: ما إعرابه؟ الثالث: من أيّ مادّة اشتقّ؟ الرابع: هل اشتقاقه على المذهبين صغير أو كبير أو أكبر؟ الخامس: ما معنى إضافته إلى لفظ الجلالة؟ السادس: هل الاسم عين المسمّى أو غيره؟

ثمّ أجب عن سبعة أسئلة في المطلب الثالث تتعلّق بلفظ الجلالة: الأوّل: هل هو علم أو غير علم؟ الثاني: من واضعه؟ الثالث: هل هو مرتجل أو منقول؟ الرابع: هل هو عربيّ أو معرّب؟ الخامس: هل هو جامد أو مشتقّ؟ السادس: ما الجارّ له؟ السابع: لم قدّم على تاليه؟

وأجب في المطلب الرابع عن أسئلة خمسة تتعلّق بـ﴿الرحمن الرحيم﴾: الأوّل: ما إعرابهما؟ الثاني: هل الرحمن صفة أو علم؟ الثالث: هل هما من الصفة المشبّهة أو من صيغ المبالغة؟ الرابع: أيّهما أبلغ؟ الخامس: لم قدّم ﴿الرحمن﴾ على ﴿الرحيم﴾؟ أمّا في المطلب الخامس فأجب عن أربعة أسئلة متعلّقة بجملة البسملة: الأوّل: هل هي خبريّة أو إنشائيّة؟ الثاني: هل لها محلّ من الإعراب أم لا؟ الثالث: هل هي اسميّة أو فعليّة؟ الرابع: هل هي صغرى أو كبرى، أو صغرى وكبرى، أو لا صغرى ولا كبرى؟

ثانيًا: حاشيته على بحرق

حاشية أبي سيف على شرح بحرق اليميني للاميّة الأفعال لابن مالك، محفوظة بمكتبة جامعة بنغازي، تحت رقم: 1960، بخطّ المؤلّف⁽¹⁾، وقد حقّقها الشيخ الأستاذ: محمّد الأمين اسويكر في بحث نال به درجة الماجستير من جامعة الزاوية سنة

(1) فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزيّة، بنغازي: 132/3.

2011م، ولكنها لم تُنشر بعد، وكنت قد اطلعت على النصّ المحقّق قبل حوالي ستّ سنوات، ولم يُتَح لي الاطلاع عليه بعد ذلك على الرغم من تواصلني مع أسرته -شفاه الله وعافاه، وجزاه خير الجزاء- ولا أعلم إن كانت مخطوطتها قد نجت بعد ما حلّ بمكتبة جامعة بنغازي في الأحداث الأخيرة.

قال أستاذنا د. إدريس فضيل -وقد قرأ عمل اسويكر-: «وناهيك به من رجل يدبّج حاشية كثيفة المعلومات، دقيقة التحقيقات، على حاشية بحرق في الصرف، ولعمري إن كانت تلك التحقيقات الصرفيّة في عمقها، وغزارة مادّتها، وتنوّع اقتباساتها، قد صدرت حقّاً عن أبي سيف، وهو يحاضر طلابه في تلك المادّة في مدرسة الجغبوب - فإنّه حقّاً لعالم فرد في زمانه ومكانه، وهي -من نحو آخر- تعطي انطباعاتاً عجيبة عن تفرّد تلك المدرسة، وغربتها في زمانها ومكانها، وتفوّق علمائها وطلّابها»⁽¹⁾.

ثالثاً: حاشيته على المكوّديّ

حاشية أبي سيف على شرح المكوّديّ على ألفيّة ابن مالك، أشار إليها في رسالته على البسملة بقوله: «هذه فوائد سرّيّة، وفرائد سنيّة، تتعلّق بالبسملة النحويّة، كنت جعلتها سمّاً لجيد حاشية شرعت فيها على شرح الماكوديّ للألفيّة»، ولا يُعلم هل أتمّها أم لا.

المطلب الثاني: أنظام أبي سيف

لا يختلف اثنان في أنّ النظم -بموسيقاه وإيقاعه- أوقع في النفس، وأسرع رسوخاً في الذاكرة، من النثر، ولذلك اختاروه قالباً لحفظ ثقافتهم، وجعلوا منه خزانة لعلومهم ومعارفهم، يقول الجاحظ: «فإنّ حفظ الشعر أهون على النفس، وإذا حُفظ كان أعلق وأثبت، وكان شاهداً، وإن احتيج إلى ضرب المثل كان مثلاً»⁽²⁾.

ويختلف النظم التعليميّ عن النصّ الشعريّ في افتقاره إلى عنصري العاطفة

(1) شعر أبي سيف: 5.

(2) الحيوان: 284/6.

والخيال؛ إذ النظم موجّه إلى العقل؛ يقول عمر فرُّوخ: «أمّا النظم فهو الكلام الموزون المقفى، فإذا امتاز النظم بمجودة المعاني، وتحير الألفاظ، ودقّة التعبير، ومتانة السبك، وحسن الخيال، مع التأثير في النفس، فهو الشعر»⁽¹⁾.

ومن خصائص النظم أنّه يعرّفنا بالقدرات العقلية والملكات الأدبية لناظمه، ويوقفنا على مدى ازدهار الحياة العلمية والثقافية في عصره وبيئته، وقد عُرف أبو سيف بنظم المسائل العلمية، ولا غرو، فهو عالم لغويّ وشاعر أديب، وفيما يأتي نماذج ممّا وقفت عليه من أنظامه اللغوية:

أوّلاً: مسوّغات الابتداء بالنكرة

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة؛ لأنّه هو المحكوم عليه والمسند إليه، ولكن وُجدت في لغة العرب أمثلة كثيرة ابتدئ فيها بالنكرة، وإنّما جاز ذلك لأنّ النكرات في تلك الشواهد أشبهت المعارف من وجوه عدّة، و«لم يعول المتقدّمون في ضابط ذلك إلّا على حصول الفائدة، ورأى المتأخرون أنّه ليس كلّ أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة، فتتبعوها؛ فمن مقلّ مخلّ، ومن مكثّر مورد ما لا يصلح، أو معدّد لأمر متداخلة»⁽²⁾.

ففي (الألفية) ذكر ابن مالك (ت: 672هـ) ستّة مسوّغات، فقال [من الرجز]:

وَلَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ مَا لَمْ تُقَدْ ك: عِنْدَ زَيْدٍ نَمْرَةٌ
وَهَلْ فَتَى فَيْكُمُ؟ فَمَا خِلْ لَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَنَا
وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ بِرَّيْزِينَ. وَلَيْقُسَ مَا لَمْ يُقْلَ⁽³⁾

وفي شرحه أوصلها ابن عقيل (ت: 769هـ) إلى أربعة وعشرين مسوّغاً⁽⁴⁾، بينما

(1) تاريخ الأدب العربي: 44، 45.

(2) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 608.

(3) ألفية ابن مالك في النحو والصرف: 17.

(4) يُنظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 215/1-227.

رأى الحضري (ت: 1278هـ) أنَّ بعض ما ذكره ابن عقيل متداخل، فاقتصر - على عشرين مسوَّعاً؛ ونظمها فقال [من البسيط]:

«مُسَوَّعَاتُ ابْتِدَا مَنْكُورِهِمْ: صِفَةٌ
عَظْفٌ، عُمُومٌ، وَمَعْنَى الْفِعْلِ، مَعَ عَمَلٍ
حَصْرٌ، وَخَرْقٌ، وَتَنْوِيعٌ، حَقِيقَتُهُ
أَوْ بَعْدَ (لَوْلَا)، وَ(كَمْ)، (لَا)، ابْتِدَا، وَ(إِذَا)
كَذَا إِرَادَةُ مَخْصُوصٍ، مُنَاقَضَةٌ
أَوْ كَوْنُهُ فَاعِلًا مَعْنَى. فَلَا تَحُلْ»⁽¹⁾

ثمَّ نظمها أبو سيف - مستوفياً لأمثلتها - فقال [من البسيط]:
«مُسَوَّعَاتُ ابْتِدَا الْمَنْكُورِ يَجْمَعُ:
كَذَا تَقْدُّمُ أَخْبَارٍ بِمَا اشْتَرَطُوا؛
تَنْوِيعُهُ جَاءَ فِي «تَوْبٌ لِبِسْتُ» كَذَا
وَكَوْنُهُ عَامِلًا؛ ك: (رَغْبَةٌ فِيهِمْ
كَذَا تَضَمُّنٌ مَعْنَى الْفِعْلِ؛ يُوضِّحُهُ
وَالْعَظْفُ؛ نَحْوُ: (رَشَا وَالْخَلُّ لِي فَهَمَا
كَذَا الْعُمُومُ؛ ك: (كُلُّ عَاشِقٍ لَهُمْ)
خَرْقُ الْعَوَائِدِ، قُلْ: (جِدْعٌ يَحِثُّ لِمَنْ
وَبَدْءُ حَالٍ كَذَا؛ ك: (زُرْتُهُمْ وَدُجِئِي
وُقُوعُهُ فِي الْجَوَابِ؛ نَحْوُ: (غَايِبَةٌ،
كَذَاكَ مَا هِيَ - أَيْضًا - فَقُلْ: (رَجُلٌ
وَبَعْدَ (لَوْلَا)؛ فَقُلْ: (لَوْلَا مُرَاقَبَةٌ
وَكَوْنُهُ بَعْدَ (كَمْ) - أَيْضًا - ك: (كَمْعِدَةٌ

ثُمَّ نَظَّمَهَا أَبُو سَيْفٍ - مُسْتَوْفِيًا لِأَمْثَلَتِهَا - فَقَالَ [مِنْ الْبَسِيطِ]:
وَصَفٌّ لَهُ؛ نَحْوُ: (ظَرَفٌ فَاتِكُ فَتَنًا)
ك: (عِنْدَكُمْ فَمَرٌّ فَاقَ الْبُدُورَ سَنًا)
وَحَصْرُهُ؛ نَحْوُ: (عَشِقْتُ ضَرَنِي وَضَنًا)
قَدْ فَتَتَتْ مُهَجًا وَهَيَّجَتْ حَزَنًا)
قَوْلِي: (سَلَامٌ عَلَى مَنْ سَطَّ ثُمَّ دَنَا)
تَحِيرًا إِذْ رَنَا هَذَا وَذَاكَ رَنَا)
تَنَاقُضُ؛ نَحْوُ: (رَيْقٌ دُقْتُه لَا جَنًا)
يُسْعَى لِطَيْبَتِهِ مِنْ هَاهُنَا وَهَنًا)
قَدْ أَسْدَلَ السَّتْرَ دُونَ مَنْ يُرَاقِبُنَا)
لِقَائِلٍ: مَنْ عَلَى لُبِّ الْكَمِيِّ جَنَى؟)
خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ). يَا صَاحِبَ كُنْ فَطِنًا
لَنِلْتَ أُمْنِيَّةً مَا لِي سِوَاهَا مُنَى)
أَخْلَقْتُهَا لَمْ أَذُقْ مِنْ أَجْلِهَا وَسَنًا)

(1) حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 190/1.

وَكُونُهُ بَعْدَ (لَامِ الْإِبْتِدَاءِ)، فَقُلْ: (لَأَغْيِدَ قَدْ غَدَا لِلْقَلْبِ مُرْتَهَنًا)
 كَذَا (إِذَا)؛ نَحْوُ: (زُرْتُ حَيْثُهمَ فَإِذَا وَكَوْنُهُ مِنْهُمْ قَصْدًا لِلتَّعْمِيَةِ
 كَذَا إِرَادَةُ مَخْصُوصٍ؛ كَقَوْلِهِمُ لَذِي الْكَمَالِ: (أَمْرُؤُ إِخْتَارَ مَا حَسَنًا)
 وَكَوْنُهُ فَاعِلًا مَعْنَى؛ يُمَثِّلُهُ قَوْلِي: (كَرِيمٌ وَقَى بَعْهَدِهِ مَعْنًا) (1)

ثانيًا: شروط ضمير الفصل

قال الخضرى محشياً على ابن عقيل: «قوله: (ضمير الفصل) سَمَاءُ الْبَصْرِيُّونَ بذلك لما في الشارح، وقد يسمّى فصلاً فقط كما في المتن، وسَمَاءُ الْكُوفِيُّونَ عماداً؛ للاعتماد عليه في تأدية المعنى، وإثما سُمِّيَ ضميراً مع أنّه حرف لا محلّ له عند الأكثر؛ لأنّه بصورته، وقيل: اسم لا محلّ له كاسم الفعل، وقيل: له محلّ ما قبله، وقيل: ما بعده. قوله: (بين المبتدأ والخبر)؛ أي: بشرط كونهما معرفتين، أو ثانيهما كالمعرفة في عدم قبول (ال)؛ كـ (أفعل) من نحو: زيد هو أفضل من عمر، ولا يكون إلا بصيغة ضمير الرفع، مطابقاً لما قبله غيبة وإفراداً وغيرهما؛ كـ (أولئك هم المفلحون)، (كنت أنت الرقيب عليهم)، (وإنّا لنحن الصّافئون)، وفي بعض ذلك خلاف بسطه في (المغني)» (2).

ووجدت تقييداً على حاشية هذا النصّ في نسخة الخضرى المحفوظة في مكتبة شيخ شيوخنا السيّد أحمد الشريف، يقول: «أشار الشارح بهذا إلى بعض شروط ضمير الفصل، وقد نظمها شيخنا سيّدي أبو سيف - كان الله لنا وله - بقوله [من الرجز]:

شُرُوطُهُ: الطَّبَاقُ لِلْمَتْبُوعِ وَكَوْنُهُ بِصُورَةِ الْمَرْفُوعِ
 كَذَلِكَ الْوُفُوعُ بَعْدَ مُبْتَدَا وَخَبَرٍ فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْإِبْتِدَا
 كِلَاهُمَا مَعْرَفٌ، أَوِ الْخَبَرُ مِثْلُ الْمَعْرَفِ، فَقَلْدٌ مَنْ مَهْرُ
 يُؤْتَى بِهِ مُوَكَّدًا وَلِلْبَيَانِ وَلِلْخُصُوصِ، قَالَ ذَا أَهْلُ الْبَيَانِ

(1) نظمان في مسوّغات الابتداء بالنكرة: 237، 238.

(2) حاشية الخضرى: 267/1.

وَهُوَ حَرْفٌ مَالَهُ مَحَلُّ وَعَكَسَ الْكُوفِيُّ فَاْفَهُمْ نَقَلُوا
وَهُوَ كَالسَّابِقِ عِنْدَ الْفَرَّ وَالْعَكْسُ لِلْكَسَائِي، يَلْتَ السَّرَّ»⁽¹⁾

ثالثاً: معاني حروف الجرِّ

1- معاني اللّام:

ذكر ابن مالك -وتابعه ابن عقيل- أنّ للّام ستّة معاني: الانتهاء، والملك، وشبه الملك، والتعديّة، والتعليل، وتأتي زائدة⁽²⁾، ووجدت على نسخة الخضرّي المحفوظة في مكتبة السيّد أحمد الشريف ما نصّه: «جملة معانيها أحد وعشرون، ذكر المصنّف منها ستّة، ونظم سيّدي أبو سيف باقيها بقوله [من الرجز]:

وَتَأْتِي لِلتَّمْلِيكِ، شِبْهَهُ، نَسَبٌ وَقَسَمٌ، تَبْلِيغُهُمْ، كَذَا الْعَجَبُ
وَالصَّيْرُ، وَالتَّبْيِيزُ، بَعْدَ، مَعَ، وَفِي وَعِنْدَ، مِنْ، وَعَنْ، عَلَى، فَلْتَعْرِفِ»⁽³⁾

2- معاني (في):

ذكر الناظم -وتابعه الشارح- من معاني (في) الظرفيّة والسببيّة⁽⁴⁾، ووجدت على الحاشية المذكورة ما نصّه: «جملة معانيها عشر، ذكر منها اثنين، ونظم المذكور الباقي بقوله [من الرجز]:

وَقَائِدَيْنِ، وَعَوَظٌ، زِدْ، وَعَلَى وَمِنْ، وَبَاءٌ، وَكَذَا مَعَ، وَإِلَى»⁽⁵⁾

3- معاني الباء:

تكون الباء للظرفيّة، والسببيّة، والاستعانة، والتعديّة، والتعويض، والإلصاق، وبمعنى: مع، ومن، وعن، هذا الذي في الألفيّة، وزاد ابن عقيل المصاحبة⁽⁶⁾، ووجدت

(1) حاشية الخضرّي: 207.

(2) شرح ابن عقيل: 20/2.

(3) حاشية الخضرّي: 354.

(4) شرح ابن عقيل: 21/2.

(5) حاشية الخضرّي: 354.

(6) شرح ابن عقيل: 22/2.

على الحاشية المذكورة ما نصّه: «ذكر المصنّف من معاني الباء عشرة، وبقيت خمسة نظمها المذكور بقوله:

وَكَا (إِلَى)، أَقْسَمُ، وَأَكْغَدُ، وَ(عَلَى) ⁽¹⁾ وَمُفَرِّدُ التَّغْلِيلِ فِيهَا غُذِلَا ⁽²⁾

رابعاً: معاني (المولى)

ذكر أبو سيف في حاشيته على بحرق أنّ صاحب (القاموس) أورد للكلمة (المولى)

واحدًا وعشرين معنى، ثم قال: «وقد نظمناها فقلت [من الوافر]:

وَلِلْمَوْلَى مَعَانٍ، هِيَ: شَرِيكَ وَجَارٌ، نَاصِرٌ، رَبٌّ، قَرِيبُ
حَلِيفٌ، ثُمَّ عَمٌّ، ثُمَّ عَبْدٌ وَلِيٌّ، مَالِكٌ، صَهْرٌ، حَيِّبُ
نَزِيلٌ، صَاحِبٌ، ثُمَّ ابْنُ أُخْتٍ عَتِيقٌ، مُعْتَقٌ، وَابْنُ يَطِيبُ
وَزَادُوا مُنْعَمًا، مُنْعَمٌ عَلَيْهِ فَتَابِعُهُمْ. وَقَلَّدَ مَنْ يُصِيبُ ⁽³⁾

خامساً: معاني (حَلَّ)

قال -رحمه الله-: «(حَلَّ) تأتي لمعانٍ، يقال: حلَّ الشيء: خلاف حَرُمَ، والمُحَرَّمُ: خرج من إحرامه، والمرأة للأزواج: زال المانع الذي كانت متّصفة به؛ كإنقضاء المدّة، واليمين: برّت، والدّين: انتهى أجله، والحق: وجب. ومضارع الكلّ بالكسر لا غير. وحلَّ العذابُ يحلُّ بالضمّ والكسر على السواء. وحلَّ بالبلد، بهما، والضمُّ أفصح وأشهر. وحلَّ العقدة، بالضمّ لا غير، وقد نظمتُ ذلك فقلت [من الطويل]:

وَحَلَّ حَرَامٌ، مُحَرَّمٌ، مَرَأَةٌ، قَسَمٌ وَدَيْنٌ، وَحَقٌّ، كَسْرُكَ الْكُلِّ مُلْتَزَمٌ
وَحَلَّ عَذَابٌ ضَمٌّ وَاكْسِرَ سَوِيَّةً وَبِالْبَلَدِ اضْمُمُ، وَهُوَ فِي الْعُقْدَةِ انْحَتَمُ

فعضّ على هذه الفائدة بالنواجز؛ فإنّها من الحور المقصورات في قصور الدواوين

من أرباب القصور» ⁽⁴⁾.

(1) الذي في الحاشية: «وك(إلى) أقسم أكدن وك(على)»، ولا يستقيم به الوزن.

(2) حاشية الخضرى: 354.

(3) حاشية أبي سيف على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك (مخطوط): 322.

(4) نفسه: 329.

الخاتمة

توصّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- وُلد أبو سيف في مضارب قبيلته بالجبل الأخضر عام نزول الأستاذ الأكبر بأرضهم، وتكوّن علمياً في الزاوية البيضاء، ثمّ في زاوية العزّيات وزاوية الجغبوب، وهو بذلك يعدّ أوّل عالم وأديب ينبغ من أبناء تلك البيئة البدويّة التي كانت تغلب عليها الأميّة، ويندر فيها من يعرف القراءة والكتابة، فضلاً عمّن يدرس العلم ويتدارسه.

2- تفوّق أبو سيف في علوم اللغة خاصّة، ونبغ في قرض الشعر، حتّى حُلّي بـ«أديب زمانه»، واحتوى ديوانه المجموع تسع قصائد، لم يتجاوز عدد أبياتها كلّها مئتين وستّين بيتاً، ولعلّ اهتمام الشعراء بشعره تشطيّراً وتخميّساً يدلّ على تميّزه ونبوغه.

3- قصر أبو سيف شعره على السادة السنوسيين؛ فكُلّه مدح لهم، وتهانٍ بزواجهم ومواليدهم، وثناء للموتى منهم ومن إخوانهم، ووصف لأسفارهم، والشوق والرحلة إليهم، حتّى لُقّب بـ«شاعر الحضرة السنوسيّة»؛ قياساً على شعراء البلاط في الإمارات والممالك.

4- يُعدّ شعر أبي سيف سجلاً أميناً للأحداث والمؤثّرات التي عرضت له فأثّرت في نفسه، فهو تاريخ صادق واكب الأحداث، ولاسيّما الأحداث المزلزلة؛ كالوقّيات، والرحلات، ومواقف الوداع، ومن مظاهر التأريخ في شعر أبي سيف المهارة في التوثيق التاريخيّ بحساب الجمل.

5- من المتون اللغويّة التي كانت مقرّرة في الزوايا السنوسيّة: متن الأجروميّة في علم النحو، لابن آجرّوم، ومتن الأزهرية في النحو، لخالد الأزهرّي، ومتن ألفيّة ابن مالك في النحو والصرف، بشرح ابن عقيل وشرح المكوّديّ، ومتن الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، للأخضرّي، ومتن لامية الأفعال لابن

مالك بشرح بحرق.

6- صَنَّف أبو سيف مصنَّفات لغويَّة عدَّة، منها:

أ- رسالته في البسملة، التي قَسَمَهَا على خمسة مطالب أجاب فيها عن اثنين وثلاثين سؤالاً، وقد تشرَّفت بتحقيقها ودراستها، ونشرها مجمع ليبيا للدراسات المتقدِّمة عام 2021م.

ب- حاشيته على شرح بحرقِ اليمينيِّ للاميَّة الأفعال لابن مالك، التي حقَّقها الشيخ الأستاذ: محمَّد الأمين اسويكر في بحث نال به درجة الماجستير من جامعة الزاوية سنة 2011م.

ت- حاشيته على شرح المكوِّديِّ على ألفيَّة ابن مالك، أشار إليها في رسالته على البسملة بقوله: «هذه فوائد سرِّيَّة، وفرائد سَنِيَّة، تتعلَّق بالبسملة النحويَّة، كنت جعلتها سمطاً لجيد حاشية شرعت فيها على شرح الماكوديِّ للألفيَّة»، ولا يُعلم هل أتمَّها أم لا.

7- عُرف أبو سيف بنظم المسائل العلميَّة، ولا غرو، فهو عالم لغويُّ وشاعر أديب، ومن الأنظام اللغويَّة التي وقف عليها الباحث: مسوَّغات الابتداء بالكرة في ثمانية عشر بيتاً، وشروط ضمير الفصل في ستَّة أبيات، ومعاني بعض أحرف الجرِّ في أربعة أبيات، ومعاني (المولى) في أربعة أبيات، ومعاني الفعل (حلَّ) في بيتين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة

- 1- البرعصيّ، أبو سيف، حاشية أبي سيف على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، محفوظة بمكتبة جامعة بنغازي، تحت رقم: 1960.
- 2- الحدّاد، إدريس فضيل، نظرات في شعر أبي سيف مقرّب حدوث (شاعر الحضرة السنوسية)، نسخة محفوظة في مكتبة الباحث.
- 3- الحضريّ، محمّد، حاشية الحضريّ على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، طبعة عتيقة عليها تقييدات وتعليقات لعلماء السنوسية، محفوظة في مكتبة السيّد أحمد الشريف ببنغازي.
- 4- السنوسيّ، أحمد الشريف، إجازة علمية، مصوّرة منها في مكتبة الباحث.
- 5- السنوسيّ، أحمد الشريف، الشمس النورانية العرفانية الإشرافية، في بيان أعلام الطريقة السنوسية الإدريسية المحمّدية، نسخة محفوظة في مكتبة الباحث.

ثانياً: المطبوعة

- 6- ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط: 20، 1980م.
- 7- ابن مالك، محمّد، ألفية ابن مالك، دار التعاون، القاهرة، ط: د ت.
- 8- ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط: 6، 1985م.
- 9- الأشهب، محمّد الطيّب، المهديّ السنوسيّ، مطبعة بليبو ساجي، طرابلس، ليبيا، ط: 1، 1952م.
- 10- الأشهب، محمّد الطيّب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهوّاري، القاهرة، ط: 1، 1936م.
- 11- الباجوريّ، إبراهيم، حاشية الشيخ إبراهيم الباجوريّ على متن السّلم في

- فنّ المنطق للإمام الأخضرّي، المطبعة المصريّة، بولاق، د ط، د ت.
- 12- برتشارد، إيفانز، السنوسيُّون في برقة، ترجمة: عُمر الديراوي أبوحجلة، مكتبة الفرجانيّ، طرابلس، ليبيا، ط: 1، د ت.
- 13- بن علي، عبد المالك، الفوائد الجليّة في تاريخ العائلة السنوسيّة، مطبعة دار الجزائر، دمشق، ط: 1، 1966م.
- 14- الجاحظ، عمر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د ط، 1969م.
- 15- جادالله، أحمد، ومحمود، عبد الغني، شعر أبي سيف مقرّب حدّوث البرعصيّ (شاعر الحضرة السنوسيّة)، مؤسّسة كلام للبحوث والإعلام، أبو ظبي، ط: 1، 2017م.
- 16- الحاجريّ، محمّد طه، دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبيّة في المغرب العربيّ، دار النهضة العربيّة، بيروت، د ط، 1983م.
- 17- الحشائشيّ، محمّد عثمان، رحلة الحشائشيّ إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تحقيق: عليّ مصطفى المصراقيّ، دار لبنان، بيروت، د ط، 1965م.
- 18- الحضريّ، محمّد، حاشية الحضريّ على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمّد البقاعيّ، دار الفكر، بيروت، ط: 1، 2003م.
- 19- الزاويّ، الطاهر، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلاميّ، طرابلس، ط: 3، 2004م.
- 20- السنوسيّ، أحمد الشريف، الأنوار القدسيّة في مقدّمة الطريقة السنوسيّة، مطبعة عامرة، إستانبول، ط: 1، 1919م.
- 21- شمش، فرج ميلاد، فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزيّة بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط: 1، 2001م.

22- فرُّوخ، عُمر، تاريخ الأدب العربيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 5، 1984م.

23- القطعانيّ، أحمد، موسوعة القطعانيّ، الواصلون للمقاولات، طرابلس، ليبيا، د ط، 2012م.

24- الموصليّ، عليّ الجميل، التحفة السنيّة في المشايخ السنوسيّة، مطبعة سرسم، الموصل، د ط، 1331 هـ 1912 م.

الأبحاث:

25- البرعصيّ، أبو سيف، الظاهريّ، فالح، نظامان في مسوَّغات الابتداء بالنكرة، تحقيق: أحمد محمّد جاد الله، مجلّة الدراسات التربويّة والعلميّة، كليّة التربية، الجامعة العراقيّة، ع: 16، ج: 3، اللغة العربيّة، تمّوز، 2020م.

المؤلفات اللغوية الليبية، وإغفالها من المؤرخين

أ.إلهام نصر الدين الطاهر البكوش ، محاضر.

العضو هيئة تدريس بكلية الآداب/ جامعة غريان، ومنسق دراسة

وامتحانات بقسم اللغة العربية.

الملخص:

تُعَدُّ هذه الدراسة نظرة سريعة على مسيرة علماء اللغة الليبيين وآثارهم عبر تاريخها الطويل، التي قطعوها في ظروف ثقافية وسياسية واقتصادية صعبة، تتجلى فيها روح المعاناة والكفاح الذي كان سلاحًا لهم لطلب العلم، وقد تناولت هذه الدراسة بعضًا من ثمار جهودهم العظيمة التي لم تؤت أكلها، فهي لم توف حقها؛ بل أُغفِلت من المؤرخين والمهتمين بهذا المجال، وذلك لقلة المصادر بل لعدم وجود مصادر، فهي قيد المخطوطات ولم تخرج إلى النور.

Summary:

This study is a quick look at the path of Libyan linguists and their effects throughout its long history, which they traveled in difficult cultural, political and economic conditions, in which the spirit of suffering and struggle is evident.

☑ That was a weapon for them to seek knowledge, and I dealt with this study. Some of the fruits of their great efforts that did not bear fruit, as they did not fulfill their due; Rather, it was overlooked by historians and those interested in this field, due to the lack of sources, but rather to the lack of sources, as they are in manuscripts and did not come out to the light.

المقدمة:

المتتبع لتاريخ اللغة العربية في ليبيا والتأليف بها منذ القدم -خاصة بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام بها- يدرك حتما أهميتها عند علماء اللغة الليبيين، وكيف أنها لاقت اهتماما كبيرا، فقد أبدعوا في تأليف كتب الثقافة والتراث اللغوي والأدبي، لأنها تعتبر أساسا لحضارة الشعوب وازدهارها؛ فنحن اليوم نواجه ما نسميه «أزمة الهوية اللغوية»، وعلينا أن نحكي تراثنا اللغوي من أعلام ومؤلفات، باتت قيد الأدراج وبات مجهلها حتى المهتمين باللغة العربية من أبنائنا، ولشدة إعجابنا بالكم الذي تركه لنا أعلامنا اللغويين وشعورنا بالمسؤولية نحو نشرها والإشارة إليها؛ فقد وقع اختيارنا على هذا المحور: المؤلفات اللغوية الليبية، لما لاقته من تجاهل وقلة اهتمام ومحاولة طمسها، وحاولنا أن نلم بكل اهتمامات الأعلام وما تركوه لنا من تراث مجيد ومشرف يثبت فينا الغيرة عليها وتسليط الضوء عما غفل عنه متتبعو اللغة والمهتمون بهذا الجانب وإخراجها إلى النور لقيمتها العلمية؛ وهنا تكمن أهمية البحث.

واستخدمت في بحثي المنهج التاريخي لتتبع تاريخ اللغة والمهتمين بها.

أما هيكلية البحث فكانت في عدة مطالب، وهي كالتالي:

• المطلب الأول:

الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية في ليبيا قديما وتأثر الوعي العلمي بها.

• المطلب الثاني:

• جهود العلماء اللغويين الليبيين في فترة الازدهار اللغوي في ليبيا.

• المطلب الثالث:

• علماء اللغة الليبيين وآثارهم .

• المطلب الرابع:

بعض المؤلفات اللغوية الليبية في مختلف العصور، ونبذة عن أصحابها .

فالموضوع شيق، وهذا ما نحتاجه في الوقت الحالي، وسنشير إلى العديد من

النتائج التي لا يتسع المجال لها هنا، لتساعدنا على انتشار حضارتنا وأصالتنا من الضياع والاندثار.

• المطلب الأول:

الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية في ليبيا وتأثر الوعي العلمي بها:

إن البحث في هذا الموضوع ليس أمرًا سهلاً، ومرد ذلك إلى استحالة الحصول على معلومات وافية حول جوانبه المختلفة، لأن ما يتوفر عنه ينحصر في المخطوطات والوثائق التي مازالت في حاجة إلى المزيد من التحقيق والبحث عنها في مكتبات العالم، كما أن ما كتب حول الثقافة الليبية، هو عبارة عن كتابات متفرقة وعامة وضاع الكثير من تراثها الثقافي والأدبي نتيجة لعدم تدوينه، بالإضافة إلى تشابك المعلومات، ويعود ذلك إلى الظروف التي مرت بها البلاد، فقد أودت بما كان قيد الانتاج، فلم يبق منه إلا النزر اليسير، وذهب معظمه أدراج الرياح.

فعندما نتحدث عن ملامح الحياة الفكرية في ليبيا قديماً وخاصة في أواخر العصر العثماني؛ التي عرفت هذه الفترة فيه بفترة العقم الفكري والخمود، فالناظر إلى الحركة الفكرية والثقافية والأدبية في ليبيا سيلحظ ركوداً ثقافياً شأنها في ذلك شأن الأقطار العربية التي حكمها الأتراك، وغلب على هذه الفترة من خلال الجانب الفكري، والأدبي التقليد والمحاكاة والنسج على طريقة القدماء، وغلب على قصائد شعراء هذه الحقبة التخميس، والتشطير، والتضمين، والمبالغة في استخدام المحسنات البديعية في الشعر بعيداً عن المقومات الفنية، أما عن نظام التعليم في ليبيا أثناء الحكم العثماني، الذي كان مظهرًا من مظاهر الحركة الفكرية، فقد تميز أواخر العصر العثماني بظهور التعليم المنظم إضافة إلى التعليم التقليدي⁽¹⁾.

وكانت الحياة الثقافية أيام العثمانيين تعاني من الركود الثقافي، مقارنة بالأقطار

(1) مسعود: مسعود عبد الله، ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911، مجلة الجامعة الزاوية، العدد الخامس عشر- المجلد الثالث، 2013م. ص 120.

العربية المجاورة، خاصة فترة الاحتلال العثماني للأراضي الليبية، فقد ورثوا الوضع الثقافي المتخلف من العهود السابقة التي سبقت حكمهم؛ ولعل مسؤوليتهم تنحصر في أنهم تركوا هذا الوضع على حاله ولم يعملوا على تحريكه وتبديله نحو الأحسن، كما أن الفوضى السياسية والإدارية والاقتصادية التي رافقت حكمهم ساهمت في تعميق التخلف الفكري في البلاد وتدهور الثقافة أكثر فأكثر، ومع ذلك فلا يجب أن ننظر للأمر نظرة متشائمة مطلقة، فالأرض الليبية لم تكن تخلو من كل معالم الثقافة والفكر، فالتاريخ الثقافي لتلك الحقبة يُفرد صفحات للعديد من رجال برزوا وأجادوا في جوانب مختلفة من الفكر والأدب والفن، خاصة في مجالات العلوم الدينية والفقهية واللغوية والآداب والتاريخ⁽¹⁾.

وكان للمراكز الثقافية (من كتّاب، وخزائن الكتب، والمعاهد الدينية) في تلك الحقبة الزمنية أثر كبير في الحياة الفكرية في العصر التركي، فكان خريجو هذه المعاهد يلتحقون بالإطارات الدينية من إمامة وتدرّيس وقضاء، أو بالإطارات الإدارية، ويرجع لهؤلاء المتخرجين الفضل الكبير في نشر الإسلام وتصحيحه، وبث العربية وتقويم اللسان هذا خلال القرن التاسع عشر، وفي العهد الإيطالي أخذ أثر هذه المراكز يذبل وينحدر إلى الهاوية جراء مصادرة الدين والانشغال بالجهاد، واتجهوا إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلاميّة، وإحلال الثقافة الإيطالية محلها مما يتلاءم مع أغراضهم الاستعمارية، فحالوا بينهم وبين الذهاب إلى الأزهر بمصر، أو الزيتونة بتونس، فكاد التعليم العربي أن يلفظ أنفاسه على أيديهم⁽²⁾.

مهما يكن من أمر فإن طرابلس التي هي جزء من المغرب العربي، قامت بدور كبير في مجال الفكر والثقافة ضمن ما قدمته هذه المنطقة من إسهامات في الحضارة الإسلامية، سواء أكانت هذه الإسهامات قد نمت بمعزل عن الثقافات

(1) ابن موسى: تيسير، كتاب المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ص: 282.

(2) القماطي: عبد الباري خليل، قراءات في التاريخ الليبي، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ص 131/132.

الوافدة، أم تداخلت مع غيرها من الثقافات وألفت معها ثقافة واحدة .

وعند التحدث عن الجانب الثقافي في طرابلس ومقارنتها بجاراتها في العهود الإسلامية، لا نقول إن الحياة الثقافية في وطرابلس ، كانت على قدم وساق، ولكن كان هناك بعض الاهتمام بالثقافة والعلم. وقد علل الدكتور إحسان عباس أسباب الركود في مجمل حديثه عن العلماء والأدباء بقوله يرجع ذلك إلى: أ- أن العلماء الليبيين لم يتصلوا ببلاط الملوك في القيروان أو مصر- إذ أن أغلب العلماء والأدباء ترجع شهرتهم إلى اتصالهم ببلاط السلاطين .

ب- هجرة الكثير من أبناء ليبيا إلى المغرب أو المشرق.

ج- عدم وجود عاصمة سياسية مستقرة، فطرابلس لم تتبلور كعاصمة إلا في فترات محدودة رغم ذلك لم تستطع أن تكون مركزاً كبيراً لملتقي علماء البلاد⁽¹⁾.

وهناك العديد من المؤثرات التي تؤثر في الحياة الثقافية سلباً أم إيجاباً؛ ويوضح لنا مدى تأثير العامل السياسي في نشر ثقافة الأمم؛ فالمؤثرات السلبية كالظروف السياسية التي سادت ليبيا وكانت في بعض العهود غير مساعدة على نمو وازدهار الحياة الثقافية فيها؛ حيث إن الفترات التي كانت تتوافر فيها الظروف السياسية التي سادت ليبيا كانت في بعض العهود غير مساعدة على نمو وازدهار الحياة الثقافية فيها ، فالفترات التي كانت تتوافر فيها ظروف الاستقرار كانت أقصر- إذا قسناها بتلك الفترات الأخرى التي كانت تتسم بالفوضى والاضطراب، وهذا سبب مهم من الأسباب وهو سوء الإدارة؛ فمع نهاية القرن الأول الهجري كان الإسلام ، قد استقر بليبيا ثم تجاوزها حتى عم بقية أقطار المغرب العربي والأندلس ، وكانت سياسة الولاة في الفترة الأولى من الفتح الإسلامي تمتاز بالمساواة والتسامح مع الأهالي، وأثر ذلك فيهم فتحول

(1) عباس: إحسان ، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا بنغازي 1967، ص:105،106.

كثير منهم إلى الإسلام خاصة في فترة حكم حسان بن نعمان (73-85هـ) ومن جاء من بعده من ولاية صالحين سعى على تطبيق مبدأ المساواة معهم. إلا أنه بعد ذلك وخاصة في الفترة ما بين (102-132 هـ) تولى خلفاء وولاة، ليسوا بالصلاح الذي كان عليه من سبقهم أدى ذلك إلى سوء الأحوال السياسية والإدارية، فكان ذلك عاملاً أساسياً من عوامل الثورات التي قام بها البربر على العرب في ليبيا⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور إحسان عباس: "إنّ اعتناق الأهالي للمذهب الخارجي ذو دلالات عميقة، فهو يعبر عن ميلهم إلى التشدد في فهم التعاليم الإسلامية وتمسكهم تمسكاً يصبح قوة معارضة ضخمة في وجه الدولة حين يسلك ولايتها مسالك اجتهادية يشوبها التساهل في ممارسة بعض الأمور بحكم تطور الزمن، وهو يدل على التشبث بتطبيقها دون خلل - وذلك أمر لا يدرك مدى العسر - فيه إلا من اضطلع بمسؤولية تطبيقه وحين يصبح الدين سلاحاً فقد تختفي وراءه نزعات أخرى كالعصبية العنصرية والرغبات المادية وغير ذلك ولكن ثورات البربر في أغلبها - كان غضبها المحنق على إهدار الحقوق"⁽²⁾.

وقد بين بعض الدارسين والمهتمين بهذا الجانب أسباب الضعف الثقافي في ليبيا الذي كان نتاجاً عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في ذلك الوقت، ونذكر هذه الأسباب باختصار، وهي:

• اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا:

من المسلم به أن الحركة الفكرية لا تزدهر إلا في أوضاع أمنية مستقرة، وفي نظرة شاملة للأوضاع السياسية في ليبيا منذ أن حط العثمانيون رحالهم على أرضها،

(1) البرغوتي: عبد اللطيف محمود، تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، 1071، ص: 112، 113.

(2) عباس: إحسان، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا، بنغازي 1967، ص: 39.

نجد أن الفوضى كانت تلف على أجزائها وتسببت في حالة من عدم الاستقرار في مدن الدواخل.

- اضطراب الأحوال الاقتصادية والمعيشية: والفوضى السياسية ينتج عنها اضطراب في القطاع الاقتصادي والحياة المعيشية... مما يستحيل أن يخلق المناخ الملائم لازدهار الأفكار والآداب والفنون.
- عدم اهتمام الحكام بالثقافة والفن:

لم يكن حكام الأتراك في غالبيتهم رجال فكر وعلم، فقد كانوا، كما قال عنهم الأستاذ التليسي: طبقة لا صلة لها بالعلم أصلاً، فهم فئة من المغامرين والبحارة الممتازين الذين أدركوا بمهارتهم البحرية والعسكرية، مكانة عالية من مراكز السلطة، ولا يتوقع من هؤلاء الحكام _وحالهم هذا_ أن يولوا الحركة العلمية والأدبية اهتماماً خاصاً.

- هجرة العقول المتعلمة خارج البلاد.
- عدم إقامة حكم مركزي منفصل، فقد كانت في معظم فترات تاريخها تابعة لغيرها من العواصم سواء كانت قريبة كتونس أم بعيدة⁽¹⁾.
- المطلب الثاني:

جهود العلماء اللغويين الليبيين في فترة الازدهار اللغوي في ليبيا:

كانت مرحلة الازدهار العربي الإسلامي في منطقة المغرب العربي الإفريقي أكثر المراحل المؤثرة في تلك المنطقة؛ وذلك لحدوث التلاحق الفكري، والاختلاط الاجتماعي بين الشعوب في تلك الحقبة الزمنية؛ وكذلك عودة الرحلات العلمية، والتي جعلت الأفكار والمبادئ والقيم تتواصل وتتطابق فيما بينها على الأغلب، مما

(1) بن موسى: تيسير، كتاب المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ص285-287.

ألف بينهم وجعلهم شعوباً متشابهة، رغم الحروب والظروف الشحيحة. ويهمننا في هذا المبحث الإقليم الليبي وإسهاماته في الجانب العلمي ونشاطاته وجهود علمائه في النهضة في ذلك الوقت.

فعند معالجة النشاط العلمي المغاربي وجب الالتزام بمبدأ الشمول، فالمغرب العربي الإفريقي تجمعته المقومات الوجدانية منذ أمد بعيد ولا يمكن فصل أقطاره مهما تعددت الأساليب والمعوقات لما وجد بين تلك الأقطار من تزاور علمي، وتصاهر فكري، فإذا نظرنا إلى رحلات العلماء الليبيين واتصالهم بأهل المغرب والمشرق فإن الرأي سيكون أكثر وضوحاً؛ لأن أغلب أهل المعارف والآداب كانوا متحدين في المنهج والأسلوب وتجمعهم صلات وروابط إنسانية وثقافية، فابن شرف الأجدابي القيرواني الأديب المعروف الذي نشأ في بلاط المعز بن باديس ليبي الموردي، وأصوله ترجع إلى مدينة أجدابيا، ولهذا عرف الأجدابي، وابن معمر الهواري الأديب القاضي وشقيقه أبو موسى الهواري ممن ولدوا بطرابلس الغرب ثم رحلوا إلى المهديّة بتونس وأقاموا بين أهالي الإقليم التونسي، والشاعر أبو الحسن البرقي، وغير هؤلاء من الأعيان الذين أشاد بهم أصحاب الرحلات كالتيجاني والحشائشي والسبتي، وكبار المؤرخين كابن خلدون والحموي، والحميدي والنائب الأنصاري وآخرون أكثر من أن نحيط بهم⁽¹⁾.

وفيما يتعلق بالأعلام الليبيين الذين أسهموا إسهاماً مشكوراً في نهضة المعارف والآداب، وكانت لهم مشاركات محمودّة منذ القرن الرابع الهجري؛ فأولهم عبد الله البرقي الراحل إلى الأندلس وكان لغوياً بارعاً لا منافس له في ميدانه، والفقيه أحمد بن خلف الأجدابي، والمؤرخ أبو الحسن الأجدابي ومحمد ابن الحسن قاضي طرابلس الغرب، والأديب والناقد المعروف محمد بن سعيد شرف الأجدابي القيرواني وأبو الحسن محمد بن أحمد المتيم الإفريقي، وهو من شعراء المئة الرابعة الهجرية المعدودين آنذاك⁽²⁾.

(1) بقلم. عبدالعزيز الخطابي، دنيا الوطن، مقال على الموقع الإلكتروني pulpit.alwatanvoice.com.

(2) بقلم. عبدالعزيز الخطابي، دنيا الوطن، مقال على الموقع الإلكتروني pulpit.alwatanvoice.com.

وقد ترجم الزبيدي في طبقاته لجملة من النحاة واللغويين الليبيين، وعلى رأسهم محمد بن صدقة الأطرابلسي النحوي المجيد في فنون اللغة وغيرها ثم خلف بن مختار بن سالم الأطرابلسي والمشتهر بالعققق، ثم عبد الله بن محمود السرتي، الذي رحل إلى القيروان طلباً للعلم فكان محل إعجاب أهلها، وطلاب المعارف فيها لما وجدوه فيه من الاقتدار والنباهة، وأما البرقي أبو بكر محمد بن مؤمن الكندي فإنه من الوافدين على مصر، وقد ذكر صاحب أنباء الرواة أنه كان من أبرع أهل عصره في علوم اللغة والنحو وكان الطلاب يتنافسون على اقتناء ما يحبره قلمه، وأنه رأى بعض كتاباته ولاسيما ما كتبه من جمهرة ابن دريد.

وإذا دخلنا القرن الخامس الهجري فكان نجماً يبدو في الأفق، ومتفوقاً تجاوز حد البراعة، وهو العلامة المعروف أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي اللواتي الطرابلسي، وقد أشاد به التيجاني في رحلته، ونوه بجهوده وآثاره اللغوية، وأولها رسالة في الحول كانت نتاج جدل عنيف مع قاضي في بلده ابن هانث ثم رسالته العروضية ومختصره في علم الأنساب وكتابه اللسان وقد جمع فيه حشداً من الأخطاء الذائعة الشائعة⁽¹⁾.

ثم هناك كتاب اشتهر ذكره، وهو على طريقة الثعالبي في فقه اللغة، وأسماء كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ. وقد دارت حوله دراسات واسعة، وجرى تحقيقه منذ فترة قريبة، ثم كتاب الأزمنة والأنواء، وإلى جانب نبوغه اللغوي يعد هذا العالم المتميز أبرز فقهاء ذلك الزمان دراية واقتداراً في الشريعة وعلومها⁽²⁾.

وأما خلوف بن عبد الله البرقي فإنه كان نحويًا وشاعرًا مجيدًا، وقد استقر بصقلية، ومن شعراء طرابلس المعدودين في تلك الحقبة أيضاً ابن خراسان الطرابلسي، وقد ذكره صاحب معجم البلدان عند حديثه عن مدينة طرابلس الغرب

(1) بقلم عبدالعزيز الخطاي، دنيا الوطن، مقال على الموقع الإلكتروني pulpit alwatan voice. Com

(2) نفس المرجع السابق.

وعده من أمهر الشعراء في زمانه⁽¹⁾.

وذكر في معجم الأدباء عن القرن السادس الهجري، أن أحمد بن محمد الآبي الذي نزل الإسكندرية وأقام بها لوقت طويل، من أشهر الأدباء وبلا منافس في البلاد الليبية، وإلى جوار هذا الأديب الشهير هناك حشد لا بأس به من الأعلام الجهابذة الذين اشتهروا بالبراعة العلمية وكانوا من المهرة في المعارف بين معاصريهم، ومنهم ابن أبي الدنيا، وأبو موسى الهواري، ومحمد بن صدقة المرادي الطرابلسي وكثيرون. على أن الجهود الليبية التي لمسها الإخباريون وأصحاب التراجم، وأشاد بها الكتاب المبرزون تؤكد على إيجابية الدور الذي قام به هؤلاء في توطيد أركان المعرفة، وإذاعتها في أنحاء القارة السمراء، ومما هو جدير بالملاحظة أن أصحاب المصنفات المشرقية والمغربية الواسعة سواء من أهل اللغة أو التراجم والتواريخ فإنهم نوهوا في تضاعيف أسفارهم بجملة من العلماء والفقهاء والأدباء الليبيين الذين اشتهروا بفضل نحوه، وخصصوا لهم مواضع قيمة بين ثنايا كتبهم، ومن أبرز أولئك المصنفين المشكورين السيوطي والزبيدي والقفطي وابن الآبار، والحموي والعماد الأصفهاني، وابن الفرضي، والمراكشي وآخرون نقول: بأن علماء الإقليم الليبي كانوا ألمع أعيان عصرهم آنذاك، وأكثرهم تأثيراً في المشرق والمغرب؛ لأنهم كانوا على اتصال كبير بمن جاورهم، ولا يدعون الفرص تمر دون الانتفاع بها وبخاصة أثناء رحلات العلم والحج، وأسفار المنافع المختلفة⁽²⁾.

المطلب الثالث - علماء اللغة الليبيين وآثارهم:

مرت ليبيا بفترة ركود وخمول ثقافي نتج عنه قلة الاهتمام بالعلم بصفة عامة، وظهر أيام العهد العثماني بعض العلماء والمهتمين باللغة العربية وعلومها، فقد كان الاهتمام بعلوم اللغة واضحاً في هذا العصر، خاصة علم النحو والصرف، لما كان له من أهمية في فهم القرآن والسنة، فلا يكاد لا يوجد فقيه لا يهتم بالنحو والصرف؛ رغم

(1) نفسه.

(2) بقلم. عبدالعزيز الخطابي، دنيا الوطن، مقال على الموقع الإلكتروني pulpit alwatan voice. Com

أنها لم تكن دراسات كبيرة كسائر البلاد العربية، وقد اهتموا بأمهات الكتب المشهورة كالألفية والأجرومية، وكان الفقهاء يحثون الناس على تعلم اللغة العربية وعلومها، فقد ذكر أن صاحب الصوفية: عبد السلام الأسمر أنه قال: "لا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملماً بالنحو؛ لأن كلام الله عربي ولا تعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية"⁽¹⁾.

ونذكر أشهر علماء اللغة في العهد العثماني :

• سعيد الشريف: قال عنه الأنصاري: "بأنه بلغ المرتبة العليا في النحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان وعلم الحديث ومصطلحه، وكان شيخ مشائخ عصره في العلم والبركة والدين، محقق ومدقق، صرف عمره في التدريس، أفاد وأجاد، ورحلت إليه الناس من أقاصي البلاد، وأخذوا عنه وانتهت إليه الرياسة واليد الطولي في المعقول والمنقول، وكان صاحب كشف وإشارات لا يخاف الحكام، استدعي إلى تونس فأصبح المدرّس الأول في جامع الزيتونة، إذا حضر مجلساً واجتمعت فيه العلماء لا يؤخذ إلا بقوله، وكان في الزيتونة يُدرّس في الصباح الألفية المصطلح، وقطب الدين الشيرازي على الشمسية في المنطق، ومختصر التفتازاني على التلخيص قراءة وتحقيقاً، ويجلس بعد الظهر به أيضاً لقراءة مختصر الشيخ الخليل قراءةً وتحقيقاً"، وهو من مواليد طرابلس 1112هـ/1700م⁽²⁾.

• أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري: قيل إنّه كان بارعاً في المنثور والمنظوم ومن العلماء الأعلام، من تأليفه تعليق على البخار، وشرح الأجرومية المؤلف من ثماني كراريس، وُلّي القضاء بعد والده، وتوفي عام 1155هـ/1742م⁽³⁾.

(1) المصراقي: الطيب، كتاب فتح العلي الأكبر في تاريخ سيدي عبد السلام الأسمر، بيروت، دار الكشف للطباعة والتوزيع، 1969، ص 157-158.

(2) الزاوي: الطاهر أحمد، كتاب أعلام ليبيا، دار النشر المدار الإسلامي، ص: 38.

(3) الزاوي: الطاهر أحمد، كتاب أعلام ليبيا، دار النشر المدار الإسلامي، ص: 38.

• محمد بن محمد الفطيمي: وهو من الأسر الأندلسية التي هاجرت قديمًا إلى زليتن، اشتهر بعلوم الفقه والنحو، وله منظومة فقهية جمع فيها ما ذكره الخليل في مختصره، وله منظومة في النحو مع شرح وافٍ لها، توفي 1210هـ/ 1795م⁽¹⁾.

• مصطفى الكاتب وعرف باسم مصطفى الخوجة، من أسرة مصرية استوطنت طرابلس ولد ونشأ فيها ذاع صيته كعالم مثقف، واستخلصه الوالي، أحمد القرمانلي، وعينه مستشارًا له وكبيرًا للكاتب، توفي بطرابلس سنة 1213هـ/ 1798م⁽²⁾.

• محمد كامل بن مصطفى: عالم ومصلح، تولى التدريس والقضاء في دار طرابلس، له مؤلفات عديدة في علوم الفقه والقضاء، توفي عام 1315هـ/ 1897م⁽³⁾.

أما الفترة في النصف الثاني من القرن العشرين، من سنة 1950، فقد شهدت تطورًا ملحوظًا من قبل العلماء الليبيين وخاصة في علوم اللغة وهي ما عرفت بفترة الازدهار والحركة العلمية، فعلينا ألا نغفل جهودهم وما قدموه للعلم حتى ولو كان قليلًا، فالذي قام به العلماء الليبيون به لا يعد عملاً منفصلاً عما قام به غيرهم من العرب، وخاصة في مجال اللغة وجهودهم النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية وعلم المعاجم، ونعرض بعض من علماء اللغة العربية التي أشار إليهم الناصري في رحلته، التي تدل على مدى عمق المساهمة من علماء اللغة الليبيين لنشر قواعد اللغة العربية، وهم:

(1) الزاوي: كتاب الأعلام، ص 296، 295.

(2) المصدر نفسه ص: 123.

(3) محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1981.

• محمد بن أحمد بن مساهل (ت1077هـ): هو من أبناء مدينة طرابلس مولدًا ونشأةً ومقامًا، كان شيخًا ومفتي البلاد، وقد استعفى من الفتوى فأعفى، وبقي مشغولًا بمطالعة التأليف من نحو وفقه وما يشاكل ذلك، وقد جمع بين علوم عدة من بينها علم النحو⁽¹⁾.

• محمد بن مقييل: ولد بطرابلس عام 1054هـ، ونشأ بها، وقرأ العلوم عن مشائخ عصره وكان أحد الأئمة المتبحرين في العربية⁽²⁾.

• أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الأجدابي (ت قبل 600هـ): قيل إنه كان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلامًا، وفقهاً ونحوًا ولغةً وعروضًا، ونظمًا، ونثرًا، وكان موهوبًا في الخط العربي وله العديد من المؤلفات، وأشهر مؤلفاته: كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ؛ فقد تداوله أهل اللغة العربية، وهو محل اهتمامهم وقد ازداد انتشاره في العصر الحديث بعد طباعته وتحقيقه⁽³⁾.

• أحمد زروق البرنسي (899هـ)، قيل عنه إنه كان على دراية باللغة العربية، وقد ترك بعض المؤلفات في أدب اللغة العربية ذكرت في بحوث اهتمت بأعلام اللغة العربية في البلاد العربية⁽⁴⁾.

• المطلب الرابع:

بعض المؤلفات اللغوية الليبية حديثة المنشأ، ونبذة عن أصحابها:

الحديث عن المؤلفات اللغوية الليبية حديث شيق، يجعلنا نبحت عن الكنوز المدفونة والتي نكاد نجهل أكثرها؛ لأنها لاتزال في صورة مخطوطات ملقاة قيد

(1) الناصري: أبو العباس، ص173-174.

(2) الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات دارف، لندن، 1984، ص263.

(3) الناصري: أبو العباس أحمد، الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، كلية الآداب الرباط، 1988، ص187-188.

(4) حمودة: إدريس مفتاح، بعض أعلام اللغة العربية في البلاد الليبية، خلال الرحلة الناصرية، مجلة أصول الدين، ص423-424.

الأدرج في مناطق مختلفة حول العالم، ولقلة الدارسين والباحثين في هذا المجال بقيت أكثرها مجهولة، ولا توجد مصادر لها أو إشارة موثقة في كتب، أو أسماء مؤلفات لهم فقد اعتنوا باللغة العربية وكانوا يعملون بها، وللأسف حاولت الحصول على مؤلفات في حقبة زمنية قديمة؛ ولم أجد ما يسعني ليكون مطلباً مكتملاً في البحث، إلا معلومات شحيحة تكاد لا تُذكر، مثل: كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، وكتاب تثقيف اللسان، وشرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء، لابن الأجدابي: أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، وهو لغوي وأديب، توفي في طرابلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري،

وما ذكر عن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري: قيل إنّه كان بارعاً في المنثور والمنظوم ومن العلماء الأعلام، ومن تأليفه تعليق على البخاري، وشرح الآجرومية المؤلف من ثمانين كرايس، وُلّي القضاء بعد والده، وتوفي عام 1155هـ/1742م⁽¹⁾.

وعندما بحثنا وجدنا أغلب الكتب المعروفة حديثة التأليف، ولكنها كتب ذات قيمة علمية كبيرة، وحذا لو نسعى إلى التعريف بها لكي يستفيد كل باحث ومهتم بمجال اللغة العربية وعلومها، نذكر منها ما تحصلنا عليه من البحوث والمهتمين خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهي⁽²⁾:

- كتاب الظروف الزمانية في القرآن الكريم، لصاحبه: بشير محمد زقلام، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا، 1986م.

- كتاب التعليل اللغوي في كتاب سيويوه، لصاحبه شعبان عوض العبيدي نشرته جامعة بنغازي سنة 1999م، بدأ بمقدمة توضح مظاهر التعليل قبل ظهور كتاب سيويوه، وأوضح العوامل التي ساعدت على نشأة التعليل اللغوي

(1) الزاوي: الطاهر أحمد، كتاب أعلام ليبيا، دار النشر المدار الإسلامي، ص 38.

(2) أبوغنيم: محمد علي، الجهود النحوية والبلاغية في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر.

عند العلماء المسلمين، أما منهجه فكان مهتما بشكل واضح بمسألة العلة في كتاب سيبويه.

- كتاب القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة لصاحبه أ. محمد عاشور السويح، طبع الكتاب ونشر في دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا، وقد استهل المؤلف كتابه بالمقدمة التي ذكر فيها الرغبة في قيامه بمجهود علمي يخدم لغتنا العربية.

- كتاب القياس النحوي من عبد الله بن أبي اسحاق إلى سيبويه، لصاحبه مفتاح رجب الخلاب، الكتاب من منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس سنة 1996 متناول فيه نشأة الدراسات اللغوية والنحوية وارتباطها بالقرآن الكريم.

- كتاب المبرد حياته وآثاره من خلال كتابه المقتضب، لصاحبه جمعة المبروك عون،¹ من منشورات معهد الإنماء العربي بيروت، لبنان، سنة 1988.
- كتاب أبو عمر بن العلاء اللغوي النحوي ومكانته العلمية، لصاحبه عبد الله محمد أحمد الأسطى، طبع بدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا سنة 1986.

- كتاب منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني لصاحبه: عمران عبد السلام شعيب، من منشورات دار الجماهيرية للنشر، والتوزيع، مصراته، ليبيا سنة 1986.

- كتاب النحو وكتب التفسير، لصاحبه: إبراهيم عبد الله رفيده، من منشورات المنشأة العامة للنشر، والتوزيع، طرابلس ليبيا سنة 1982م.
- كتاب أساليب التوكيد في القرآن الكريم، لعبد الرحمن المطردي، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا 1986م.

- كتاب أثر القرآن في أصول مدرسة، البصرة النحوية حتى أواخر القرن الثاني الهجري، لصاحبه عبدالله محمد الكيش، من منشورات كلية الدعوة الاسلامية طرابلس ليبيا سنة 1992م.
- كتاب أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم، لصاحبه علي أبو القاسم عون من منشورات جامعة طرابلس سنة 1992م.
- كتاب خصائص التركيب في ديوان إبراهيم محمد الهوني، دراسة تحليلية في ضوء الأساليب اللغوية المعاصرة، لصاحبه البشتي الطيب بشنة، منشورات مركز جهاد الليبيين سنة 2000م.
- كتاب تصحيحات لغوية، لصاحبه: عبد اللطيف أحمد الشويرف، منشورات الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا 1997م.
- كتاب ظاهرة الاعراب في العربية، لصاحبه: عبد الوكيل محمد الرعيض، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ليبيا، سنة 1988م.
- كتاب التطريز اللغوي، لصاحبه: محمد خليفة الدناع، منشورات جامعة قاريونس 1997م.
- كتاب دراسات في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، لصاحبه المختار أحمد ديره، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية طرابلس ليبيا 1991م.

نتائج البحث، وبعض التوصيات:

- إن العلماء الليبيين الذين أسهموا إسهاما مشكورا في نهضة المعارف والآداب، وكانت لهم مشاركات محمودة، رغم إغفالهم في كتب الأعلام، وبقاء كتبهم مخطوطات منتشرة في كافة بقاع العالم.
- إن الظروف السياسية التي سادت ليبيا كانت في بعض العهود غير مساعدة على نمو وازدهار الحياة الثقافية فيها.
- إن أغلب أهل المعارف والآداب كانوا متحدين في المنهج والأسلوب وتجمعهم صلات، وروابط إنسانية وثقافية.
- إن الحياة الثقافية أيام العثمانيين كانت تعاني من الركود الثقافي، مقارنة بالأقطار العربية المجاورة، خاصة فترة الاحتلال العثماني للأراضي الليبية.
- إن طرابلس التي هي جزء من المغرب العربي، قامت بدور كبير في مجال الفكر والثقافة ضمن ما قدمته هذه المنطقة من إسهامات في الحضارة الإسلامية، سواء أكانت هذه الإسهامات قد نمت بمعزل عن الثقافات الوافدة، أم تداخلت مع غيرها من الثقافات وألفت معها ثقافة واحدة.
- البحث في هذا الموضوع ليس أمرا سهلا، وذلك لقلة المعلومات الوافية حول جوانبه المختلفة، لأن ما يتوفر عنه ينحصر في المخطوطات والوثائق التي مازالت في حاجة إلى المزيد من التحقيق والبحث عنها في مكتبات العالم.
- ما كتب حول الثقافة الليبية، هو عبارة عن كتابات متفرقة وعامة وضاع الكثير من تراثها الثقافي والأدبي نتيجة لعدم تدوينه، بالإضافة إلى تشابك المعلومات.

أما التوصيات، فنسردها في نقاط، وحذا لو تكون أول اهتماماتنا لنحي تراثنا النفيس من كتب لاتزال مخطوطة، أو تاريخ مشرف لايزال مجهولا، وهي:

- الحاجة الملحة لهذه المؤلفات الثمينة في دراسة اللغة والأدب.
- إضافة لبنة من لبنات اللغة قد تفيد المهتمين باللغة؛ وذلك بحصر كتب اللغة والإشارة إلى مؤلفيها.
- إظهار هذه المؤلفات إلى النور والاهتمام بها وجعلها مجالا للبحوث والدراسات في مجال اللغة.
- وقد سلكت في ذلك المنهج التاريخي الوصفي لتتبع تاريخ هذه المؤلفات ووصفها وصفا يبين محاسنها.
- وكانت لدينا عدة أهداف نسعى إلى تحقيقها من خلال هذه الدراسة وهي:
- إحياء تراثنا اللغوي الليبي والذي يكاد أن ينجلي لعدم الاهتمام به.
- أن نجعل هذه المؤلفات تنال نصيبا من اهتمام المؤرخين الذين تجاهلوا أو تناسوا المؤلفات اللغوية الليبية ولم يشيروا لها إلا قلة قليلة، تكاد لا تذكر.
- الإيمان بمسؤوليتنا تجاه هذا التراث، وأنه لا جديد لنا إلا بالالتكاء على حضارة عريقة تسندنا .

المراجع:

1. أبوغنيم: محمد علي، الجهود النحوية والبلاغية في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر.
2. الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات دارف، لندن، ١٩٨٤م.
3. البرغوتي: عبد اللطيف محمود، تاريخ ليبيا من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، 1071م.
4. التليسي: خليفة، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للنشر .
5. جهود العلماء المغاربة في إثراء الحركة العلمية منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري.
6. حموده: إدريس مفتاح، بعض أعلام اللغة العربية في البلاد الليبية، خلال الرحلة الناصرية، مجلة أصول الدي، pdf.
7. الزاوي: الطاهر أحمد، كتاب أعلام ليبيا، دار النشر المدار الإسلامي.
8. عباس: إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا، بنغازي 1967.
9. بقلم. عبدالعزيز الخطاب، دنيا الوطن، موقع إلكتروني mpulpit alwatan voice. Com
10. الناصري: أبو العباس أحمد، الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، كلية الآداب الرباط، 1988.
11. محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1981م.
12. المصراتي: الطيب، كتاب فتح العلي الأكبر في تاريخ سيدي عبد السلام

- الأسم، بيروت، دارالكشاف للطباعة والتوزيع، 1969م.
- 13.** مسعود: مسعود عبدالله، ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911م، مجلة الجامعة جامعة الزاوية، العدد الخامس عشر- المجلد الثالث، 2013م.
- 14.** القماطي: عبد الباري خليل، قراءات في التاريخ الليبي، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية.

دور الكتابات القرآنية في تعليم

مبادئ اللغة العربية

أ. عبدالسلام الأمين محمد الماعزي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأكرم وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فمن المعلوم أن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية التي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اختص به الله الأمة العربية دون غيرها من باقي الأمم الأخرى، فجاء كتاباً جامعاً لكل الفضائل، شاملاً لكل وسائل الرقي في الدنيا والآخرة.

وممن امتن الله به على هذه الأمة أن حفظ لغتها من الضياع والاندثار بأن أنزل بها هذا الكتاب (القرآن الكريم)، فحظت بحفظه سبحانه وتعالى لكتاب العزيز. ولما شرفها الله تعالى عزَّ اسمه وعظَّمها ورفع خطرهما وكَرَّمها وأوحى بها إلى خير خلقه وجعل لسانَ أَمِينه على وحيه وخلفائه في أرضه وأراد بقضائهما ودوامهما حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ودار ثوابه قِيَّض لها حفظة وخزنة من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن جعلها محفوظة بحفظه، وباقية ببقائه؛ إذ المتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها أو ضعفت بضعفهم، كالبابلية القديمة، والسريانية، والمصرية، والآشورية، وغيرها كثير، وبقيت لغة القرآن صامدة لا تهزها العواصف ولا تغيرها الحوادث، لها قابلية التطور والتجدد، لما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية

(*) كلية الدراسات الإسلامية/ الجامعة الأسمرية - فرع سبها.

الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتراس منها مناط العز والفخر، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول محمد صادق الرافعي (رحمه الله) نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك؛ لأنه صفي اللغة من أكارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز.

ومن هنا اكتسبت اللغة العربية القداسة النورانية والخلود السرمدي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]؛ فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين⁽¹⁾.

ومع مطلع شمس الإسلام ازدهر جانب الكتابة عند من أسلم من العرب؛ وذلك بسبب تعلقها بتوثيق الوحي المنزل على النبي ﷺ الذي يقوم بدوره ﷺ بإملائه على من يكتبه من صحبه ﷺ⁽²⁾، واستمر الأمر كذلك حتى اكتمل نزول الوحي بشكل كامل، واقتصر الكتابة في تلك الفترة على كتابة ما نزل من القرآن الكريم فقط دون غيره من الحديث النبوي.

فظهر ما يعرف بـ "الكتاب" وانتشرت مع انتشار الإسلام في مختلف البلدان، وأنشئ من خلال عمل إسلامي بحت، وكان المكان الرئيس في العالم الإسلامي لتعليم الصغار، وقد تمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية، وبخاصة وأنه المكان الذي

(1) أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية وتطورها، أ.د. بدر الدين عبد الكريم أحمد

<http://otrujja.com/2014-05-20>

(2) عرفوا فيما بعد بـ "كتاب الوحي".

يتعلم فيه الصبيان القرآن، إضافة إلى ما للعلم من مكانة في نظر الإسلام حيث هو فريضة على كل مسلم، وكذلك تلك القدوة التي نأخذ بها من خلال أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حض على ضرورة التعلم ، فكلّف كل أسير من أسرى الحرب بعد موقعة بدر بتعليم اثني عشر طفلاً من أطفال المسلمين على سبيل الفدية⁽¹⁾.

وفي هذه الورقة التي جعل عنوانها : " دور الكتاتيب القرآنية في تعليم اللغة العربية"

سيكون الكلام على التعريف بالكتاتيب القرآنية، ومكانتها في التعليم والغرض منها، وعن طريق التدريس بها، وعن أثرها في ترسيخ اللغة العربية السليمة في عقول النشء الصغار منذ نعومة أظافرهم، وعن استفادة طلاب التعليم الأساسي على وجه الخصوص من الكتاتيب في تحسين لغتهم العربية كتابة - وقراءة، وكذلك بيان أن الأسلوب المتبع بالكتاتيب من أفضل الأساليب لتعليم اللغة العربية. والله الموفق لما فيه صلاح البلاد والعباد.

أولاً- التعريف بالكتاتيب:

تعريف الكتاتيب لغةً:

الكتاتيب جمع لكلمة "كتاب" بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب. قال ابن منصور: المَكْتَبُ والْكُتَّابُ: مَوْضِعُ تَعْلِيمِ الْكُتَّابِ، وَالْجُمُعُ الْكُتَاتِيبُ وَالْمَكَاتِبُ. الْمُبَرَّدُ: الْمَكْتَبُ مَوْضِعُ التَّعْلِيمِ، وَالْمُكْتَبُ الْمُعَلِّمُ، وَالْكُتَّابُ الصَّبِيانُ؛ قَالَ: وَمَنْ جَعَلَ الْمَوْضِعَ الْكُتَّابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ⁽²⁾.

وهو مكان للتعليم الأساسي، كان يقام (غالبًا) بجوار المسجد، لتعليم القراءة

(1)الكتاتيب عند المسلمين،

<http://articles.islamweb.net/media/index.php?id=144998&lang=A&page=article>

(2) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط 3- 1414 هـ، ج 1، ص 699.

والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية ومبادي الحساب⁽¹⁾.

تعريف الكتاتيب اصطلاحاً:

الكتاتيب هي عبارة عن حلق منظمة في المساجد لتعليم القرآن الكريم، وتجويده، وحفظه، وتعليم القراءة والكتابة⁽²⁾.
ما الغرض من إنشاء الكتاتيب؟⁽³⁾.

الغرض المباشر من إنشاء الكتاتيب هو تعليم القرآن الكريم، وتحفيظه، وتعليم الكتابة والقراءة، وربط الأجيال المسلمة بدينها، وترسيخ العقيدة القرآنية في نفوسها. ولأن القرآن الكريم قد نزل ليبقى ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا أودع في الصدور وكتب في الصحف والقراطيس، كان لا بد من محاربة الجهل والأمية ومقاومتها بترويج القراءة والكتابة، يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة:

" اعلم أن تعليم الولدان شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من المكان.. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبنى عليه"⁽⁴⁾.

أهمية الكتاتيب:

تأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسسات التعليمية (غير الأكاديمية) الأخرى في تعليم القرآن الكريم لعدة أسباب منها:

(1) آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون، مطبعة المنار، تونس، ط2، ص، 41-45.

(2) دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، أ.د. حسن عبد الغني أبو غدة، ص 201.

(3) الكتاتيب في أفغانستان ودورها في تحفيظ القرآن الكريم، فضل الله ممتاز.

<http://www.qk.org.sa/vb/showthread.php?t=7794>

(4) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضري الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ج 740/1.

1. كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب.
2. كانت الكتاتيب ولا زالت الأداة التعليمية الرئيسة التي ينتقل بهل العلم الديني وبالذات القرآن الكريم من جيل إلى جيل، كما كانت الأداة التي تشع منها قاعدة التنوير الديني وحفظ القرآن ونشره على مدى عصور طويلة.
3. وهي كذلك الأداة التي أسست قاعدة من المتعلمين الذين استطاعوا بعد ذلك بسهولة تعميق دراستهم الدينية وإتقان شتى فروع العلوم العربية والإسلامية.
4. الكتاتيب النظام التعليمي المناسب الملائم لاحتياجات المجتمع المتنوعة قبل التعليم الأكاديمي، بحيث كانت تندمج بشكل طبيعي في نشاطات وحياة المجتمع الصغير اليومية.
5. الكتاتيب نظام تعليمي مجانياً لا يكلف المجتمع أية أعباء للدراسة⁽¹⁾.

أقسام الكتاتيب: (2)

قسمت الكتاتيب إلى قسمين:

- 1 - كتاتيب أولية : وكان يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ، ويحفظون القرآن، ومبادئ الدين وأوليات الحساب.
 - 2 - كتاتيب قانونية : إن صح هذا التعبير - كانت لتعليم الأطفال والشباب علوم اللغة والآداب، وكانوا يتوسعون فيها بعلوم الدين والحديث وسائر صنوف العلوم الأخرى بصورة عامة⁽³⁾.
- ونستطيع القول إن الكتاتيب القرآنية قد انتشرت بشكل واسع وبارز؛ نتيجة

(1) الكتاتيب نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلم وتعليم القرآن الكريم "الكتاتيب في مصر أنموذجاً"، د. مبروك بهي الدين رمضان الدعدر، ص 43، نشر ضمن أعمال المؤتمر الثاني لتطور الدورات القرآنية (2) المصدر السابق ص 50، والكتاتيب عند المسلمين.

<http://articles.islamweb.net/media/index.php?id=144998&lang=A&page=article>

(3) التربية والتعليم في الإسلام ص 110، نقلاً مقالة الكتاتيب عن المسلمين.

تحمس الناس الشديد للقرآن الكريم، وكثرة الفتوحات الإسلامية، وبالتالي اتساع رقعة الدولة.

كذلك ظهر نوع من الكتاتيب اختص بالأيتام، وكان الغرض من إنشائها، تعليم الأيتام وأبناء الفقراء ورعايتهم، إلى جانب التقرب إلى الله تعالى. ولم تقتصر هذه الكتاتيب على تعليم الأيتام بل "أضيف إليهم أولاد الفقراء والجنود والبطالين، وقد وفر هذا النوع من التعليم الرعاية العلمية والاجتماعية لهذه الفئة غير القادرة، والذين لم يكن في وسع ذويهم إرسالهم إلى المكاتب الخاصة، أو إحضار مؤدبين لهم إلى المنازل"⁽¹⁾.

ولقد كثر الاهتمام بكتاتيب الأيتام خلال عهود الزنكيين، والأيوبيين والمماليك، فهذا نور الدين زنكي يبني "في كثير من بلاده مكاتب للأيتام ويجري عليهم وعلى معلمهم الجرايات الوافرة"⁽²⁾.

واختلفت أحجام الكتاتيب صغراً وكبراً، "فكتاب أبي القاسم البلخي كان يتعلم فيه (3000 تلميذ) وتدل رواية ياقوت على أن هذا الكتاب بجانب استقلاله عن المسجد كان فسيحاً ليتسع لهذا العدد الكبير، ولهذا كان يحتاج البلخي أن يركب دابته ليتردد بين هؤلاء وأولئك؛ وليشرف على جميع تلاميذه"⁽³⁾.
طرق التدريس بالكتاتيب⁽⁴⁾:

وقد اختلفت طرق الناس في حفظ كتاب الله باختلاف أمكنتهم وأزمntهم، وقد اشتهرت طريقة الألواح في بلاد الغرب الإسلامي ردحاً من الزمن، وقد عرفت

(1) التعليم في مصر زمن الأيوبيين ص 121 نقلاً مقالة الكتاتيب عن المسلمين.

(2) الروضتين في أخبار الدولتين ص 23/1 نقلاً مقالة الكتاتيب عن المسلمين.

(3) التربية الإسلامية - أحمد شلبي ص 54 نقلاً مقالة الكتاتيب عن المسلمين.

(4) رواية الإمام قالون بليبيا.

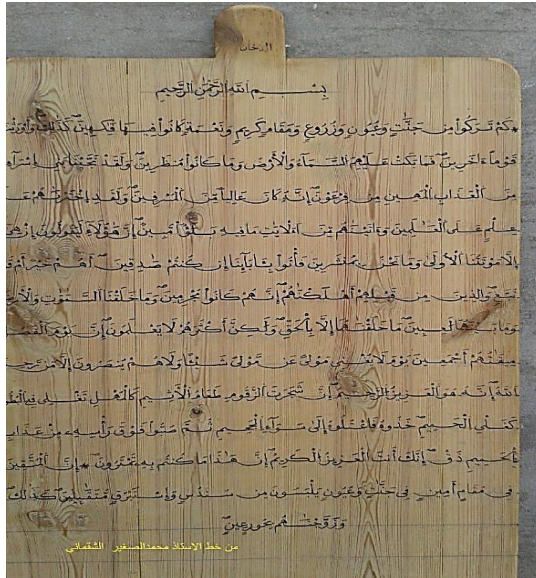
ليبيا هذه الطريقة منذ فترة لا تقل عن ستمائة سنة.

وما زالت بعض المدن الليبية في وقتنا الحاضر متمسكة بطريقة التدريس بالألواح تمسكاً شديداً، منها على سبيل المثال مدينة مسلاتة، التي تشتهر بحفظ كتاب الله وتعلّمه وتعليمه، وكذلك مدينة زلتن، وغيرها من المدن الليبية الأخرى.

الأدوات:

اللوح:

من الأدوات المستخدمة في التحفيظ بهذه الطريقة والتي أشهرها (اللوح) الذي سُمّيت الطريقة باسمه، على اعتبار أنه أهم المعدات المستخدمة، واللوح :عبارة عن قطعة من الخشب تُصنع من الزيتون أو الزان أو غيرها من الأشجار، حسب نوع الأشجار المتوفرة والمتاحة في المنطقة.



لوح قرآن كريم

القلم:

وأما الأداة الثانية التي تلي اللوح في الأهمية هو القلم. والقلم المقصود في طريقة حفظ القرآن هو عبارة عن قطعة خشبية تُصنع من

شجر القصب لا يتجاوز طولها 15 سم وعرضها نحو سنتيمتر عادة، وتُدبب وتُشَقَّ من مقدمتها.

المداد (الحبر):

وأما المداد فيُصنع من الصوف؛ إذ يُحرق ويُدَقَّ ثم يُصَبَّ عليه بعض الماء، ويُسَمَّى بالاسم الشعبي (الصمغ)، ويوضع ذلك المداد في أوعية صغيرة كالقنينة، وتُصنع من الفخار كسائر الأدوات المستخدمة، وتُسَمَّى تلك القنينة في مصطلح الطلبة (الدواية).



دواية وقلم

نظام الدراسة:

تعارف الأهالي على أنه عندما يبلغ الولد السنة السادسة من عمره، ويتبين لأهله بأنه أصبح قادراً للتعليم يرسله والده إلى الكتّاب حيث يتعهد شيخه بأن يوليه هو وأقرانه عناية خاصة.

وأول ما يتعلم في بداية رحلته مع كتاب الله كيفية كتابة الحروف الأبجدية، وكذلك نطقها بحركتها المختلفة بطريقة جماعية تساعد على الحفظ.

والكتابة على الألواح أول ما تبدأ بطريق التتبع (الرشيمة) وهي أن يخط الشيخ على اللوح بمؤخرة القلم، ويتتبع الطالب ذلك الخط بالقلم والمداد، وبعد حفظ الطالب للحروف حفظاً جيداً ينتقل به شيخه إلى حفظ قصار السور، وذلك بنفس

الطريق وهى الرشيمة حيث يبدأ شيخه بتحفيظه من سورة الناس، وذلك لأن قصار السور أبسط وأسهل في الحفظ على الطالب في بداية حفظه؛ نظرًا لصغر سنه، وهكذا يتدرج في الحفظ وتعلّم الكتابة، وبعد أن يتأكد شيخه من تعلّمه للكتابة وباستطاعته أن يكتب بالإملاء فينتقل من طريقة الرشيمة إلى طريقة الإملاء.

نموذج للرشيمة

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك

نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

الضالّين



صورة طفل يحفظ الحروف

ويتوقف مقدار ما يُملى على الطالب على مقدرته على الحفظ، فيبدأ معه الشيخ ببضع آيات، ويتدرج به شيئًا فشيئًا، وإذا تبين أنه أصبح قادرًا على حفظ ثمن فعندئذ يُملى عليه ثمنًا كاملاً.

ويأتي الطالب الذي يكتب بالإملاء في بداية الفترة الدراسية من اليوم، وقد جهز وجهاً من لوحه للكتابة عليه من اليوم السابق بعد ما عرضه على شيخه، وقام بمحو تلك الجهة من اللوح التي حفظها، فيأتي في ذلك اليوم، ويدخل حلقة الكتابة، وتتكون تلك الحلقة (حلقة الإملاء) من عدد من الطلبة المنتسبين لتلك الزاوية أو الكتاب، حيث تتكون بعض الكتاتيب من عشرين طالباً، وقد تكون أقل أو أكثر من مختلف المستويات من أول القرآن إلى آخره، والشيخ يملئ على الجميع، كل في ثمنه دون ما أي تأخر أو تردد ولا ارتباك، ثم يقوم بعد ذلك الشيخ (الفقيه) بتصحيح الألواح حيث يصحح لكل طالب لوحه ويعلمه قراءته "التلقين"، ويقوم بالشرح لتلاميذه ما يكون في لوحه من حيث الكتابة والقراءة، فيبين له من حيث الكتابة الكلمة التي يكون فيها المحذوف والأخرى التي يكون بها المخصص والإقلاب، وما إلى ذلك من أصول الكتابة والرسم، ويبين له التنزيل، فيقول له: هذه غريبة مثلاً؛ أي أنها لا توجد في القرآن إلا في هذه السورة، ويبين له أخواتها فيقول له: هذه ذكرت مرتين أو ثلاث، واحدة هنا، والأخرى في سورة كذا وكذا، ويبين له مخارج الحروف والأحكام، وبعدها يقرأ الطالب على شيخه اللوح قراءة سليمة خالية من الأخطاء، ويقوم الطالب بعدها بحفظ لوحه، فتتكرر هذه العملية مع كل طالب على حدة، حتى يصحح الفقيه الألواح لكل تلاميذه.

خصائص التدريس في الكتاتيب:

تعد الدراسة في الكتاتيب خاصة للنشء من أهم سوايل التعليم والحصول على المعرفة في أول مراحل تعليمهم، ولذلك كان أولياء يرون أن ذهاب الطفل للكتاب من الأمور التي لا بد منها؛ ولذا امتازت دراسة الكتاتيب بخصائص دون غيرها، منها يلي:

1. حفظ الطالب لأهم شيء يتطلب حصوله لدراسة اللغة العربية، ألا وهو الحرف، وهذا الحفظ يختلف عن الحفظ في المدارس النظامية بأنه مستمر بشكل دائم مع الطالب؛ لأنه كل ما كتب آية احتاج إلى استحضار هذه في ذهنه حتى يكتب ما

أملي عليه.

2. التأكيد على النطق السليم للحروف، حيث يقوم الشيخ أو المحفظ بتلقين الطالب الحروف الهجائية حرفاً حرفاً، وذلك لتفادي الوقوع في الشائع الشنيعة التي يترتب عليها اللحن الجلي، ألا وهو بعد التفرقة بين الحرف المهمل والحرف المعجم⁽¹⁾، التي ترتب على الخطأ فيها تغيير في المعنى لدى، وربما انقلاب المعنى إلى العكس، على النحو التالي:

الحرف المهمل	الحرف المعجم
ت	ث
د	ذ
ط	ظ

حرف	النطق	تحفيظ للترسيخ	أوصاف الحروف	مجموعة الحرف
أ	ألف	لا شان علي - لا ينقط	مطيرق - تصغير مطرق	01
ب	باء	نقطة من تحت أسفل	أثينة	03
ث	ثاء	ثلاثة من وفق	ثنينة	02
ت	تاء	اثنين من فوق	ثنينة	02
ج	جيم	نقطة من تحت	مخيطف	03
ح	حاء	لا شان عليه	مخيطف	01
خ	خاء	نقطة من فوق	مخيطف	02

(1) الحرف المهمل هو ترك فلم توضع عليه نقطة تميزه عن شبهه، والمعجم هو الذي وضع عليه نقط أو أكثر تفرق بينه وبين شبهه، وهو منسوب للأعاجم وهم غير العرب.

د	دال	لا شان عليه	بوجناحين	01
ذ	ذال	نقطة من فوق	بوجناحين	02
ر	راء	لا شان عليه	معرق...	01
ز	زاي	نقطة من فوق	معرق...	02
ط	طاء	لا شان عليه	بوقرن- بوقارون	01
ظ	ظاء	نقطة من فوق	بوقرن- بوقارون	02
ك	كاف	لا شان عليه	بوجناح واحد	01
ل	لام	لا شان عليه	معرق	01
م	ميم	لا شان عليه	دووية	01
ن	نون	نقطة من فوق	معرفة	02
ص	صاد	لا شان عليه	مزود	01
ض	ضاد	نقطة من فوق	مزود	02
ع	عين	لا شان عليه	فم الديب	02
غ	غين	نقطة من فوق	فم الديب	01
ف	فاء	نقطة من فوق	أم رقية	02
ق	قاف	اثنين من فوق	بورقية	02
س	سين	لا شان عليه	ثلاث سنيات	02
ش	شين	ثلاثة من فوق	ثلاث سنيات	01
و	واو	لا شان عليه	أم كرشتين	01
هـ	هاء	لا شان عليه	معرق-بوطيطة	01

01	بوقحيحة	لا شان عليه	لام	لا
03	مكورة معرقة	نقطتين من تحت	ياء	ي
⁽¹⁾ 01	مردودة	لا شان عليه	همزة	ء

نلاحظ من الطريقة الموضحة في الجدول رقم 2، أن المعلم يعتمد في تحفيظ الحروف للتلميذ على قاعدة يقسمها في أذهان التلاميذ على مجموعات ثلاثة، تشترك كل مجموعة في صفة عامة، والمجموعات هي :

المجموعة الأولى : يبلغ عدد حروفها 15 حرفاً - 01 - ونسبتها المئوية لمجموع الحروف الأبجدية العربية هي 50 % لا يلحق بهذه الحروف شيء من نقاط لا من أسفل ولا من أعلى.

المجموعة الثانية : يبلغ عدد حروفها 12 حرفاً - 02 - وهي ملحقة بنقاط من أعلاها قد تكون واحدة أو أكثر ونسبتها المئوية لمجموع الحروف الأبجدية العربية 40 % .
المجموعة الثالثة : ويبلغ عدد حروفها 03 - 03 - بها نقاط من أسفل قد تكون واحد أو أكثر أيضاً ونسبتها المئوية لمجموعة الحروف 10 % .

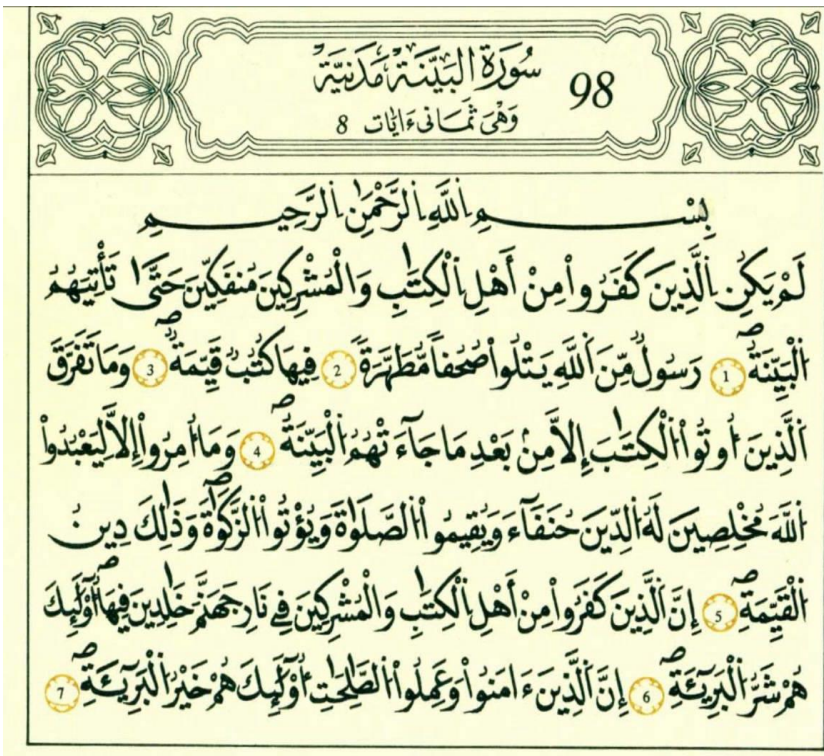
3. التدرج في تعليم الطالب على بناء قاعدة: (من الجزء إلى الكل):
فعندما ينضم الطالب لأحدى الكتاتيب أول ما يعلم الحروف على النحو الذي سبقت الإشارة إليه، ثم بعد ذلك ينقل الطالب للمرحلة التي بعدها تعليمه رسم الحروف في ثلاثة مواضع في الكلمة (أول - وسطها - آخرها)، كما هو مبين:

الحرف في أول الكلمة	في وسطها	في آخرها
ب	ب	ب
ك	ك	ك

(1) التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة.

4. يتعلم الطالب في الكتابات بعد معرفة الحروف وكيف تكتب يتعلم كيف تضبط بالحركات الأربعة (الفتحة - الضمة - الكسرة - الجزمة "السكون") تمهيداً له للكتابة كالتالي:

5. كما يتعلم الطالب في الكتاب كيفية الكتابة بخط النسخ، ومن المعلوم أنّ اللغة العربية خطوطًا عديدة إلا أنّ طالب القرآن الكريم يكتبه بخط النسخ كما هو معروف في كتابة المصاحف.

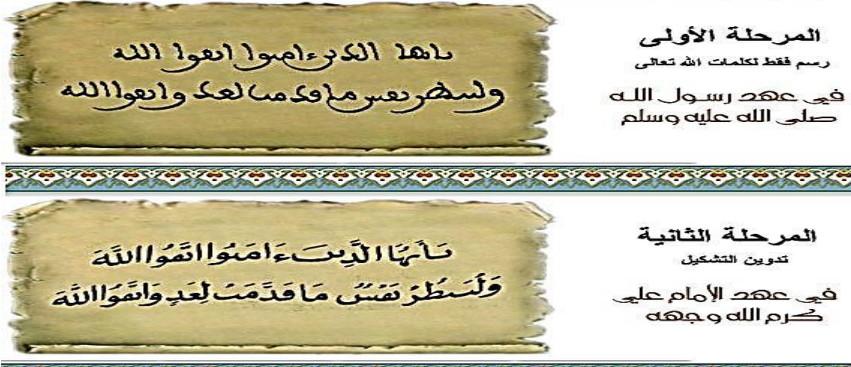


نموذج من القرآن الكريم على خط النسخ

6. إنّ مرور اللغة العربية على مراحل تطور وازدهار كان السبب

الرئيس فيها هو المحافظة على سلامة القرآن الكريم من أن يصل أي لحن يكون سبباً في تغيير معناه، فالكتابة للغة العربية كانت في أول الأمر مجرد حروف ثم وضع عليها الحركات لمعرفة النطق السليم للكلمة، ثم بعد وضع على بعضها نقاط للتفرقة بينها كما سبق ذكره.

مراحل تدوير القرآن



7. أضيف حديثاً ألوان لتوضيح أحكام التجويد، وكل هذا كان من منطلق حفظ القرآن الكريم، وإمكانية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة.
8. شعبية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي.
9. التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط.
10. إن التعليم الكتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها.
11. ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جواً خالصاً للعمل والفعالية.
12. إن التعليم الكتابي نابغ من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج

مبادرات شعبية.

13. ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم.
14. إنّ الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحه، والحبر المحلي وأدوات المحو... الخ، هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية.
15. إنّ الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا أنّ الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحًا كبيرًا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحماة وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليمًا بهذه المؤسسة الدينية⁽¹⁾.

(1) التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة.

<https://insaniyat.revues.org/9664#ftn14>

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فإن الناظر لحال تدريس اللغة العربية ولطلابها يجد فرقاً بينا بين المؤسسات التعليمية، سواء ما كان منها أهلياً أو حكومياً، مما يدفع للقول بالنقاط التالية:

1. لقد أثبتت الكتابات القرآنية المتبعة للطريقة المتعارف عليها في تدريس القرآن الكريم أنها أظهرت نتائجاً علمياً ومعرفياً بشكل منقطع النظير، متمثل في جيل يدرك كل من يتعلق بمبادئ اللغة العربية.

2. إن الطالب الذي ينطوي تحت مظلة الكتابات القرآنية تزيد عنده عدد كبير من المهارات والقدرات السلوكية والمعرفية وحتى الذهنية.

3. (القرآن الكريم قاموس من لا قاموس له)، فعليه فكل من أراد الحصول على ما شاء من القدر المعرفي في اللغة العربية فعليه بالقرآن الكريم.

4. إن الله سبحانه وتعالى تحدى أفصح القبائل العرب في وقتها ألا وهي قريش، فأنزل فيها هذا الكتاب فعجزوا عن أن يجاروه في النظم والبلاغة والبيان، فهو مرجع علمي قوي.

5. إن دارس القرآن الكريم تحصل على عدة جوانب لغوية تتمثل في الكتابة والإيملاء ومعرفة مبادئ النحو.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية وتطورها، أ.د. بدر الدين عبد الكريم أحمد.
2. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط3- 1414 هـ، ج1، ص699.
3. آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون، مطبعة المنار، تونس، ط2، ص، 41-45.
4. دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، أ.د. حسن عبد الغني أبو غدة، ص 201.
5. الكتاتيب في أفغانستان ودورها في تحفيظ القرآن الكريم، فضل الله ممتاز.
<http://www.qk.org.sa/vb/showthread.php?t=779>
6. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988م، ج740/1.
7. الكتاتيب نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلم وتعليم القرآن الكريم "الكتاتيب في مصر أنموذجاً"، د. مبروك بهي الدين رمضان الدعدر، ص 43، نشر ضمن أعمال المؤتمر الثاني لتطور الدراسات القرآنية.
8. الكتاتيب عند المسلمين.
<http://articles.islamweb.net/media/index.php?id=144998&lang=A&page=article>
9. رواية الإمام قالون بليبيا.
<http://www.masrawysat.com/vb/showthread.php?t=1250819>
10. التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة.

<https://insaniyat.revues.org/9664#ftn14>

<http://otruija.com/2014-05-20>

قراءة في دراسة (اللغة والكتابة في ليبيا القديمة)

للدكتور عبد المنعم المحجوب

أ.إيمان الحمروني الونيس (*)

الملخص:

تتناول الدراسة بالوصف والتحليل بحث (اللغة والكتابة في ليبيا القديمة) للدكتور عبد المنعم المحجوب، فتقف على ما تضمنه من استقراء وتحليل وعرض لنتائج الباحث عن أصل اللغة والكتابة في ليبيا، والإجابة عن السؤال المشار: هل كان الليبيون يتحدثون لغة واحدة؟.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الكتابة، ليبيا القديمة، عبد المنعم المحجوب.

Abstract:

The study deals with the description and analysis of the research (Language and Writing in Ancient Libya) by Dr. Abdel Moneim Al-Mahjoub . It examines the contents of the extrapolation , analysis and presentation of the results of the researcher on the origin of language and writing in Libya, and answers the question raised: Did the Libyans speak one language?

Key Words: Language, Writing, Ancient Libya, Abdel Moneim Al-Mahjoub .

(*) باحثة دكتورة بكلية اللغات جامعة طرابلس

البحث:

تمتد الحضارة الليبية القديمة من غربي نهر النيل في الشرق إلى جزر الخالدات (الكناري) في الغرب، وتحدث هيرودوتس المؤرخ الإغريقي في كتابه الرابع عن ليبيا في القرن الخامس قبل الميلاد، ووصفها بأنها إحدى قارات العالم الثلاث المأهولة بالسكان، فكان لموقعها الجغرافي الأثر في تاريخها وثقافتها، فهي ملتقى الحضارات والثقافات على مر العصور التاريخية، وأدى التلاقي بين الحضارات إلى التنوع الثقافي ولاسيما اللغوي منه، مما نتج عنه تعدد لغوي في شكله المنطوق والمكتوب، ومن هنا دعت الحاجة لدراسة التاريخ اللغوي لتلك الحضارة، والسؤال هل كان الليبيون يتحدثون لغة واحدة؟.

هذا ما حاول الدكتور عبد المنعم المحجوب الكاتب والناقد اللغوي، والمؤرخ لتاريخ الحضارات، الإجابة عليه في بحثه الموسوم: (باللغة والكتابة في ليبيا القديمة)⁽¹⁾ الذي نشر في مجلة اللسان المبين في العدد الرابع عشر من السنة الميلادية 2022، وحدد الإطار الزمني للدراسة في مراحل ما قبل التاريخ، ووقعت الدراسة في ثمانٍ وعشرين صفحة، بدأ فيها بالتساؤل عن لغة ليبيا القديمة، ثم تحدث عن تاريخ اللغة في عصور ما قبل التاريخ، وعرض للمركّب اللغوي في ليبيا القديمة قبل القرن السابع الميلادي، وعرج للحديث عن علاقة الأبجدية الليبية والتفيناغ من خلال قراءته للغة الأكوسية، وختم البحث بمجموعة من التوصيات التي تهم دراسة اللغة الليبية القديمة، وذيل البحث بالمصادر والمراجع العلمية، فاعتمد في دراسته على مجموعة من الدراسات التي أثرت البحث في الحديث عن تاريخ ليبيا، وتنوعت هذه الدراسات بين العربية والأجنبية، فمن الدراسات العربية دراسة للدكتور محمد الصغير الموسومة: ب (المعالم الحضارية في الشرق الجزائري، فترة فجر التاريخ) وعبد الله العروي الموسومة: ب (مجلد تاريخ المغرب)، والدراسات الأجنبية دراسة أوريك بيتس

(1) نشر أجزاء منه في الشبكة المعلوماتية في موقع (طوب www.tieob.com) على ثلاثة أجزاء، كان الجزء الأول بتاريخ 23 أكتوبر، والثاني 26 أكتوبر، والثالث 29 أكتوبر من السنة الميلادية 2021.

الموسومة: ب (الليبيين الشرقيين)، ومن الدراسات المترجمة دراسة كامب غبريل ترجمة عبد الرحيم حزل الموسومة: ب (البربر ذاكرة وهوية)، وغيرها من الدراسات، هذا وصف عام لطبيعة البحث، بيد أنه على أهمية ذكره لا يندرج فيما نحن بصدد، غير أن ما نريده هنا البحث عن أصل اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، وفق ما توصل إليه الدكتور عبد المنعم المحجوب من نتائج، من خلال محاور رئيسة هي :

- لغة ليبيا القديمة.
- المركّب اللغوي في ليبيا القديمة.
- نشأة الكتابة الليبية.

يعود أصل كلمة ليبيا إلى قبائل الليبو أو الليبر على ما ذكر عند المصريين في حكم مصر بداية الألف الثالث ق.م⁽¹⁾، وذكر د. المحجوب أن قبائل الليبو والمشوش قد اتصلوا بجيرانهم المصريين وأخذوا عنهم لغتهم فيما نصه: "هذه الترنيمة التي تتغني بالملك رمسيس الثالث: (لقد نهب الأرض الأجنبية ، أرض الليبو والمشوش، جعلهم يعبرون النهر، أحضرهم إلى مصر، وهم دخلوا معتقلات الملك المنتصر، وسمعوا لغة أهل مصر في طاعة الملك، وهو أبطل لغتهم)"⁽²⁾، هذا دليل على أن تلك القبائل كانت تتكلم لغة واحدة، هذا فيما يخص الشرق الليبي القديم، فيمكننا تقسيم جغرافية ليبيا وفق (بيتس) كالتالي: المنطقة الشرقية تشمل القبائل التي توطنت ما يعرف بتونس وليبيا الحاليتين حتى نهر النيل والدلتا الغربية، أما المنطقة الغربية فتشمل ما بعد ذلك غربا حتى جزر الكناري، والمنطقة الجنوبية تضم الصحراء وتوطنت فيها قبائل الحيتول⁽³⁾.

والسؤال: ماذا عن القبائل والأقاليم الليبية الأخرى، هل كانوا يتحدثون لغة

واحدة؟

(1) النقوش الليبية في شمال أفريقيا(المصطلح والرموز الكتابية) د. محمد الصغير غانم 30.

(2) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 84.

(3) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 84، في أصول بلاد البربر كامبس ترجمة د. عقون 158.

يرى د. المحجوب أن الماضي اللغوي في شمال أفريقيا (ليبيا القديمة) يكاد يكون مجهولاً، فقد شهدت اللغة الليبية عملية تحاتٍ مستمر دام زمناً طويلاً فقدت فيه القدرة على الصمود أمام أشكال لغوية أخرى سهل تبنيها وتداولها⁽¹⁾، ويرى أن لهذا التحات اللغوي أسبابه، إن نظام الكتابة في اللغة الليبية القديمة تعتمد على الحروف الصامتة وحدها، وهذا لا يساهم في تداول اللغة بشكلها الكامل، والكتابات النقوشية الليبية عصية على القراءة والفهم، على حد ما نقله عن كامب غبريل⁽²⁾، بالرغم من جميع المحاولات التي بذلت عند جمعها، فقد قام شابو بعرض 1120 نقشا في كتابه (مجموعة النقوش ليلية) من بينها 20 نقشا ثنائياً مزدوج اللغة : (ليبية بونيقية⁽³⁾)، وليبيا لاتينية)، إلا أن الوصول إلى فك رموزها لا يزال يتعثر إلى يومنا هذا، ويرجح السبب في ذلك عدم وجود مماثلات لفظية في اللهجات الأمازيغية الحديثة تقابل النقوش القديمة تساعد على قراءتها وفهمها⁽⁴⁾، ومن ضمن الأسباب: اختلاف البيئة الجغرافية للنقوش مما يصعب ضبط أبجديتها، وقصر النصوص الليبية فهي لا تحتوي على نصوص أدبية، فقد اقتصر تناولها على الجانب الجنائزي والإهداء وتمجيد الملوك⁽⁵⁾، وتغير نمط الكتابة في النصوص الليبية القديمة بين أفقية وعمودية ، فالكتابة الأفقية تكون غالباً بين النقوش الليبية المزدوجة ، وسمحت ازدواجية النصوص للعلماء بفك بعض رموز الكتابة عن طريق مقارنة النصوص المزدوجة، بينما الشكل العمودي الذي يغلب في اتجاه الكتابة في معظم النقوش التي عثر عليها والتي غالباً ما تكون وحيدة صعب عليهم فك رموزها وفهمها⁽⁶⁾.

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب ص85.

(2) البربر ذاكرة وهوية غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل ص90-91، اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب ص85.

(3) اللغة البونيقية هي لهجة فينيقية في غرب البحر المتوسط، ويطلق عليها أحياناً اللغة القرطاجية.

(4) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب، ص85.

(5) النقوش الليبية في شمال أفريقيا (المصطلح والرموز الكتابية) د. محمد الصغير غانم، ص33-34.

(6) النقوش الليبية في شمال أفريقيا (المصطلح والرموز الكتابية) د. محمد الصغير غانم، ص33-34، اللغة والكتابة والنقوش النوميديّة خلال الفترة الرومانية د. مها عيساوي ، مجلة هيروdot للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، مارس 2017م، 74.

ومن الأسباب الأخرى في تحات اللغة ما نقله عن العروى من إعراض بعض اللسانين الذين يتكلمون البربرية، في التحدث عن أصل اللغة الليبية، ومدى انتشارها، فلم يقدموا كثيراً في حل لغز النقوش الليبية، مع أن بعضها يحمل بجانب النص الليبي نصاً بونيقياً أو لاتينياً، وقد حصروا مسألة أصل اللغة البربرية في إطار ضيق إذ يضعونها ضمن أسرة الألسن الحامية - السامية (الأفروآسيوية)⁽¹⁾.

ويرى د. المحجوب أن الباحثين لم يتمكنوا من قراءة النقوش الليبية بطريقة مرضية، لتحديد نظامها اللغوي وهل كانت لغة واحدة في تداولها في ذلك الوقت؟، فالأمر يحتاج مزيداً من البحث في الجانب التاريخي للوصول إلى أصل اللغة الليبية القديمة ومعرفة نظامها.

وقد وضع د. المحجوب فرضية لأنساق لغوية مختلفة للغة في ليبيا القديمة، وحددها بثلاثة أنساق وفق تسلسل زمني، فتمتد من الألف الرابعة ق.م إلى القرن السابع الميلادي عند دخول اللغة العربية وفق التالي:

- اللهجات البدائية وهي لهجات متبقية من الجماعات النيولوثية التي تعود للعصر الحجري الحديث، ولهجات الهجرات الشرقية التي احتوتها المجموعات المحلية، وقد فرق د. المحجوب بين نظام اللغة للهجتين، فيرى أن اللهجة البدائية لهجة متعددة ومتباينة، بينما كانت لهجة الهجرات ذات نظام لغوي موحد.

- اللغة الليبية القديمة تبدأ من الألف الرابعة والثالثة ق.م، فكانت نتاج انصهار لغة الهجرات الشرقية واللهجات البدائية في شمال أفريقيا، ويمتد مجالها حتى القرن العاشر ق.م، وتأثرت اللغة في ما بعد وتفاعلت عند دخول اللغة الفينيقية، ونشأ عن هذا التفاعل لهجة فينيقية جديدة سميت بالليبوفينيقية والتي استخدمت في ما بعد نمط أبجدية خاصة بها، وهذا ما نراه في النقوش

(1) مجمل تاريخ المغرب عبد الله العروى ص44، اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب ص85.

المزدوجة.

• اللهجات البربرية القديمة التي تفرعت عن اللغة الليبية القديمة ، أثناء التوطن الفينيقي في سواحل شمال أفريقيا، واتخذت هذه اللهجات أطوارًا مختلفة، فتفاعلت في الشمال مع اللهجة الليبوفينيقية، بينما انعزل القسم الجبلي والصحراوي مكونًا فرعًا لغويًا محليًا، وظهر طور ثانٍ للهجة البربرية متأثرة بلغات أفريقيا مجاورة في الجنوب، وهناك تأثيرات لاحقة مثل اللاتينية، وأيضا تأثيرات على الأمازيغية الحديثة على حد تعبيره⁽¹⁾، فيرى أن الأمازيغية في طورها الحديث ليست امتدادًا للغة الليبية القديمة .

فالسؤال : متى نشأت اللهجات الأمازيغية؟

يجيب د. المحجوب أن الأمازيغية الحديثة هي نتاج عن اللهجات الشمالية المتفرعة عن اللغة الليبية القديمة التي لم تكن لها وحدة لغوية معيارية، وهذا ما أثر على عدم فك رموزها القديمة التي ظلت أحجية يصعب فهمها، ولكن اللهجات الشمالية اكتسبت مع القرن العاشر ق.م نوعا من الثراء اللغوي عند طريق التفاعل مع اللغة الفينيقية، التي أسهمت في تنوع الخصائص اللغوية، ولاحظ أوريك بيتس أن الأمازيغية كانت تتفرع في بداية القرن العشرين إلى أربعين لهجة تتابن بحسب خصائصها الصوتية، فأجرى مقارنة لإبدالات الحروف في أكثر من لهجة، ليخلص إلى ثمة "صعوبة كبيرة تشوب أي محاولة لإجراء مقارنة بين المفردات الحديثة والأسماء القديمة"⁽²⁾.

ويقول د. المحجوب أيضا : "أما إذا تتبعنا تعدد اللهجات الأمازيغية الحديثة واختلافها، فإننا نتحدث عن أربعين لهجة بتعداد بيتس، وعن مائة لهجة بتعداد

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب، ص88-89.

(2) The Eastern Libyans, an Essay, Oric Bates, Macmillan and Co., London, 1914, p74.

فنظر، ولعلها أكثر من ذلك في تداولها، ملاحظين أنها من الناحية النسقية (وفق أنساقها الإقليمية الرئيسة) تعتبر أقل من ذلك بكثير، لأنها بالرغم من اختلافاتها المعجمية، تعود من الناحية الصورية إلى بناء عام وسمات لغوية متقاربة، فهي إن لم تكن لغة واحدة إلا أنها ترتبط ببناء أفروآسيوي يشدها مثل عمود فقري⁽¹⁾.

فكيف تشكل هذا البناء الأفروآسيوي في اللهجات الأمازيغية مع أنها تنتمي للغات الحامية؟ ، يذكر د. المحجوب أن اللغة الليبية القديمة هي مزيج من لغة المهاجرين الآسيويين ومجموعة اللهجات البدائية التي وجدت في زمن الهجرات في الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد، وهذا السبب الكامن وراء البناء اللغوي الأفرو آسيوي في الأمازيغية الحالية وهي فرضية لا يمكن تعميمها في نظره⁽²⁾.

فيمكننا القول إن اللهجات البدائية تنتمي إلى اللغات الحامية كالمصرية القديمة والكوشية، ونتيجة الهجرات وامتزاج الثقافات ولاسيما اللغوية منها اكتسبت اللغة الليبية القديمة الطابع السامي في لغتها، فهناك تماثلات ذات طبيعة صوتية وصرفية ومعجمية، ويمكن تفسيرها تفسيراً ضمن إطار الصلة السامية الحامية⁽³⁾، وإذا ما قارنا النظام الصوتي في اللغة الليبية القديمة مع النظام الصوتي في الأكدي، فإننا نجد أن اللغة الليبية كالأكدي لا تعرف الحروف الحلقية، ولا يوجد فيها إلا حرفا الهمزة والحاء، ويوجد هناك أيضا تماثلات معجمية وصرفية بينهما، أما الحروف الحلقية الموجودة في اللهجات الأمازيغية الحديثة وقع تعلمها تدريجياً من العربية بعد الفتح الإسلامي⁽⁴⁾، مع الحفاظ على هوية اللغة الأمازيغية الحديثة التي كوّنت نتيجة تأثيرات

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 95.

(2) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 91.

(3) نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي وآخرون، ترجمة د. مهدي المخزوم، د. عبد الجبار المطبلي 35.

(4) البربر عرب قدامى، محمد مختار العرباري، ط1، 1993م، المجلس القومي للثقافة العربية، 170.

للهجات السامية على اللهجة الشمالية، فتنوع نظامها اللغوي في شكله المنطوق والمكتوب.

أما الفرضيات التي طرحت حول تاريخ نشأت الكتابة ، كما أوردها د. المحجوب⁽¹⁾:

- تأثير نظام الكتابة الفينيقية خلال القرن العاشر ق.م على ابتكار الكتابة الليبية، ويُستدل من ذلك ما أورده هاليفي من تماثل أثناء مقارنته بين الأبجدية الليبية والفينيقية، فوجد أن ستة من أصل ثلاثين حرفًا تتماثل رسمًا وصوتًا (ينظر الشكل 1)، ويرى د. المحجوب أن الأخذ بهذه الفرضية ينطبق الكلام أيضًا عن تأثير نظام الكتابة اللاتينية واليونانية اللتين كانتا معروفتين في شمال أفريقيا.

Libyan.	Phoenician.	Values.
ⲗ, 1	1	G
Ⲛ	ⲛ	I
ⲟ	ⲡ	M
ⲓ	ⲓ	N
ⲱ, ⲭ	ⲱ, ⲭ	S
ⲭ, ⲧ	ⲭ	T

ش1: تماثلات حرفية بين الفينيقية والليبية كما ذكرها هاليفي.

- اقتباس الكتابة الليبية عن الكتابات الصفوية أو الشمودية؛ نتيجة تماثلات دقيقة في رسم بعض الحروف والرموز الكتابية، ولكنه في رأي د. المحجوب يبقى مجرد تخمين لم تؤد له دلائل علمية، فيحتاج لمعرفة أزمنة الهجرة والترحال بين الشمال الأفريقي وجنوب غرب الجزيرة العربية.
- نشأت الكتابة الليبية قبل (القرن الثالث أو الثاني ق.م)، وهو الزمن

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 99 إلى 101.

الذي يؤرخ به أقدم النقائش، ويرى د. المحجوب أن هذا الرأي محدود الترجيح، فلا شيء ينفي إمكانية العثور على نقوش أقدم عهداً من القرن الثالث ق.م.

• وجود علامات خطية على الفخار المصري نسبت صلتها للكتابة الليبية، وهي علامات غير هيروغليفية؛ إذ تعد أقدم منها، أي منذ (الألف الثالثة ق.م)، في ما نقله عن عالمي المصريات آرثر إيفانز A.Evans، وفلنדרز بتري F.Petrie، ويرى د. المحجوب أن تلك العلامات لاتزال عصية على القراءة والفهم.

• الخلط بين الكتابة الليبية والتفيناغ، فالدكتور المحجوب يفرق بين الكتابة الليبية القديمة والتفيناغ، فيرى أن تماثل التفيناغ مع الكتابة الليبية في رسم الحروف، دون أن تؤدي هذه الحروف القيم الصوتية نفسها (ينظر الشكل: 2) ⁽¹⁾، ويورد هنا فرضية أدولف هانوتو A.Hanoteau في كتابه (بحث في قواعد التماشك)، الذي يرى أن أصل الأبجدية الليبية فينيقي، فأصل كلمة التفيناغ، عنده لا تعني سوى فينيقي، أي الكتابة الفينيقية، وثم يذهب هانوتو بالقول أيضاً إن الأبجدية التارقية التفيناغ قد وصلت إلى التوارق باستلهاهم النظام الأبجدي الإغريقي، وذكر د.محجوب "أن هناك فرضية تدعم فرضية الأصل الإغريقي، وذلك ما ذهب إليه أوتو ملترز Otto Meltzer بأن الملك النوميدي مسينيسا هو من قام بابتكار خطوط التفيناغ (يقصد الكتابة الليبية) فإذا أضفنا إلى ذلك انفتاح نوميديا على الحضارة الهيلينية ثقافيا ومعماريا، أمكننا أن نعيد لفرضية الأصل الإغريقي بعض الاعتبار، وأن نقبل بها جزئياً" ⁽²⁾.

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب 102.

(2) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب 100.

Transcription	نقحرة	التفيناغ (كتابة تارقية)	الكتابة الليبية (مصادر مختلفة)
b	ب	⏏⏏	⏏⏏⏏⏏
t	ت	+	⏏⏏⏏ x +
d	د	⏏ ^ ⏏	⏏ ⏏ <
j	ج	⏏	⏏
z	ز	#	⏏ ⏏
z	ز	⏏ ⏏	⏏ ⏏ - ⏏
r	ر	⏏ ⏏	⏏ ⏏
s	س	⏏ ⏏	8 x # w c
g	غ	⏏ ⏏	⏏
g	غ	⏏	⏏ ⏏ 1 ⏏
f	ف	⏏ ⏏	⏏ x x
l	ل	⏏	⏏ =
m	م	⏏	⏏ ⏏ ⏏
n	ن	⏏	⏏ -
k	ك	⏏	⏏ ⏏ ⏏ ⏏
q	ق	⏏	⏏
g	غ	⏏	⏏
s	س	⏏	⏏ ⏏
h	هـ	⏏	⏏ ⏏
d t	ط ض	⏏	⏏ ⏏ ⏏ ⏏
b	ب	⏏	⏏
w	و	⏏	⏏ =
y	ي	⏏	⏏ ⏏ ⏏ ⏏

ش2: الأبجدية الليبية وأبجدية التفيناغ التارقية (عن هانوتو)

كما أوردها د. المحجوب

ويرى د. المحجوب أن الليبيين في (الألف الأول ق.م) أو (القرن الثالث ق.م) أو ربما قبل ذلك ، اكتشفوا أهمية ابتكار الكتابة، فاقترنت جهودهم في ذلك على النماذج البدائية دون تحديد نمط للكتابة يسهل تداولها، وذلك لوجود لغة مسيطرة فرضت أجديتها في البيئة الليبية القديمة، وهي الأبجدية الفينيقية أولاً ثم اللاتينية، وهذا كان السبب وراء بطء تداول الكتابة في تلك البيئة، مما أدى إلى تحتها تدريجياً⁽¹⁾.

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 103.

فكان للأبجديات السامية من خلال هذه الفرضيات الأثر الكبير في الكتابة الليبية، ولاسيما الفينيقية، التي اتخذت في العصر النوميدي في (القرن الثاني ق.م) كنمط كتابة رسمي، فضربت بها النقود واستعملت في المعاملات والمحافل الرسمية للمملكة، وهذا ما يستبعد فرضية الأصل الإغريقي في الأبجدية الليبية، وهناك من يؤرخ للكتابة قبل القرن (الخامس ق.م)، اعتماداً على كتابة ليبية وجدت في نقشية (أعزيب نكيس) بالمغرب الأقصى⁽¹⁾.

إن هذه الفرضيات تستدعي تظافر الجهود من المتخصصين في مجال التاريخ وعلم اللغة المقارن؛ لعقد مقارنات بين الأبجديات التي أثرت في اللغة الليبية القديمة ومعرفة تاريخ نشأتها الفعلية ، ولعل النقوش والرسوم الصخرية تمثل أصلاً لمعرفة نشأة الأبجدية الليبية.

ويرى د. المحجوب أنّ سجلات جبال أكاكوس أو تدرارت أكاكوس في الصحراء الكبرى في المنطقة الممتدة من جنوب غرب ليبيا إلى جنوب شرق الجزائر ويحدها جنوباً شمال تشاد، تحتفظ بمادة وفيرة من الكتابة التصويرية غير المنتظمة التي أنتجت الكتابة الليبية المبكرة، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة⁽²⁾.

وربط د. المحجوب بين خطوط التفيناغ وفنون الأيقنة التي مثلتها الوشوم والأيقونات، فقام بتدقيق الوشوم التي نشرها أوريك بيتس ، ومثلها بحروف التفيناغ التارقي من نسخة أدولف هانوتو، ومنها:

• تماثل حرف (ت +) مع الوشم + كما جاء في شكل 52 تماماً ، ينظر (شكل

(3).

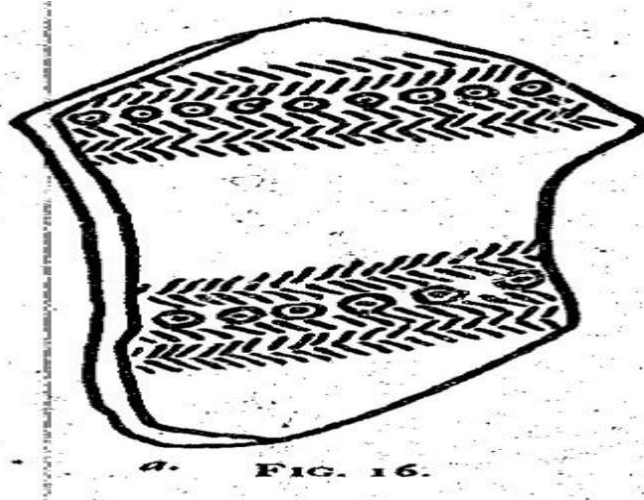
(1) الفن الصخري والكتابة الليبية في بلاد المغرب القديم، د. حفيظة لعياضي، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 1، 2019م، 11.

(2) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب 107.



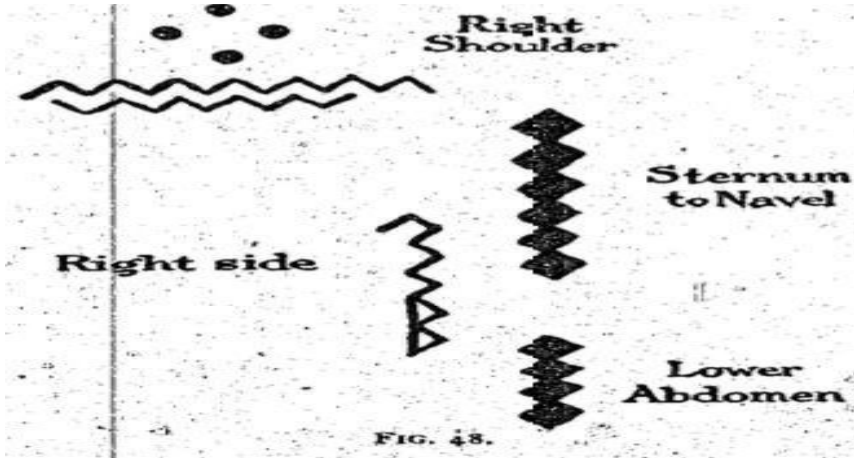
ش3 وشم يمثل حرف ت في الأبجدية التارقية التفيناغ
(الليبيون الشرقيون شكل 52، ص140)

- تماثل حرف (س) (⊙) مع الرسم الذي يزين الدرع الجلدي كما جاء في شكل 16 تمامًا، ينظر (شكل 4).



(ش 4) رسم على درع يمثل حرف س في الأبجدية التارقية التفيناغ
(الليبيون الشرقيون شكل 16، ص121)

• تماثل حرف (ك) : وحرف خ :: مع الوشم () ومن التماثلات تماثل حرف (ق) ... مع الوشم ()، وتماثل حرف (هـ) مع الوشم () وتماثل حرف (ي) مع الوشم () برسمه عموديا، ينظر (شكل 5).



(ش 5) وشوم تُمثل حروف (ك، خ، ق، هـ، ي) في الأبجدية التارقية التفيناغ مع الاختلاف في طريقة الرسم أفيقا وعموديا (الليبيون الشرقيون شكل 48، ص 137). وغيرها من الوشوم التي أوردها، وهو يرى من خلال هذه الوشوم أنه يمكننا تفسير نشأة الأبجدية التارقية، وإن البحث عنها تكون نتيجة لتحديد نشأة الكتابة الليبية (الشرقية والغربية والجنوبية)، فجمال أكاكوس تمثل المنبع الخصب لهذه الأشكال.

وختم د. المحجوب بالقول إن هذه الموضوعات تتطلب بحثا دقيقا، في إطار علم الدراسات الليبية، فهذا يستدعي العودة إلى رسومات أكاكوس وتصنيفها وفق التسلسل الزمني والكتابة التصويرية، ويمكن من خلال ذلك البحث أيضا عن دور هذه الرسومات في تطوير الكتابة الليبية القديمة، ودراسة تطور الكتابة التصويرية.⁽¹⁾

(1) اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، د. عبد المنعم المحجوب 107.

نتائج البحث:

بعد عرض دراسة الدكتور المحجوب حول اللغة والكتابة في ليبيا القديمة، تبين أنّه من الصعب تحديد أصل اللغة والكتابة، فالأمر لا يزال مجهولاً في ظل النظريات والفرضيات، ونلخص النتائج وفق الآتي:

- عدم تداول اللغة الليبية القديمة (الأم) وتحاتها، ويرجع ذلك لصعوبة قراءة نقوشها التي وجدت في فترات تاريخية متباعدة.
- تنوع الكيان اللغوي للغة الليبية القديمة، ذلك نتيجة تأثرها باللهجات السامية المهاجرة من الشرق، وكوّن التفاعل بين هذه اللهجات لهجات أخرى، لازالت متداولة والمثمتلة في الأمازيغية الحديثة.
- تعدد الأبجديات السامية التي أثرت في نظام الكتابة في اللغة الليبية القديمة، وهذا الأمر يحتاج إلى البحث الدقيق من المتخصصين في المجال التاريخي ومجال علم اللغة المقارن، فهناك فرضيات حول هذا التأثير لا يمكننا إثباتها إلا من خلال الدراسة والبحث؛ وذلك بالرجوع للنقوش الموجودة في نطاق المنطقة الجغرافية لليبيا القديمة وهذا يستدعي تضافر الجهود بين الدول المغاربية.

المصادر والمراجع

- البربر ذاكرة وهوية، غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق 2014م.
- البربر عرب قدامى، محمد مختار العرباري، المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1993م.
- في أصول بلاد البربر ماسينيسا، غابريال كامبس، ترجمة د. العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ط2 / 2012.
- اللغة والكتابة في ليبيا القديمة ، د. عبد المنعم المحجوب، اللسان المبين العدد الرابع عشر السنة 2022.
- اللغة والكتابة والنقوش النوميديّة خلال الفترة الرومانية د. مها عيساوي ، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، مارس 2017م.
- الفن الصخري والكتابة الليبية في بلاد المغرب القديم، د. حفيظة لعياضي، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد1، 2019م.
- مجمل تاريخ المغرب ، د. عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي ط5، 1996م.
- نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي وآخرون، ترجمة د. مهدي المخزوم، د. عبد الجبار المطيلي، عالم الكتب ط1993، 1م.
- النقوش الليبية في شمال أفريقيا (المصطلح والرموز الكتابية)، د. محمد الصغير غانم، صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة.
- The Eastern Libyans, an Essay, Oric Bates, Macmillan and Co., London, 1914.

الملاحق

❖ لجان الندوة:
1. اللجنة التحضيرية للندوة:

ر.م	الاسم	الصفة	العضوية
1.	أ.د. محمد مصطفى بن الحاج	نائب رئيس المجمع	رئيساً
2.	أ.د. محمد خليفة الأسود	عضو المكتب التنفيذي	عضواً
3.	أ.د. محمد علي عيسى	أستاذ الآثار والحضارات القديمة / جامعة طرابلس	عضواً
4.	أ.د. محمود فتح الله الصغير	مدير مكتب الإعلام والنشر	عضواً
5.	د. رجب علي رجب دومة	مدير مكتب الدراسات والتراث	عضواً
6.	د. رضوان عبد الكريم اللافي	عضو المعجم التاريخي	عضواً
7.	م. رنا علي الزيغني	مديرة مكتب الأمين العام	عضوة

2. اللجنة العلمية للندوة:

ر.م	الاسم	الصفة	العضوية
1.	أ.د. محمد خليفة الأسود	عضو المكتب التنفيذي	رئيساً
2.	أ.د. صالح سليم الفاخري	رئيس لجنة المناهج والمقررات الدراسية	عضواً
3.	أ.د. محمود فتح الله الصغير	مدير مكتب الإعلام والنشر	عضواً

3. اللجنة الفرعية للتجهيز والإعداد للندوة:

ر.م	الاسم	الصفة	العضوية
1.	أ. مفيدة محمد سلامة	مديرة مكتب رئيس المجمع	عضوة
2.	أ. ناجح عمر سلامة	مدير شؤون العاملين	عضوًا
3.	م. رنا علي الزيغني	مديرة مكتب الأمين العام	عضوة
4.	أ. جمال احميدة دويش	منسق اللجنة العلمية	عضوًا
5.	أ. جمعة عبدالسلام الترهوني	مكتب النشر والإعلام	عضوًا

((البرنامج العام للندوة))

ر.م	الحدث	المنفذ	التوقيت
(الفترة الصباحية)			
1.	القرآن الكريم	د. رضوان عبدالكريم اللافي	10:00 – 10:02
2.	النشيد الوطني	تسجيل	10:02 – 10:05
3.	كلمة الترحيب	رئيس المجمع	10:05 – 10:15
4.	كلمة راعي الحفل	رئيس مجلس الوزراء	10:15 – 10:20
5.	كلمة اللجنة العلمية	أ.د. محمد خليفة الأسود	10:20 – 10:30
6.	الجلسة العلمية الأولى	رئيس الجلسة الباحثون المشاركون	10:30 – 11:30
استراحة طاقم الضيافة 11:30 – 11:45			
7.	الجلسة العلمية الثانية	رئيس الجلسة الباحثون المشاركون	11:45 – 12:45
8.	الجلسة العلمية الثالثة	رئيس الجلسة الباحثون المشاركون	12:45 – 1:45

استراحة الغداء طاقم الضيافة 3:00-1:45			
(الفترة المسائية)			
1.	الجلسة العلمية الرابعة	رئيس الجلسة الباحثون المشاركون	4:00 – 3:00
2.	الجلسة العلمية الخامسة	رئيس الجلسة الباحثون المشاركون	5:00 – 4:00
استراحة طاقم الضيافة 5:15 – 5:00			
3.	التوصيات	رئيس اللجنة العلمية د. رجب علي رجب دومة	5:20 – 5:15
4.	التكريم	رئيس المجمع أ.د عبد الحميد عبد الله الهرامة	5:40 – 5:20
5.	كلمة الختام	رئيس اللجنة التحضيرية أ.د محمد مصطفى بن الحاج	5:45 – 5:40
6.	الصور التذكارية	الطاقم الإعلامي	6:00 – 5:45